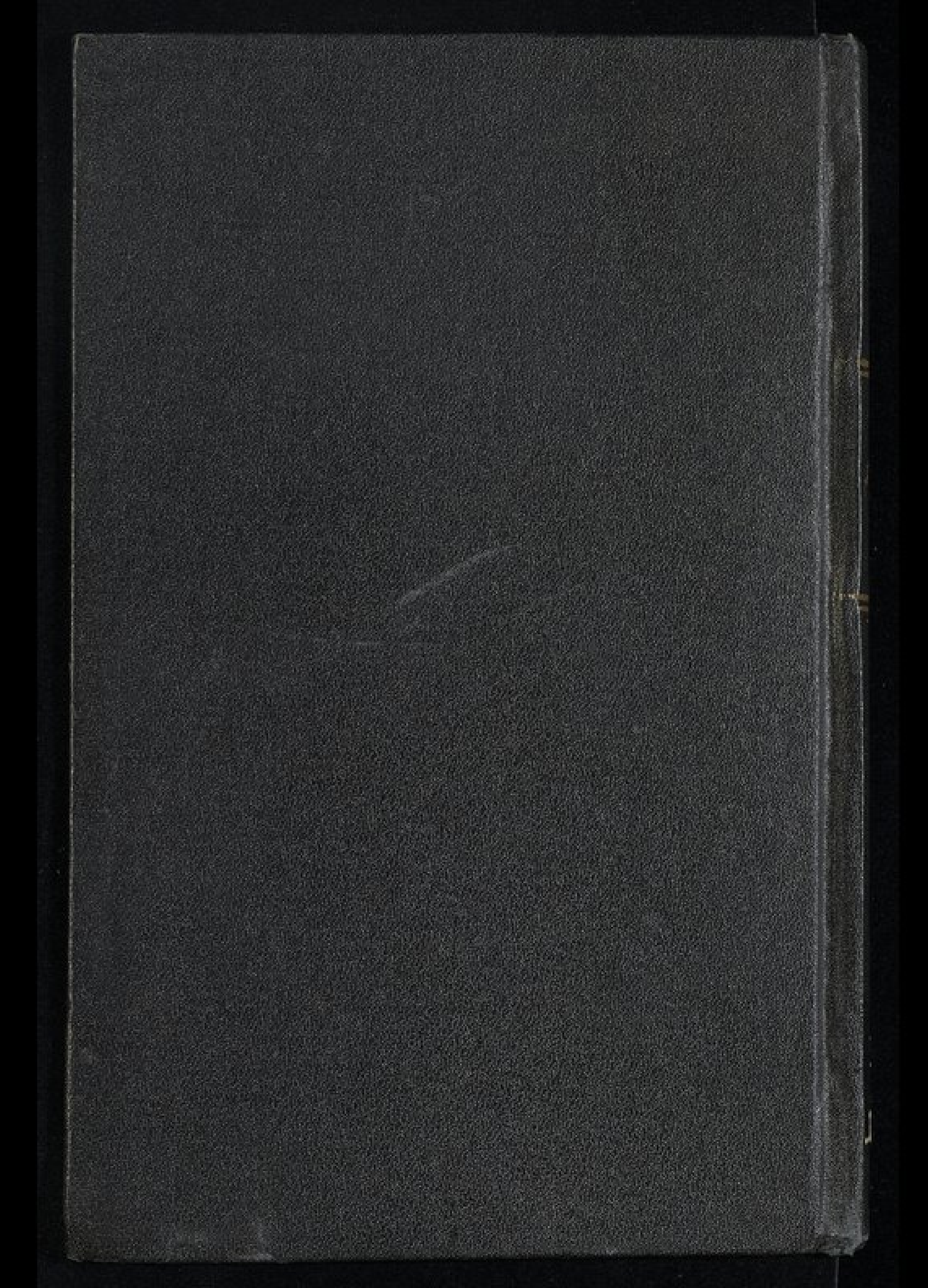
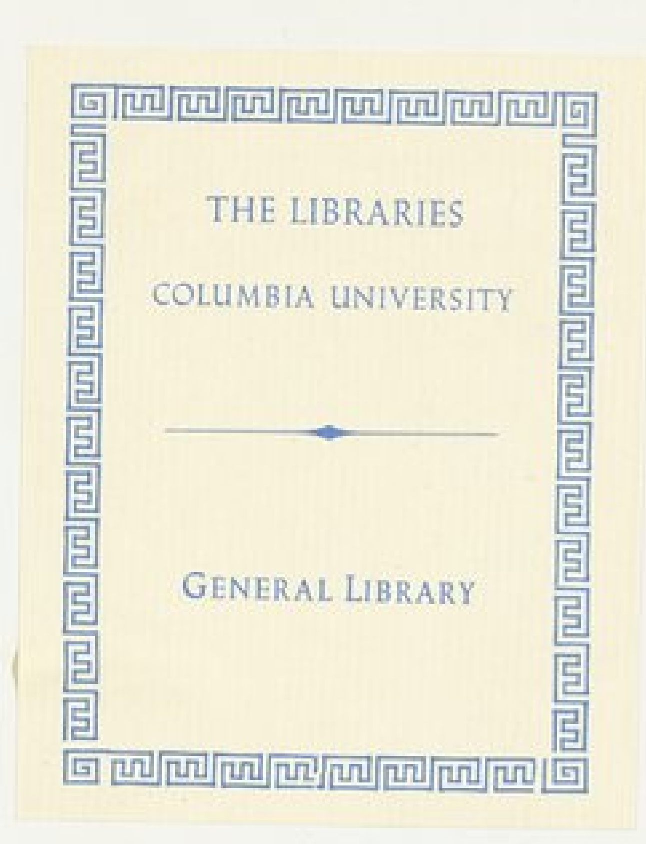
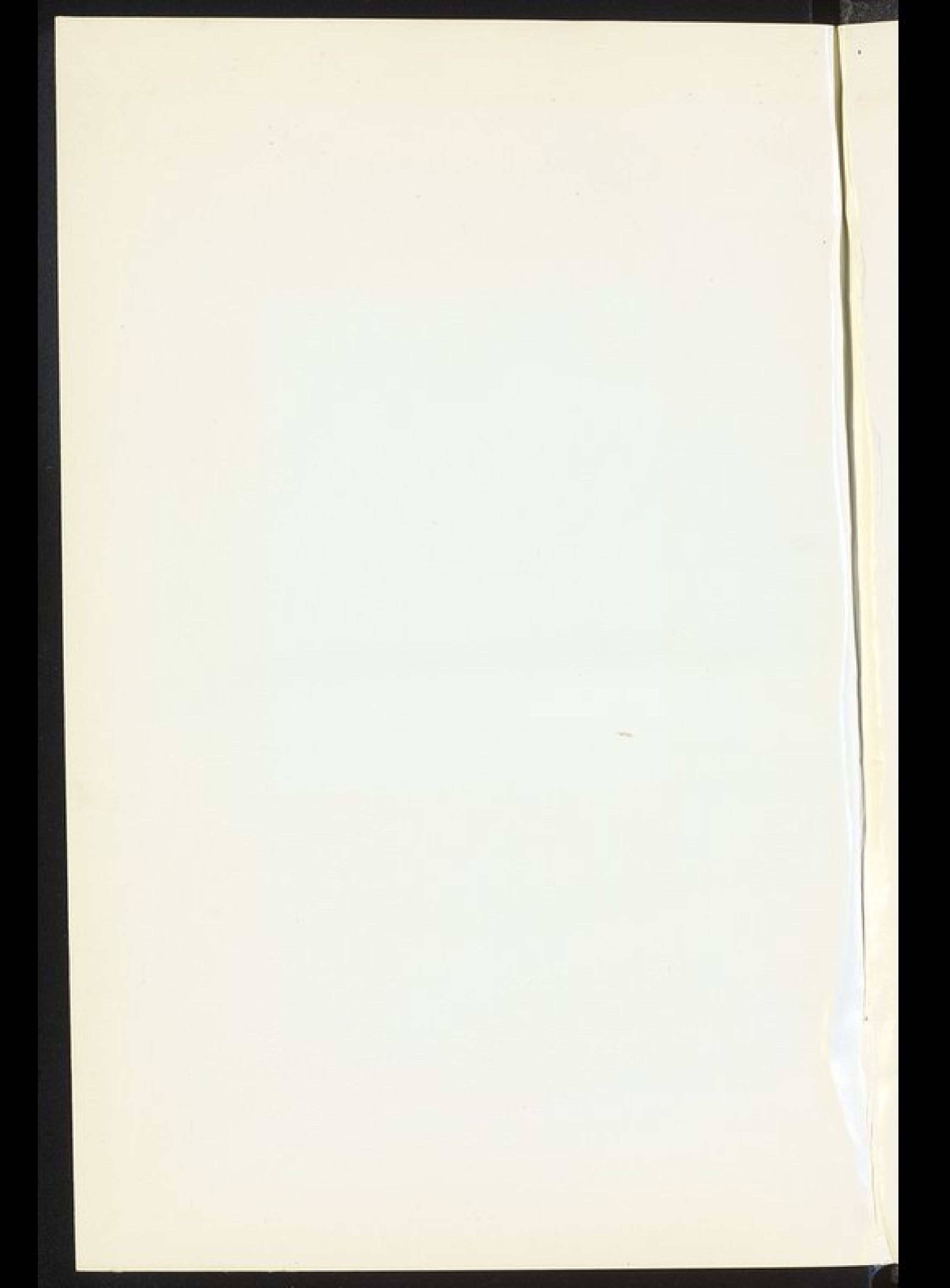
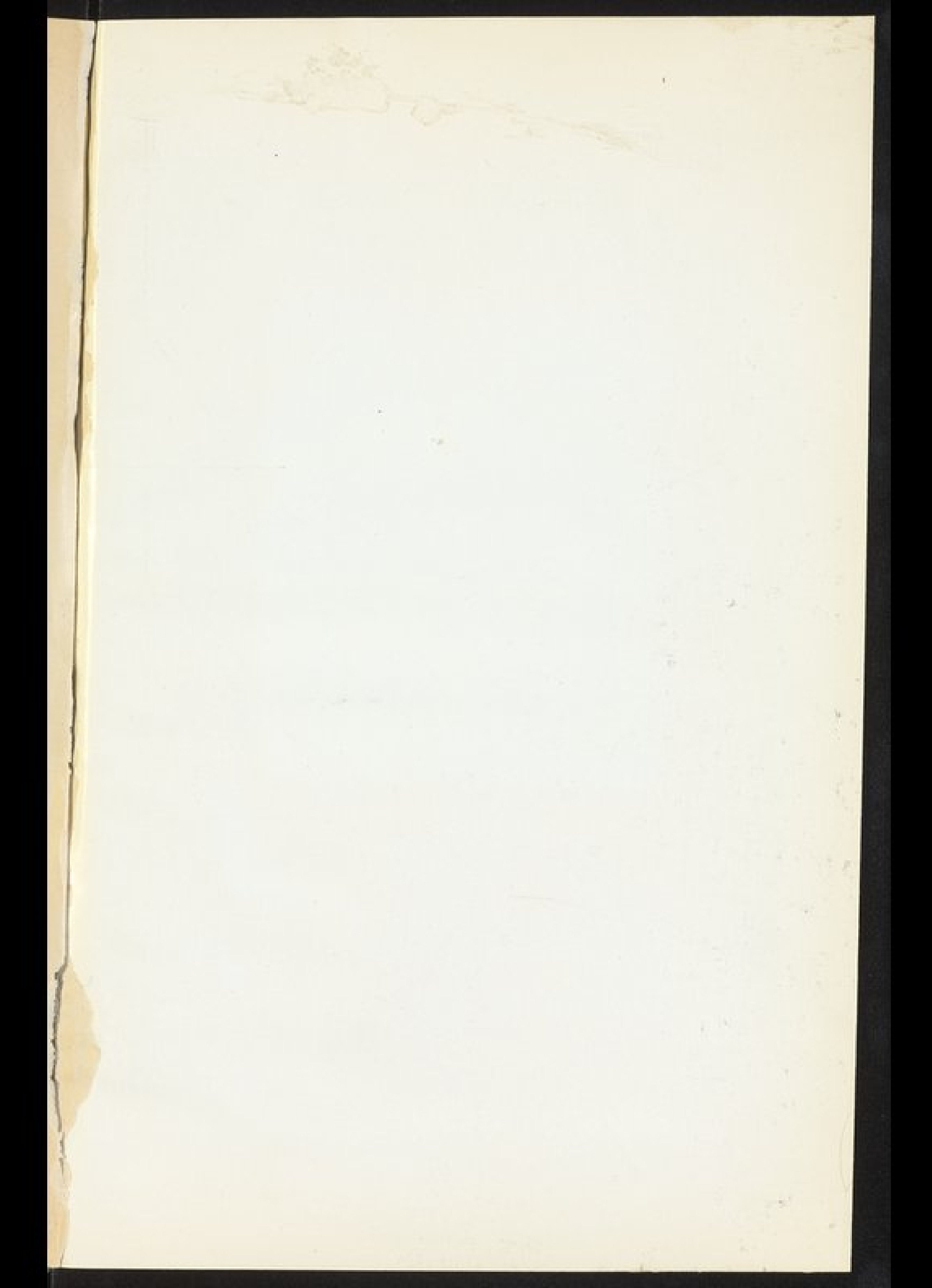
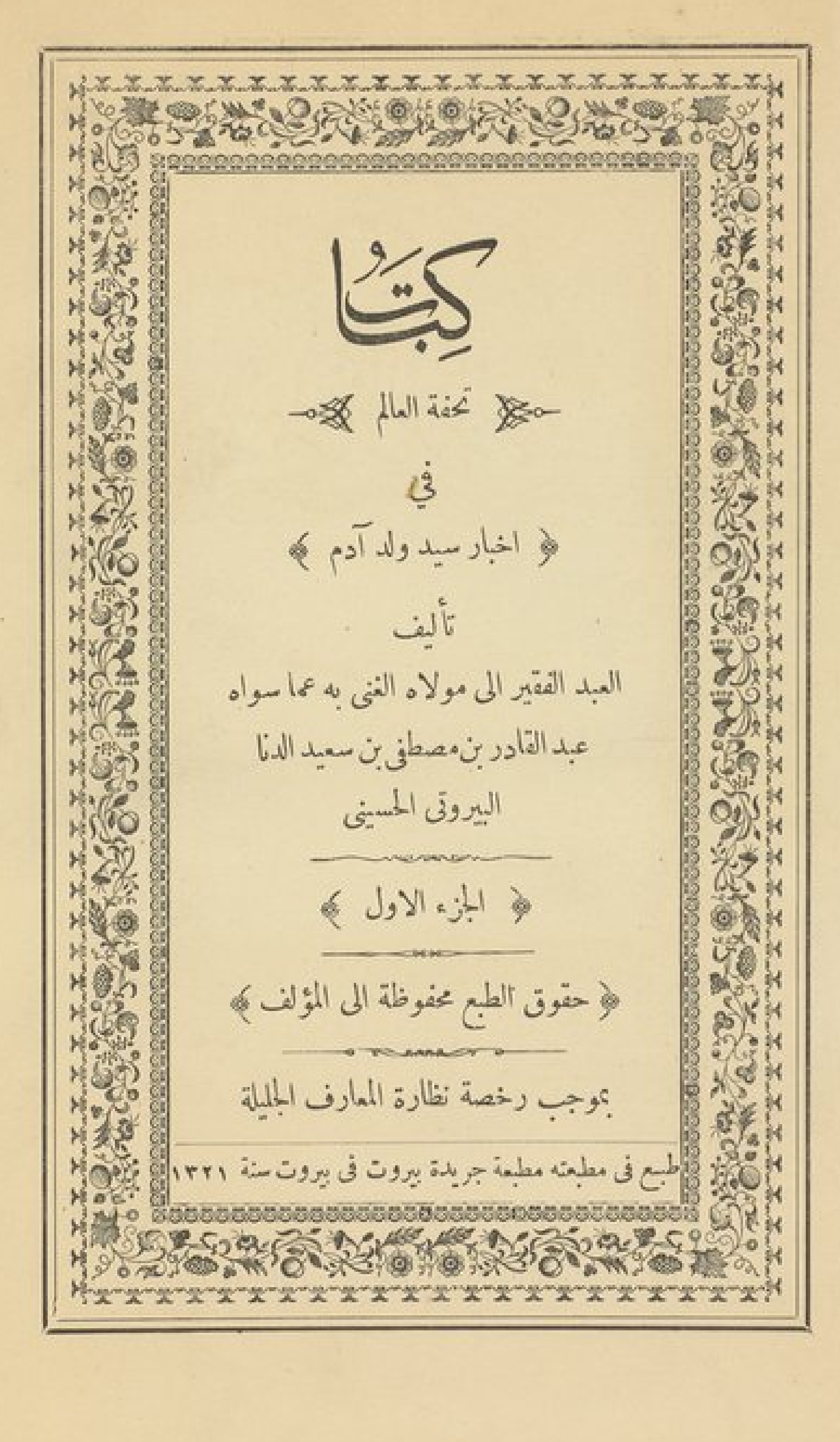










كتاب

تحفة العالم

في

اخبار سيد ولد آدم

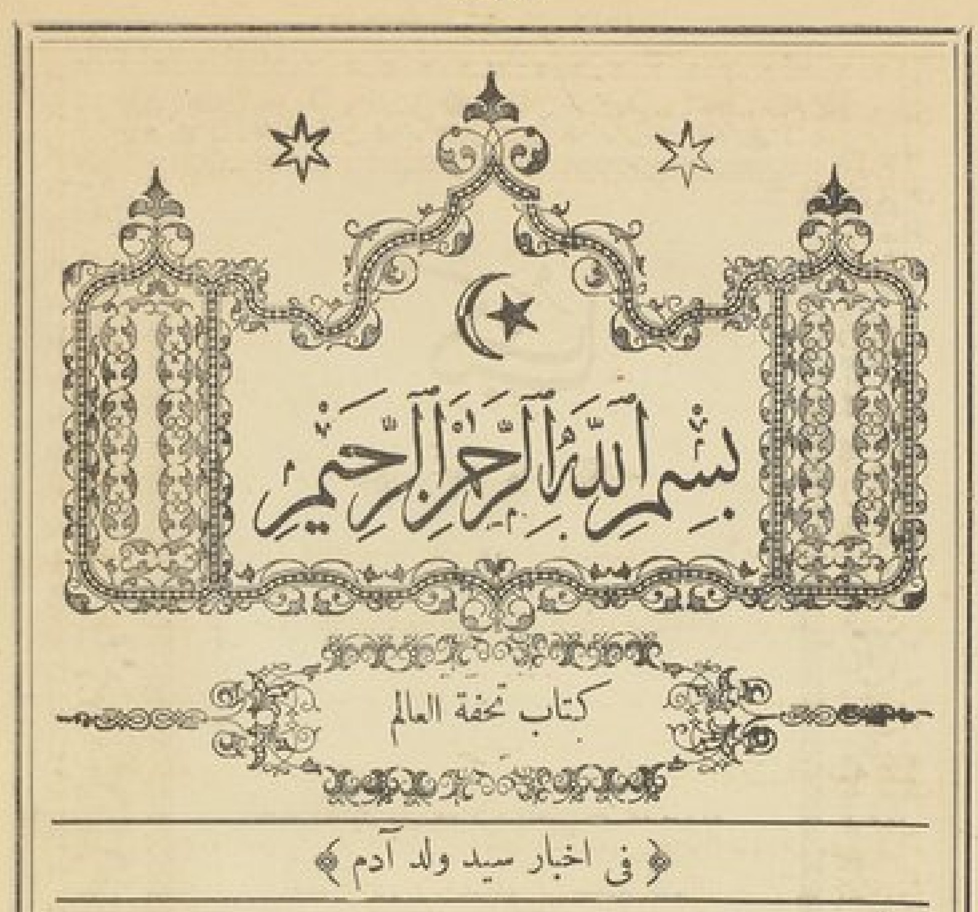
تأليف

العبد الفقير الى مولاه الغنى به عما سواه
عبد القادر بن مصطفى بن سعيد الدنا
البيروتى الحسينى

الجزء الاول

بموجب رخصة نظارة المعارف الجليلة

طبع فى مطبعته مطبعة جريدة بيروت فى بيروت سنة ١٣٢١



كتاب تحفة العالم

﴿ فى اخبار سيد ولد آدم ﴾

الحمد لله الواحد الاحد * الفرد الصمد * الذى فى سر الوهيته توحد * وفى كمال ربوبيته تفرد * المقدس عن الشريك والمساعد * المتعالى عن المماثل والمضادد * الملك الذى ملكه على ممر الدهور مؤبد * العلىّ الذى اليه الكلم الطيب يصعد * فسبحانه من اله شهدت بفردانيته الارض والسموات * واقرت بالوهيته سائر المخلوقات * استخلف فى اصلاح هذا العالم انبياء ورسلا انتخبهم من خلقه * وهيّأهم للقيام بواجب حقه * وآثرهم بوحيه والهامه * ودبرهم باوامره واحكامه * وايدهم صلوات الله عليهم بالمعجزات الباهره * والآيات الظاهره * فازاح بهم كل عله * وازال بنور علومهم كل شبهه * ثم اكمل سبحانه ما اقامه بهم من الحجه * واوضحه من المحجه * بمحمد صلى الله عليه

وسلم الذى ارسلهم قبله دعاة بين يديه * اظهاراً لفضله وعظيم مكانته لديه * كما
يشير اليه قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي
رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً
بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) * فشرف تعالى هذا الوجود *
بنبيه احمد وهو محمد والحامد والمحمود * ونوه بذكره تعظيماً لقدره وتوقيراً *
واطفأ به للمشركين ناراً * واظهر به للمؤمنين نوراً * وتكفلت الاقدار الالهية
بانفاذ نهيه وامره * وقام اسمر الليل وضوء النهار باعمال بيضه وسمره *
أسس نبوته على سوابق ازليته * ورفع دعائم رسالته على لواحق ابديته *
وكمل بسعوده جميع السعود * وجعله اصلاً ممداً لكل موجود * وفتح به
خزائن الرحمة والرحموت * ومنح بظهور انواره الملك والملكوت * وبلغه اسنى
المراتب * وجمله باحسن الاوصاف واجل المناقب * ثم ارسله مؤيداً ببدائع
الايات * وغرائب المعجزات * وروائع الخصائص والكرامات * ونسخ
جميع الشرائع بشريعته * وابطل سائر الادلة بباهر ادلته * واوضح حجته *
واخذ على انبيائه ورسله المواثيق والعهود * (لَئِنْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ
لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ) فى تبليغ رسالة الملك المعبود * فدل
ذلك على انه افضل خلق الله * واشرف رسل الله * قال تعالى مخاطباً له (قُلْ
إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) وقال (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ
فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) فمن اطاعه صلى الله عليه وسلم فقد اطاع الله * ومن عصاه
فقد عصى الله * ويكفى فى التنويه بعظيم قدره * وجليل شانه * وفخيم
ذكره * قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)

ولله در بعض السادة العارفين حيث قال مخاطباً له صلى الله عليه وسلم

(فَأَنت رسول الله اعظم كائن * وانت لكل الخلق بالحق مرسل)

(عليك مدار الخلق اذ انت قطبه * وانت منار الحق تعلو وتعدل)

(فوادك عرش الله بيت علومه * وباب عليٌ منه للحق يدخل)

(ينابيع علم الله منك تفجرت * ففى كل حين منك لله منهل)

(منحت بفيض الفضل كل مفضل * فكل له فضل به منك يفضل)

(جمعت علوم الانبياء فتاجها * لديك بانواع الكمال مكلل)

(فيامَدّة الامداد نقطة خطه * ويا ذروة الاطلاق اذ يتسلسل)

(محالٌ يحول القلب عنك وانى * وحقك لا اسلو ولا اتحول)

(عليك صلاة الله منذ تواصلت * صلاة اتصال عنك لا تتنصل)

فهو صلى الله عليه وسلم السر الجامع الفرقانى * المخصص بمواهب القرب من النوع الانسانى * قال علاّمة العلماء عياض * كمّل الله لهذا النبي الكريم المحاسن خَلقاً وخُلقاً * وجمع فيه الفضائل الدينية والدنيوية نسقاً * وخصه بمناقب لا تنقاد لزمام * وشمائل تكل دون حصرها الالسنة والاقلام * كما هو معلوم من كمال خلقته * وجمال صورته * وبراعة علمه * وصحة فهمه * وباهر حلمه * ورجاحة عقله * ووفور فضله * وفصاحة لسانه * وقوة حواسه * وجودة فطنته * وثقوب رأيه * وعظيم شجاعته * وكرم نفسه * وشدة حيائه * وحسن عشرته * وعموم شفقته ورحمته * وحسن سياسته * وزهده فى الدنيا * وخوفه من ربه * فجلالة محله صلى الله عليه وسلم من ذلك ومما تفرع عنه واتصل به متحققة عند كل من تتبع مجارى احواله * وطالع جوامع كَلِمِه * ووقف على حسن شمائله * وبدائع سيره * واطّلع على حِكَم حديثه * وعلى علمه بما فى

التوارة والانجيل وسائر الكتب المنزلة * وحكم الحكماء * وعلى معرفته بسير
الامم السالفة وايامها * وضرب الامثال * وسياسات الانام * وتقرير الشرائع *
وتأصيل الأداب النفيسه * والشيم الحميده * هذا الى فنون العلوم * وما لا
يأخذه حصر * ولا يحيط به حفظ * من انواع الكمال * وصنوف الجلال
والجمال * وما علّمه الله اياه واطلعه عليه من علم ما كان وما يكون وما اظهره
له من عجائب قدرته * وعظيم مُلكِهِ ومَلكوته * قال تعالى (وَعَلَّمَكَ مَالَمْ تَكُنْ
تَعلَمْ وكَانَ فَضلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) وبالجملة فقد حارت العقول فى تقرير
فضل الله عليه * وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهى اليه * صلى الله
عليه وسلم وعلى آله وصحابته البررة الاخيار * وورثته الكَمَلة معادن الاسرار *
ما ابتلج عن الليل الصباح * ونادى المنادى حيّ على الفلاح * (اما بعد) فيقول
العبد الفقير * المعترف بالعجز والتقصير * الراجى عفو ربه القدير عبد القادر بن
مصطفى بن سعيد بن احمد الدنا الحسينى نسباً * البيروتى وطناً * الشافعى مذهباً *
العائش فى ظل الحضرة العلية الشاهانيه * وكان فى خدمة اعتابها برئاسة محكمة
بيروت التجارية * لاخفاء ان حفظ الحديث النبوى الشريف * من اعظم
الوسائل اليه تعالى فى نيل رضاه * ومن اهم ما يتوصل به العبد الى ما يرغبه
ويتمناه * بمقتضى ما ورد فى ذلك من الاحاديث الصحيحه * والآثار الصريحه *
منها قوله صلى الله عليه وسلم (مَنْ أدَّى الى أُمَّتِي حَدِيثاً وَاحِداً يُقِيمُ بِهِ سُنَّةً
وَيَرُدُّ بِهِ بِدْعَةً فَلَهُ الجَنَّة) وايضاً فان كلام سيد الوجود صلى الله عليه وسلم
افضل الكلام بعد القرآن الكريم * ومن المعلوم ان حفظ الاحاديث النبويه *
مما ينور العقل * ويهذب الطبع * ويعلم مكارم الاخلاق * ويوصل الى رضى الله

تعالى * ولرغبتى فى هذا الفضل الكبير * والخير الكثير * صرفت فكرى الى التقاط
ماسنح لى من جواهرها السنيه * واقتطاف ما تيسر لى من ازاهر السيرة
المحمدية * واقت زمناً طويلا على مطالعة تصانيفها * دآئباً فى تحصيل نفآئسها *
لعلمى ان ذلك من اهم ما اهتبل به نبلاء الامة * واهتم بحفظه حفّاظ الله * ثم
انى أعملتُ الفكر فى تلك التآليف الجليله * فوجدتها واسعة المجال * صعبة المنال *
فطالبتنى نفسى ان اجمع منها ما يسهل جمعه * ويعم الكبير والصغير نفعه *
فاستخرت الله تعالى فى ذلك * واستعنته على سلوك هذه المسالك * ثم تجشمت
هذا الامر وان كنت لست من فرسانه * ولا ممن يحق لهم ان يجولوا فى ميدانه *
فان شغفى بالاخبار النبويه * وولوعى بمطالعة السير المصطفويه * حملانى على
القيام بأعباء ماقصدته * وانهاض الهمة الى أظهار ما نويتُه من ذلك واكننتُه *
ولما فتح الباب * وتيسرت الاسباب * شرعت فى ذلك مستمداً ممن لا
يردُّ سائله * ولا يخيب لعبده وسآئله * وجعلته على قسمين (القسم الاول)
فى ثلاثة اجزآء تشتمل على ذكر سيرته صلى الله عليه وسلم * وافتتحت الجزء
الاول منها بذكر النسب الشريف * والمحتد المنيف * وما يتعلق بذلك من ذكر
اخبار سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام * مع ذكر نبذة من اخبار العرب
واخبار بعض آبائه الكرام * وأسلافه العظام * الذين هم فى عمود النسب
الطاهر * والاصل الزكى الفاخر * ثم قفّيت ذلك بلطائف تنبىء عن سبق
نبوته صلى الله عليه وسلم ورسالته فى الازل * وعن التبشير به فى كتب الأول *
وانتشار اخباره فى الازمان الماضيه * وذكر اسمائه فى الامم الخاليه * وما وقع
من الآيات عند ولادته ورضاعه وحضانته * ونبذة من احوال نشأته *
واسرار بعثته * وتأييده بالمعجزات * وتشريفه بشرآئف الايات * الى الهجرة

النبويه * وافتتحت الجزء الثانى بالهجرة النبويه واخباره مع اليهود وغيرهم وذكر الحروب والغزوات الى فتح مكة المشرفه * وافتتحت الجزء الثالث بفتح مكة المشرفه مع ذكر بقايا السرايا والغزوات ووفود العرب وخضوع الشعوب والقبائل له صلى الله عليه وسلم وذكر كتبه ورسله الى الملوك ثم ذكر معجزاته وشمائله النبويه * وتكميل سيرته البهيه * وتفضيله فى جميع الاجزاء المذكورة فى آى التنزيل برفعة ذكره * وعلو قدره * الى غير ذلك من جميل اثره * وحميد سيره * وما تدعو اليه المناسبة من وجه واحد او من وجوه ويكون مطابقاً لما يأمله المطالع ويرجوه * وجعلت (القسم الثانى) على ثلاثة اجزاء فابتدأت الجزء الاول بذكر الانبياء والمرسلين من آدم الى سيدنا عيسى صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين * مع اخبار الاولين من الامم والآخرين * فلخصت ما جمعه منها نقلة الاخبار * وحملة الآثار * ولم اتجاوز فى النقل كتب الثقاة من المؤرخين * الذين عُرفوا بصدق ما نقلوه * وصحة ما دوّنوه * وختمته بذكر نبينا عليه الصلاة والسلام * وما بُنى عليه دين الاسلام * وبعد الفراغ من ذلك * وبلوغ الغاية فى سلوك تلك المسالك * جعلت الجزئين الاخيرين فى ذكر ما جمعته من الاحاديث الشريفة الصحيحه المشتملة على الأوامر والنواهى * والرقائق والمواعظ * ومحاسن الاخلاق * ومحامد الاداب * وجوامع الكلم النبويه * وبدائع الحكم المصطفويه * التى يعجز غير النبى صلى الله عليه وسلم عن ان ينطق بمثلها * او ينسج على منوالها * هذا مع كونه صلى الله عليه وسلم تربى يتيماً * ونشأ فى جاهلية قومه امياً * لم يتعلم كتابة ولا قرآءة * فضلا عن كونه قرأ فى مدرسة او تلقى عن استاذ او معلم * فلم يكن ذلك الا بتعليم آلهى * والقاء ربانى * ومن نظر الى ما ظهر منه صلى الله عليه وسلم من فنون المعارف

والعلوم * والاطلاع على مصالح الدنيا والدين * وعلى الشرايع وسياسة العباد * ومصالح الامة * وماكان من الامم قبله * واخبار الانبياء والرسل والجبابرة واهل القرون السالفة * الى ما لا يأخذه حد * ولا يصل الى نهايته مخلوق * على صحة ماقلناه * وتحقيق ما أصّلناه

فاكثر وبالغ لن تحيط بوصفه * واين الثريا من يد المتناول

وقد اقتصرت فيما قصدته على ذكر الاحاديث الشريفه * دون اسانيدها ما عدا راوى الحديث من الصحابة الكرام * ومُخرّجه من أئمة الحديث الاعلام * وصدرت المطالب بآيات قرآنيه * تأييداً لما ذكرته فيها من الاحاديث النبويه * ووشحت ما يحتاج منها الى تفسير او شرح باوضح العبارات * وانفس التنبيهات * فجاء بحمده تعالى تأليفاً جامعاً كما اردته * وعلى الوجه الذى اخترته * ذاهباً مذهب التهذيب * مزداناً بنقول مبرأة من الريب والتكذيب * مُعجباً بنسجه الرفيع * وطرز بُرده البديع * مفتخراً بكونه نشأ فى ايام خليفة الله على خلقه * وامينه على رعاية حقه * مَن أعلى للعلم مناره * وافاض على طالبيه انواره * ونفذ به احكامه * وعضد ولاته وحكامه *

(مولى ملوك الارض من فى حكمه * مقباس عدل ايما مقباس)
(من أسرةٍ شرفت وجلت واعتلت * من ان يقاس علاؤها بقياس)
(نال الخلافة والداً عن والدٍ * بصحيح اسناد بلا الباس)

حضرة سيدنا ومولانا امير المؤمنين * حامى حمى الأمة والدين * واسطة عقد سلاطين آل عثمان * الوارثين خلفاً عن سلف خلافة الاسلام * السلطان ابن السلطان السلطان الغازى ﴿عبد الحميد خان﴾ * ابن السلطان الغازى (عبد المجيد خان) * ابن السلطان الغازى (محمود خان) * ما برحت الوية

نصره فى الخافقين خافقة * والسنة الاقلام على مرور الايام بمدحه والدعاء له ناطقه

ثم بعد تحرير الكتاب وتهذيبه * وامعان النظر فى اسلوبه وترتيبه * سميته (تحفة العالم * فى اخبار سيد ولد آدم) راجياً منه تعالى ان يجزل لى الثواب * وييسر فى تتميمه الاسباب * وان يكلله بدرر القبول والاقبال * ويصرف اليه قلوب اهل الفضل والافضال * ويلهمهم اسبال الستر عليه * والاغضاء عن هفواته بعد امعان النظر فيه * وعند الافاضل تلتمس المعاذير * ويرجى العفو عن التقصير * وبعد أن أتممته جعلته تقدمة الى حضرة صاحب الخلافة العظمى * والمقام الرفيع الاسمى * راجياً من المراحم العليه * ان تشمله بالانظار الاكسيريه * وتجمله بالحلل التشريفيه * اذ باقبالها ايدها الله عليه * وبحسن توجهها اليه * يحصل المطلوب * ويتهيأ المرغوب * هذا وانى من فيوضات فضل الله تعالى استمد * وعلى جميل صنعه اعتمد * وحسبي الله ونعم الوكيل * ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم *

باب

﴿فى ذكر النسب الشريف المحمدى والمحتد المنيف الاحمدى﴾

فمما لا يحتاج الى اقامة دليل لوضوحه انه صلى الله عليه وسلم نخبة بنى هاشم * وصفوة قريش * واشرف العرب والعجم * وسيد اهل مكة اكرم بلاد الله على الله وعلى عباده * قال ابن عباس رضى الله عنهما لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح جعل نور نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فى صلبه كما جعل فيه انوار الانبياء من ذريته * فكان نور محمد صلى الله عليه وسلم يغلب على تلك الانوار * ولما توفى آدم انتقلت تلك الانوار الى ولده شيث وكان

وصيه على اولاده ثم عند وفاة شيث اوحى الله اليـه ان يتخذ ولده أنوش
بفتح الهمزة صفياً ووصياً فاستخلفه شيث على ولده واوصاه بوصية آدم
وهى ان لايضع تلك الانوار اى التى تنتقل من اصلاب الآباء الى ارحام
الامهات الا فى المطهرات من النساء * ولم تزل هذه الوصية جارية معمولا بها
قرناً فقرنـاً الى ان نقل الله ذلك النور المحمدى الى عبد المطلب ثم الى ولده
عبدالله فطهر الله هذا النسب الشريف من سفاح الجاهلية * كما ورد عنه صلى
الله عليه وسلم فى الاحاديث الصحيحة المرضيه * الثابتة عند العلماء الاعلام * ائمة
الاسلام * روى البيهقى فى سننه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم { ما ولدنى } مَا مَسَّنى { من سفاح الجاهلية شىء }
والسفاح الزنا { ماولدنى الا نكاح الاسلام } اى كنكاحه فى كونه بعقد صحيح
فالمقصود نفى الفجور فشمل الزواج والتسرى فدخل فيه هاجر ام اسماعيل
عليه السلام بالاجماع وهاجر وهبتها سارة لابراهيم عليه السلام فتسرى بها
فاولدها اسماعيل عليه السلام * وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه ان النبى
صلى الله عليه وسلم قال (خرجت من نكاح ولم اخرج من سفـاح الى ان
ولدنى أبى وأمى لم يصبنى من نكاح أهل الجاهلية شىءٌ) رواه
الطبرانى فى الاوسط وقال صلى الله عليه وسلم { أهبطنى الله فى صلب آدم
الى الارض ثم جعلنى فى صلب نوح ثم قذف بى فى صلب ابراهيم
ولم يزل ينقلنى من الاصـلاب الطيبة الى الارحام الطـاهرة حتى
أخرجنى بين ابوىَّ لم يلتقيـا على سفاح قط } وقال انس بن مالك رضى
الله عنه قرأ النبى صلى الله عليه وسلم قوله تعـالى { لقد جاءكم رسولٌ من
أنفسكم } بفتح الفـاء وقال انا انفسكم نسبـاً وصهراً وحسباً اى من جهة

الآباء والامهات ليس فى اباءى من لدن آدم سفاح كانا انا وآباءى ذوو نكاح

حفظ الاله كرامة لمحمد * آباءه الامجاد صونا لاسمه

تركوا السفاح فلم يصبهم عاره * من آدم والى ابيه وامه

فهو صلى الله عليه وسلم سلالة الطيبين الطاهرين * ونخبة الكرام الموحدين * النبى * الامى * العربى * القرشى * الهاشمى * المنتخب من خير بطون العرب * واعرقها فى النسب * واطيبها أرومة * واقواها جرثومة * وافصحها لسانا * واوضحها بيانا * واعزها نفرا * واكرمها معشرا * من قبل ابيه وامه *

سيدنا محمد

ابن عبدالله * بن عبد المطلب * بن هاشم * بن عبد مناف * بن قصى * بن كلاب واسمه حكيم * بن مرة * بن كعب * بن لؤى * بن غالب * بن فهر * بن مالك * بن النضر * بن كنانة * بن خزيمة * بن مدركة * بن الياس * بن مضر * بن نزار * ابن معدّ * بن عدنان * واختلف النسابون فيما فوق عدنان والذى ذهب اليه اكثر العلماء بان عدنان هو ابن أدّ * بن أدد * بن اليسع * بن الهميسع * بن سلامان ابن نبت * بن حمل * بن قيدار * بن اسماعيل * بن ابراهيم الخليل عليهما السلام * ولم يشركه صلى الله عليه وسلم فى ولادته من ابويه اخ ولا اخت لانتهاء صفوتهما اليه * واقتصار نسبهما عليه * ليكون مختصاً بنسب جعله الله للنبوة غايه * ولتمام الشرف نهايه * فهو صلى الله عليه وسلم نخبة بنى هاشم * وهم نخبة قريش * وقريش نخبة العرب * قال الامام الابوصيرى يخاطب النبى صلى الله عليه وسلم

﴿ نسبٌ تحسب العلا بحلاهُ   قلدتها نجومها الجوزاء ﴾

﴿ حبذا عقد سؤدد وفخار   انت فيه اليتيمة العصماء ﴾

فصل

﴿فى ذكر نبذة من اخبار الامم البائدة كعاد وثمود وما اليهم﴾

اعلم ان الامم البائدة هم من اقدم الامم بعد الطوفان وعصر نوح عليه السلام واعظمهم قدرة * واشدهم قوة * وقد كثرت اجيالهم * وتطاولت آمادهم * وهم عاد وثمود وهما مذكوران فى القرآن الكريم والعمالقة * وطسم * وجديس * واميم * وعبل * وعبد ضخم * وجرهم الاولى * وحضرموت * وحضارا * وسلافات * وهذه الامم المذكورة انطقهم الله بلسان العربية لما تبلبلت الالسن ببابل عند تفرق بنى نوح منها فكان هذا لسانهم لاول نشأتهم وقيل لهم العرب العاربة والعرب العرباء والامم البائدة غير انه لم يطلق عليهم اسم العرب وانما اطلق واشتهر بين امم العالم على يعرب بن قحطان وبنيه وقال فى كتاب العبر لم يزل هولاء الامم يعنى عاداً وثمود ومن معهم موسومين بين الامم بالبيان فى الكلام * والفصاحة فى النطق * والذلاقة فى اللسان * ولذلك سموا بعد ذلك بهذا الاسم اى بالعرب ومنه قولهم اعرب الرجل عما فى ضميره وسماهم المورخون الطبقة الاولى * ولما تغلب بنو حام على بابل انتقلت هذه الامم المذكورة الى الجزيرة المعروفة لنزولهم فيها بجزيرة العرب * وهى الارض التى احاط بها بحر الهند من جنوبها * وخليج الحبشة من غربها * وخليج فارس من شرقها * وفيها اليمن والحجاز وعمان والشحر وحضرموت * وامتد نفوذهم فيها الى الشام ومصر فى شعوب وقبايل منهم فكانت مواطن بنى عاد بن عوص بن ارم بن سام باحقاف الرمل بين اليمن وعمان وحضرموت والشحر * وسميت هذه الشعوب كلها بالعرب العاربة والعرب العرباء اى القاعلة للعربية والمبتدعة لها لانها كانت اول اجيالها وقد يطلق عليها ويعبر

عنها بالامم البائدة لان الله تعالى اباد هم واهلكهم لعتوهم وضلالهم فلم يبق
على وجه الارض منهم احد * قال تعالى ﴿ فهل ترى لهم من باقيه ﴾ ولم
يقع لاحد منهم فى التوراة ذكر ولا لهود ولا لصالح عليهما السلام لان سياق
الاخبار فى التوراة انما هو لمن كان فى عمود النسب ما بين موسى وآدم
صلوات الله عليهم وليس لاحد من اباء هولاء الاجيال ذكر فى عمود
ذلك النسب فلذلك لم يذكروا فيها * وكان قحطان وبنوه معاصرين لهم على
امورهم وما زالوا مجتمعين معهم فى مجالات البادية الى ان اصيب اولئك
بذنوبهم ثم بعد اباد تهم اشتهر بعدهم جيل يعرب بن قحطان باسم العرب وهو
من ذرية سام بن نوح سكن اليمن بعد الامم البائدة المذكورة وتشعبت
فصائل بنيه وتعددت عشايرهم ونمى عدد بطونهم فجعلهم بعض المؤرخين
طبقة ثانية وسماهم العرب المتعربة لكونهم اخذوا العربية عن الامم البائدة
وتعلموها منهم * ولما سكن اسماعيل عليه السلام الحجاز وتزوج من جرهم
الثانية من بنى قحطان قيل لبنيه العرب المستعربة وسماهم ابن خلدون العرب
التابعة وانما اكثر علماء هذا الشان ذهبوا الى ان العرب المستعربة هم
بنو اسماعيل عليه السلام * وهو الذى عليه المعول وعليه اصطلح العلماء وانما
سموا بذلك لاتصالهم بجرهم الثانية من بنى قحطان * واما جرهم الاولى فانها
من الامم البائدة ولشهرة اطلاق اسم العرب على جيل يعرب بن قحطان
المذكور وما تناسل منه من العرب التابعة وما تناسل من ذرية اسماعيل من
العرب المنسوبة اليه صار اطلاقه على الجيل الاول اى الامم العربية البائدة نسياً
منسيا * هذا تلخيص ما دارت عليه اقوال العلماء المحققين * فاشدد عليه يد
الضنين * وكانت للعرب المستعربة من ولد اسماعيل فى ربيعة ومضر ايام

عظيمة * وآثار جسيمة * وصل نفوذهم الى طنجه من المغرب * والى سمرقند من المشرق * واما من حيث الديانة فقد كانوا فيها اصنافاً فمنهم من اعترف بالخالق تعالى وانكر البعث ومنهم من عبد الاصنام ومنهم من عبد الملائكة ومنهم من مال الى اليهودية ومنهم من مال الى النصرانية ومنهم من مال الى الصابئة وبقيت فيهم بقايا من دين اسماعيل عليه السلام فكانوا لا ينكحون الامهات ولا البنات ولا الاخوات ولا يجمعون بين الاختين * وكانوا يحجون البيت ويغتسلون من الجنابة ويداومون على المضمضة والاستنشاق والسواك والاستنجاء ونتف الابط وحلق العانة والختان ويقطعون يد السارق ويعطون دية المقتول مائة من الابل ويطلقون النساء وتعتد المرأة التى مات زوجها سنة * وكانت علومهم علم الأنساب والنجوم وتعبير الرؤيا ونظم الاشعار وتحبير الخطب ولا يصل الى احد من اهل المشرق والمغرب خبر الا بواسطتهم وذلك انهم كانوا يأخذون اخبار العالم نظراً للكثرة تجولهم فى الارض فمنهم من سكن مكة والحجاز واليمن ومنهم من سكن الحيرة وعلم اخبار الفرس ومن سكن البحرين علم اخبار الهند والسند ومن سكن الشام علم اخبار الرومان واليونان وبنى اسرائيل * وكانوا يفتخرون بالبيان فى الكلام والفصاحة فى المنطق والوفاء بالعهد واكرام الضيف وعلو الهمة * ثم انعم الله على اعقابهم بالاسلام فتمت لهم به جميع الكمالات البشرية ديناً ودنيا مما يشهد به العيان * وليس بعد العيان بيان * وقد تمت الفضائل والفواضل ايضاً لجميع من دخل من الامم فى دين الاسلام وناهيك بما قام به سلاطين الدولة العلية العثمانية اعلى الله منارها * وايد انصارها * فانهم قاموا بتأييد الدين اى قيام * وشيدوا اركانه ونظموا شؤونه اي انتظام * واستمر الامر على ذلك

من عهد السلطان ﴿ الغازى عثمان خان الاول ﴾ الى ان آل امر الخلافة العظمى
الى وارث مجدهم والحائز على شرف سؤددهم حضرة سيدنا ومولانا
السلطان بن السلطان السلطان الغازى ﴿ عبد الحميد خان ﴾ ادام الله ايامه *
وايد احكامه * ونشر فى الخافقين اعلامه * آمين اللهم آمين

فصل

﴿ فى ذكر نبذة من اخبار سيدنا ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ﴾

اعلم ان ابراهيم عليه السلام بعد ان ارسل الى الكلدانيين ببابل وكسر
الاصنام وقذفه نمرود بن كوش فى النار فكانت عليه بردا وسلاماً بامر الله
تعالى اذن الله له فى الهجرة من ارض الكلدانيين الى الشام فخرج ومعه ابن
اخيه لوط وزوجته سارة بنت عمه هاران الاكبر وجماعة امنوا به فاقاموا
بحران بالعراق ثم اوحى الله اليه ان يخرج بمن معه الى ارض الكنعانيين بالشام
ووعده كما فى التوراة بان تكون ارض البنيه وانهم يكثرون مثل حصى الارض
ونزل بوادى بيت المقدس وهو ابن خمس وسبعين سنة ثم اصاب بلاد
الكنعانيين قحط ومجاعة شديدة فخرج ابراهيم عليه السلام فى اهل بيته
الى مصر وفى مدة اقامته بها وصف جمال السيدة سارة لفرعون مصر الذى
كان فى ذلك الوقت وهو سنان بن علوان ملك القبط فاحضرها عنده
ولما همّ بها يبست يداه الى صدره فطلب منها الاقالة فدعت الله تعالى له
فانطلقت يداه والقى الله الرعب فى قلبه منها فردها الى ابراهيم عليه السلام
سالمة مسلمة لم تصل يداه اليها واخدمها هاجر ولما عاد ابراهيم عليه السلام
الى الشام بمن معه نزل بقرية حبرون واستوطنها وفيها مدفنه ومدفن جماعة
من آله عليهم السلام وهى الان تسمى بالخليل ثم ان سارة وهبت له عليه

السلام مملوكتها هاجر لعشر سنين من رجوعه من مصر الى الشام وقالت
لعل الله يرزقك منها ولدا وكان ابراهيم سأل الله ان يهب له ولدا فوعده به
وكانت سارة قد كبرت وعقمت فولدت هاجر لابراهيم اسماعيل عليهما
السلام لست وثمانين سنة من عمره واوحى الله اليه كما فى التوراة قد باركت
عليه وكثرته ويولد له اثنا عشر ولدا ويكون رئيساً لشعب عظيم يعنى العرب
ثم ان سارة ادركتها الغيرة فناشدته ان يخرج هاجر وابنها من عندها
فاخرجهما بوحى من الله تعالى الى مكة على البراق وسنأتى على بيان البراق
فى قصة المعراج وانزلهما بمكان زمزم عند دوحة كانت هناك وانقلب راجعاً
الى الشام بعد ان ودعهما وقالت له الى من تكلُنا هنا قال الى الله تعالى فقالت
ألله امرك بهذا قال نعم قالت اذن لا يضيعنا وقد ورد فى القرآن الكريم دعاء
ابراهيم عليه السلام لابنه اسماعيل وبنيه قال الله تعالى حاكيا عنه عليه السلام
﴿ ربنا انى اسكنت من ذريتى بوادٍ غير ذى زرع عند بيتك المحرم ﴾
قال الامام الورتجي فيه اشارة الى تربية اهله بحقائق التوكل والرضى
والتسليم لان العارف ينبغى ان لا يكون معوله على الاملاك والاسباب فى
حياته وبعد وفاته لتربية عياله فانه تعالى كفاه فى ذلك ثم قال ﴿ ربنا ليقيموا
الصلاة ﴾ اى اسكنتهم عند بيتك المحرم لاقامة حقك لا لطلب حظوظهم
واكتفيت بان يكونوا فى ظل نعيمهم فهم مطرحون ببابك مقيمون فى
حضرتك فان رعيتهم وكفيتهم كانوا أعز خلقك وان اقصيتهم ونفيتهم كانوا
أضعف واذل خلقك ثم قال ﴿ فاجعل أفئدة من الناس تهوِى اليهم ﴾
اى قلوبا تحن اليهم وتميل الى خدمتهم ومواساتهم قال ابن عباس رضى الله
عنهما لو قال افئدة الناس لحنت اليهم فارس والروم والناس كلهم فقوله افئدة

من الناس معناه جماعة من الناس يقومون بكفايتهم ليشتغلوا بعبادتك ﴿وَارْزُقْهُم مِنَ الثَّمرات﴾ فان من قام بحق الله قام الله بحقه وقد استجاب الله دعاءه فجعل ذلك الوادي حرماً امناً تجبي اليه ثمرات كل شيء حتى انه توجد فيه الفواكه الربيعية والصيفية والخريفية في يوم واحد وصارت قلوب اهل البر والبحر مجبولة على محبة ذلك البيت المعظم واولئك المصلين من سكانه ثم قال ﴿رَبَّنا إنَّك تعلَمُ ما نُخفي وما نُعلِنُ وما يَخفى على اللهِ مِن شيءٍ في الأرض ولا في السَّماء﴾ اي انك اعلم باحوالنا ومصالحنا وارحم بنا منا بانفسنا فلا حاجة الى الطلب لكنا ندعوك اظهاراً للعبودية وافتقاراً الى رحمتك واستعجالا لنيل ما عندك من الخير *

وبعد انصراف ابراهيم عليه السلام بمدة قليلة نفد زاد هاجر وابنها فجاعا وعطشا واشتد بهما الامر وقامت هاجر تتردد بين الصفا والمروة الى ان صعدت عليهما سبع مرات لعلها تجد شيئاً او ترى ما يزيل شدتها وهي تقول اللهم انا وديعة نبيك وخليلك عندك فلا تضيعنا يامن لا تضيع عنده الودائع يا ارحم الراحمين * فرأت وهي مقبلة الى اسماعيل انسانا واقفاً عنده فلما قربت منه ركض برجله الارض فنبع الماء فاستطارت بذلك فرحا لما رأته وجعلت تحيط الماء بالتراب وتجمعه في تلك الحفرة حتى لايسيل على اطرافها فقال لها جبريل وهو في صورة انسان انهاري لاتخافي الظمأ وانها عين يشرب بها ضيفان الله تعالى وان هذا الغلام واباه سيبنيان بيتاً هذا محله ثم تركها وغاب عنها فلبثت هاجر وابنها خمسة ايام يشربان من ذلك الماء فيقوم بها ويجزئهما عن الطعام والشراب * فلما كان اليوم السادس اقبل غلامان من جرهم وكانوا مقيمين بعرفات ونواحيها يريدان بعيرا لهما فاشرفا

على جبل ابى قبيس فابصرا الماء فتعجبا وانطلقا الى قومهما فاعلماهم بذلك *
فاقبل نفر من اعيانهم فابصروا الماء ونظروا الى اسماعيل وهاجر وكانت تفهم
لغتهم فسألوها فاخبرتهم بخبرها فقالوا لولا ان هذا الغلام كريم على الله تعالى
ما انبع له هذا الماء بهذا المكان افتأذنين لنا ان ننقل باهلينا الى هذا المكان
فنقيم معكما به على ان الاسكان يكون لهذا الغلام متى اخرجنا منه وله عندنا
المواساة فى اموالنا وان نجعله اذا ادرك رئيسنا قالت نعم ان وفيتم فدونكم *
فذهبوا واخبروا قومهم وانتقلوا جميعاً وابتنوا المنازل والبيوت ونشأ اسماعيل
عليه السلام بينهم وكانت لغتهم العربية الصحيحة الفصيحة وشب حتى بلغ
الحلم فصار افصحهم لساناً واحسنهم لهجة فقسموا له من اموالهم ما صار به
اكثرهم ابلا وغنماً وعلمه الله الرمى فكان لا يرمى شيئاً الا اصابه ولما تمت له
عشرون سنة تزوج حرا وقيل اسمها عمارة بنت سعيد الجرهمى وكان
ابراهيم عليه السلام يأتى لزيارته على البراق فينظر اليه ويرجع لوقته بشرط
من سارة فكان يأتيه فى غدوة ويرجع فى روحة فجاء ابراهيم عليه السلام
كعادته فخرجت زوجته وقالت ما تشاء ياشيخ فقال اريد اسماعيل
فقالت خرج يبتغى لنا صيدا فرآها فظة غليظة فقال لها قولى لاسماعيل عند
رجوعه يحول عتبة بابه فلما جاء وقصت عليه الخبر والوصية قال ذاك ابى
يامرنى ان اطلقك فطلقها وتزوج بعدها دعلة وقيل اسمها السيدة بنت مضاض
الاكبر سيد جرهم ثم جاء ابراهيم فوجد اسماعيل غائباً عن بيته فسأل دعلة
او السيدة زوجته فاحسنت الجواب وتسهلت له بالاذن فى النزول واحسنت
التحية وقربت له الوضوء ثم لما ابى ان ينزل جاءته بحجر كان عندها فى البيت
وقالت له بابى وامى ائذن لى فى غسل رأسك فال عليه السلام بشقه الايمن

ووضع رجله اليمنى على الحجر فغسلته ودهنته بدهن طيب عندها ثم حولت الحجر الى شماله فوضع رجله اليسرى عليه ومال براسه نحوها فغسلته ثم رجلته اى مشطته ودهنته بدهن طيب واثرت قدماه عليه السلام فى الحجر فلما رأت دعلة ذلك اكبرته فقال لها ابراهيم ارفعيه عندك فسيكون له شأن وبقاء الى حين ثم قال لها كيف عيشكم قالت خير عيش ماء عذب ومرعى طيب فقال بارك الله لكم فى ماءكم ومرعاكم ثم اتته بطعام ورفعته على رأسها ليسهل عليه التناول منه فلما فرغ من الغذاء قال لها اذا اتى اسماعيل فاخبريه بقدومى عليه وقولى له انى لم اجد السبيل الى النزول وانا عائد ان شاء الله تعالى وقولى له يثبت عتبة الباب فلما امسى اسماعيل جاء فقال لامرأته هل اتاك من أحد فى غيبتى فاخبرته بما وقع فقال لها ذاك ابى نبى الله ابراهيم يأمرنى بامساكك فبكت وقالت يالهف نفسى لو كنت عرفته لكان يرى اكثر مما كان فقال لها اسماعيل لقد احسنت واجملت

فصل

﴿ فى ذكر ما ورد فى امر الذبيح ﴾

اختلف علماء الامة فى تعيين الذبيح من ولدى ابراهيم عليه السلام لعدم النص على ذلك فى القرآن الكريم قال تعالى ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْىَ قَالَ ﴾ اى ابراهيم ﴿ يَابُنَىَّ إِنِّى أَرَى فِى الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِى إِن شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ فذهب عبدالله بن عمر وعبدالله بن عباس وابو الطفيل عامر بن واثلة وكثير من

التابعين وتابيعهم منهم سعيد بن المسيب والشعبي ويوسف بن مهران ومجاهد
والحسن البصرى وعطاء بن ابي رباح الى انه اسماعيل قال ابن عباس فيما رواه
عنه سعيد بن جبير وغيره ان اسماعيل هو الذبيح وان الله تعالى فداه بالكبش
فذبحه وهو كبش املح أقرن اعين ينظر فى سواد وان ابراهيم عليه السلام
نحره اى ذبحه بالمنحر من منى ثم قال والذى نفسى بيده لقد كان فى اول
الاسلام قرنا ذلك الكبش معلقين فى ميزاب البيت الحرام قد نحسا بنحاس
قال بعضهم واستمرا الى ان احترق البيت فى ايام الحجاج فاحترقا معه وان رمى
الجمرات سنة ابراهيم عليه السلام لما تعرض له الشيطان حين ذهابه للذبح قال
فى نزهة النواظر ان ابراهيم عليه السلام كان يزور اسماعيل وهاجر فى كل
شهر على البراق يأتى مكة غدوة ثم يرجع الى منزله بالشام وفى بعض زياراته
كانت قصة ذبح اسماعيل والفداء وكان اسماعيل اذ ذاك بلغ السعى اى صار
فى سن من يسعى مع غيره فى الاعمال والمراد انه مراهق له ثلاثة عشر سنة
قاله البيضاوى فى انوار التنزيل وقال محمد بن كعب القرظى وكان من اعلم
التابعين وافاضلهم انا نجد فى كتاب الله تعالى ان الذبيح اسماعيل وذلك ان
الله تعالى لما فرغ من قصة الذبيح قال (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَقَ) فدل ان قصة
الذبيح كانت متقدمة على البشارة باسحق ولان الامم توارثت المنحر بمنى
من زمن الخليل عليه السلام وهلم جرا وموضع المنحر بمنى مشهور وهو من
شعائر الحج قال الامام البيضاوى فى تفسير قوله تعالى ﴿ قَالَ ﴾ اى ابراهيم
﴿ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى ﴾ اى حيث امرنى ربى وهو الشام ﴿ سَيَهْدِينِ ﴾ اى
الى ما فيه صلاح دينى ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ اى بعض الصالحين
يعيننى على الدعوة ويؤنسنى فى الغربة يعنى الولد لان لفظ الهبة غالب فيه ولقوله

(فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ) اى بشره بولد وبأنه ذكر يبلغ او ان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم ويكون حليما واى حلم مثل حلمه حين عرض عليه ابوه الذبح وهو مراهق فقال له افعل ما تؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين ولم يصف الله نبياً بالحلم لعزة وجوده غير ابراهيم وابنه عليهما السلام وحالهما المذكورة بعد تشهد عليه (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) اى فلما وجد وبلغ ان يسعى معه فى اعماله (قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) قيل انه راى ليلة التروية ان قائلا يقول له ان الله يأمرك بذبح ابنك فلما اصبح رَوّأ فى الامر اى نظر هل هو من الله او من الشيطان فلما امسى رأى مثل ذلك فعرف انه من الله ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره وقال له ذلك ولهذا سميت الايام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر والاظهر ان المخاطب اسماعيل لانه الذى وُهِب له اثر الهجرة ولان البشارة باسحق بعد معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولان الذبح كان بمكة وكان قرنا الكبش معلقين بالكعبة حتى احترقا معها فى ايام ابن الزبير قال الامام الثعلبي بعد ان ساق الخبر وذكر قرنى الكبش وحرقهما مع الكعبة وهذا اول دليل على ان الذبيح اسماعيل والامام الثعلبي هذا كان من اهل القرن الرابع وعلمائه الذين تشد اليهم الرحال لاخذ العلم قال الامام البيضاوى ولم يكن اسحق ثمة اى بمكة ولان البشارة باسحق كانت مقرونة بولادة يعقوب منه فلا يناسبها الامر بذبحه مراهقا وما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سألته اليهود اى النسب اشرف قال يوسف صديق الله ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فالصحيح الثابت انه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم وهذه الزوايد كلها من الراوى لا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وما روى

عن يعقوب انه كتب الى ابنه يوسف مثل ذلك لم يثبت عنه فهو من تقولات
اليهود قال بعض العارفين بالله تعالى ان الله تعالى اجرى العادة البشرية
ان بكر الاولاد احب الى الوالدين ممن بعده وابراهيم لما سأل ربه الولد
ووهبه له تعلقت شعبة من قلبه بمحبته والله تعالى قد اتخذه خليلا وللخلة
منصب يقتضى توحيد المحبوب بالمحبة وان لا يشارك فيها فلما اخذ الولد شعبة
من قلب الوالد جاءت غيرة الحق تنزعها من قلب الخليل ليتمحض للجليل
فامر بذبح المحبوب فلما عزم على ذبحه وكانت محبة الله عنده اعظم من محبة
الولد خلصت الخلة حينئذ من شوائب المشاركة فلم تبق فى الذبح مصلحة اذ
كانت المصلحة انما هى العزم وتوطين النفس وقد حصل المقصود فنسخ الامر
وفدى الذبيح وصدق الخليل الرؤيا قال العلامة الشهير بابى سعيد الضرير لما
سئل عن الذبيح هذين البيتين ارتجالا

ان الذبيح هديت اسماعيل * ظهر الكتاب بذاك والتنزيل
شرفا به خص الاله نبينا * ودليله التفسير والتأويل

وروى الحافظ المعافى بن زكريا النهروانى المفسر الثقة ان عمر بن عبد
العزيز سأل رجلا اسلم من علماء اليهود فى ايامه اى ابنى ابراهيم أُمِرَ بذبحه
فقال والله ياامير المؤمنين ان اليهود ليعلمون انه اسماعيل ولكنهم يحسدونكم
معشر العرب ان يكون هو اباكم وذلك للفضل الذى ذكره الله عنه فهم يجحدون
ذلك مع العلم به ويزعمون انه اسحق لانه ابوهم وبالجملة فجميع ما ذكرناه يدل
على قوة القول بان الذبيح اسماعيل

وقال آخرون هو اسحق وروى ذلك عن عمر بن الخطاب وعلى بن ابى
طالب رضى الله عنهما وعن كعب الاحبار ومسروق والقاسم بن ابى برة وابو

الهذيل وغيرهم ❊ واذا راجعنا النص الموجود فى التوراة بحسب الترجمة الموجودة الان وان يكن مصرحاً بها انه اسحق ولكن اذا تتبعنا النص نجد انه يوجد بها ملاحظات توجب التأويل بأنه اسماعيل ومصداق ذلك ما فى الفصل الثالث والعشرين من سفر التكوين (٢٢) قال خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق وامض الى ارض الموريا واصعده هناك محرقة على احد الجبال الذى اريك) وحيث قال وحيدك فاسحق لم يكن وحيده فى ذلك الوقت وهذا معلوم بديهة بل اسماعيل كان وحيده ولم يكن له اذ ذاك ولد غيره وقوله الذى تحبه تصديقا لما ذكر فى جملة محلات فى التوراة الموجودة عن محبة ابراهيم لاسماعيل لا حاجة لذكرها وان قال قائل ان المقصود من قوله ابنك وحيدك اى ابنه من سارة لكونها امرأته الشرعية فكذلك اسماعيل هو ابنه بنص التوراة وان قيل ان المقصود من ذلك الابن هو الذى يرث النبوة فاسماعيل ورث النبوة والرسالة معاً فكان من الانبياء والرسل الكرام ومصداق ذلك فى حق اسماعيل فى الفصل السادس عشر من سفر التكوين {١٠} فقال لها ملاك الرب ﴿ اى الى هاجر ﴾ لاكثرن نسلك كثيرا حتى لا يحصى لكثرته {١١} وقال لها ملاك الرب ها انت حامل وستلدين ابنا وتسميه اسماعيل لان الرب قد سمع صوب شقائك {١٢} ويكون رجلا وحشيا يده على الكل ويد الكل عليه وأمام جميع اخوته يسكن وفى الفصل الحادى والعشرين من سفر التكوين {٢٠} وكان الله مع الغلام فاقام بالبرية وكان رامياً بالقوس {٢١} واقام ببرية فاران واتخذت له امه امرأة من ارض مصر) قوله كان راميا بالقوس فهو مصداق قوله عليه الصلاة والسلام فى الحديث ارموا بنى اسماعيل فان اباكم كان راميا وبرية فاران هى برية الحجاز واما قوله واتخذت له امه امرأة

من ارض مصر فبعيد لانهم اجمعوا على أن برية فاران من بلاد الحجاز لانها
برية خارج بيت المقدس ولو قالوا ذلك فإن بلاد بيت المقدس من مصر بل
العرب الساكنون من القديم فى تلك الجهات كانوا اقرب الى بيت المقدس
من ارض مصر وهو مناقض لما قيل ويكون رجلا وحشيا وهو اعظم دليل
بصيرورة اسماعيل من العرب وتزوجه منهم فدل ما ذكر ايضا على عدم ثبوت
قطعى بان الذبيح هو اسحق بل يدل بالاكثر على انه هو اسماعيل

قال العلامة القسطلانى فانظر ايها الخليل ما فى هذا الامر من السر الجليل
وهو ان الله تعالى يتدارك عباده بالجبر بعد الكسر وباللطف بعد الشدة فانه
كان عاقبة صبر هاجر وابنها على البعد والوحدة بمكة والغربة وتسليمها لذبح
ولدها وصبره هو بتسليم نفسه بقوله يا أبتِ افعل ما تُؤمرْ ستجدني إنْ
شاء اللهُ مِنْ الصابرين ﴾ آلت عاقبة صبرهم جميعا الى ما آلت اليه من جعل
آثارهم ومواطن اقدامهم مناسك لعبادة المؤمنين ومتعبدات لهم الى يوم الدين

وقال العلامة القرمانى فى اخبار الدول وآثار الاول بعد ان ساق قصة
الذبيح فينبغى التوقف فى هذا فان الادلة متعارضة من الجانبين والترجيح
على ان الذبيح اسحاق متعذر وما ورد فى هذا الامر من الاحاديث عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم كحديث ﴿ انا ابن الذبيحين ﴾ لم يثبت منه
شيء غير ان ما ذكرناه عن المفسرين وخبر القرنين المعلقين بالكعبة
الذى لا خلاف فيه وما تدل عليه القرائن واستمرار العمل بسنة النحر فى
منى واتصال ذلك من لدن اسماعيل وبنيه من بعده وهلم جرا جيلا بعد جيل
الى يومنا هذا اقوى دليل وأوضح برهان على ان الذبيح اسماعيل والله
يهدى الى سواء السبيل

فصل

﴿ فى ذكر بناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ﴾
﴿ البيت الحرام ﴾

ثم ان الله تعالى امر ابراهيم عليه السلام ببناء البيت الحرام وامر اسماعيل باعانته ونزل جبريل عليه السلام فدلهما على موضعه وشرعا فى البناء فكان ابراهيم يبنى واسماعيل يناوله الحجارة فرفعوها من القواعد التى اسسها آدم عليه السلام وعند ما وصلوا فى البناء الى موضع الحجر الاسود توقف ابراهيم فجاء به جبريل عليه السلام ووضعه فى محله وكانا كلما بنيا دعوا الله وقالا (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ رَبَّنَا واجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ) اى مخلصين (وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ) اى خاضعة مخلصة فى عبادتك (وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وابْعَثْ فِيهِمْ) اى فى ذريتنا (رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ * وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِى الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِى الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ العَالَمِينَ) اى بادرت بالاذعان واخلاص السرحين دعوتنى (وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) اى مخلصون

ولما ارتفع البنيان وقصر ابراهيم عليه السلام عن رفع الحجارة الى مواضعها قام على الحجر الذى كان اوصى امرأة ابنه اسماعيل بحفظه حتى يأتى وقته كما تقدم ذكره وهو المعروف الان بمقام ابراهيم وعليه اثر قدمه الشريف

فكان اسماعيل يناوله الحجارة وهو يبنى وكان الحجر يعلو به وينزل على حسب الحاجة كالسلّم للبناء خصوصية له عليه السلام و كرامة من الله تعالى الفعال لما يريد

وبعد فراغه من بناء البيت امره الله ان يؤذّن فى الناس بالحج فقال يارب وماذا يبلغ صوتى قال الحق تعالى اذّن وعلىّ البلاغ فنادى على جبل ابى قبيس ايها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق فحجوا فسمعه ما بين السماء والارض وما فى اصلاب الرجال وارحام النساء واجابه الى ذلك كل من سبق فى علم الله انه يحج الى يوم القيامة واول من اجابه جرهم قبل كل احد فلهم امنوا الاول فالاول فكانوا بذلك اول الناس اجابة واسلاماً وحجاً وفيما ذكرناه نزل قوله تعالى لابراهيم عليه السلام (وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّائِفِينَ وَالعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السجُود وَأَذِّنْ فِى النَّاسِ بِالحج يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيق) ثم ارسل الله جبريل الى ابراهيم عليه السلام فعلمه مناسك الحج واراه كيف يحج فخرج ابراهيم عليه السلام بعد النداء باسماعيل ومن معه من المؤمنين به يوم التروية من مكة ونزل بمنى فصلى بهم كما أمر وبات حتى اصبح فصلى بهم صلاة الفجر ثم سار بهم الى عرفة فنزل بها حتى اذا مالت الشمس صلى ثم راح بهم الى الموقف من عرفة الذى يقف عليه الامام الآن فوقف بهم فلما غربت الشمس دفع بهم حتى اتى المزدلفة فصلى وبات بهم حتى اذا طلع الفجر صلى بهم ثم وقف على موضع المشعر الحرام حتى اذا اسفر دفع بمن معه يريهم ويعلمهم كيف يصنعون حتى اذا رمى الجمرة وأراهم موضع النحر نحر وحلق ونزل الى مكة فاراهم كيف يطوفون بالبيت

اعنى طواف الافاضة ثم عادبهم الى منى فاراهم كيف يرمون الجمرات حتى فرغ من الحج ومناسكه

وقال العلامة القامى فى حاشيته على الجلالين اول من وَضَع البيت الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام ووُضِع بعده المسجد الاقصى وبينهما اربعون سنة كما فى حديث الصحيحين وقال واول من بناه آدم ثم انطمس فى الطوفان الى ان بناه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وذكر البيضاوى فى تفسيره ان البيت هدم بعد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فبناه قوم من جرهم ثم العمالقة ثم قريش كما سنذكره فى محله

﴿ استطراد فى ذكر الخيل ﴾

ذكر المؤرخون الاقدمون ان الله اوحى الى اسماعيل انى معطيك كنزا ادّخرته لك واوحى اليه ان اخرج الى اجياد فادع بذلك الكنز وكان لا يدرى ما الدعاء ولا الكنز فالهمه الله الدعاء فلم يبق فى ارض العرب فرس الا اجابته فامكنته من نواصيها وتذللت له وساق الله اليه مائة فرس وحشية من مسارحها فركبها وكان يدعوها ياخيل الله اجيبى فتجيب وهو اول من ركب الخيل العتاق بعد توحشها بعد هلاك عاد وثمود ومن كان يركبها من الامم البادية من العرب وما ذكره الدميرى فى كتاب حياة الحيوان من ان اول من ركبها بعد الطوفان اسماعيل الى آخر ما ذكره غير مسلم لان ظاهر قوله ان الخيل لم تزل وحشية من بعد الطوفان الى ان ركبها اسماعيل والواقع ما ذكرناه بانها ذللت لاسماعيل بعد الامم البائدة قال عليه الصلاة والسلام (اركبوا الخيل فانها ميراث ابيكم اسماعيل) وروى (اقتنوا الخيل فان ظهورها عز وبطونها كنز) وذكر الامام شيخ الاسلام تقى

الدين السبكى ان الخيل خلقت قبل آدم والحكمة الالهية تقتضى تقديم خلقها مع غيرها من المنافع على خلق آدم قال الله تعالى عن نفسه (خَلَقَ لَكُم مـا فى الأَرضِ جَميعاً ثم استَوَى اِلى السماءِ فسوّاهُنَّ سَبعَ سماواتٍ) ووجه الاستدلال ان الاية الكريمة اقتضت خلق ما فى الارض جميعا قبل خلق السموات ومن جملة ما فى الارض الخيل فالخيل مخلوقة قبل تسوية السماء بدليل الآية وعليه فالخيل كانت مخلوقة قبل آدم عليه السلام وكانت تركب فى عهد آدم ثم فى عهد اولاده فمن بعدهم الى الطوفان ثم تناسلت بعده مما كان منها معه فى السفينة من جملة انواع الحيوان وركبها العرب العرباء الى ان بادوا ثم توحشت ثم ذللت لاسماعيل عليه السلام كما سبق وخلق الذكر منها قبل الانثى وان كانا من مزاج واحد وجنس واحد فان الذكر اشد حرارة من الانثى واشرف منها فناسب ان يكون الذكر اسبق ولحصول الابهة به اكثر ولان اكثر ما يقصد له الخيل القتال والذكر فيه خير من الانثى لانه اجرى واجرأ اعنى اشد جريا واقوى اقداما وجرأة حتى انه يقاتل مع راكبه والانثى بخلاف ذلك وقد تقطع بصاحبها احوج ما يكون اليها اذا كانت وديقا اى مائلة للفحل

وعتاق الخيل خلقوا قبل البراذين اى الكدش وهم اشرف وأأصل والبرذون وهو الكديش انما كان ناقصاً يعارض فى اصله من جهة امه وهو الهجنة قال فى المصباح والهجين من الخيل الذى ولدته برذونة من حصان عربى فيقال خيل هُجُن مثل بريد وبُرُد وهواجن والهجين من الناس الذى ابوه عربى وامه أمة وأما الهجين من الابل فهو الثقيل الردى فى حركاته والهجنة فى الكلام العيب والقبح فهجين الابل هو الذى جمع الى ثقله عيب

وقبح واما هِجان ككتاب فالخيار من كل شيء ومن الابل الابيض ومن الناس الرجل الحسيب ومن الارض الارض الكريمة ويقال ناقة هجان وابل هجان بلفظ واحد للكل ولم تكن البراذين في بلاد العرب تعرف او تذكر فيما مضى من الزمان وانظر الى ما ذكرناه عن اسماعيل عليه السلام والى ما ورد في القرآن الكريم في خبر سليمان عليه السلام في عرض الجياد عليه فالبراذين عبارة عمن انتحس اصله من الخيل حتى اختلف العلماء هل يسهم للبرذون من المغنم كما يسهم للفرس العربي او لا وجاء في بعض الاحاديث النبوية للفرس اى العتيق من الخيل اى الاصيل سهمان وللهجين سهم فهذه الرواية تقتضي ان الهجين وهو البرذون لا يسمى فرساً واما هجين الابل فلا سهم له بل ولا دخل له في هذا الباب ولا ذكر وخيار الابل يقال لها هجان ونُجُب فاطلاق الهجين على الجيد من الابل هو من اطلاق العامة وغلطاتهم وبالجملة فالبراذين حثالة الخيل وحثالة كل شيء انما تظهر في آخره واول نوع خلق من انواع الخيل الكُميت وهو بين الحمرة والسواد واذا غلبت الحمرة يسمى اشقر وفيه يمن وبركة من بين الخيل ويطلق على مجموع الاعضاء من الخيل المائل الى القِصَر وهو اسرع الخيل واشدها عدوا واما المتمطط الممتد الطويل فهو في الغالب بطيء الحركة ضعيف العدو وان كان في الصورة اجمل واكمل واليق بالأُبهة والزينة الظاهرة واول ما اختار آدم عليه السلام من الحيوان الفرس واوحى الله اليه انك اخترت عزك وعز ولدك ما داموا ولما بلغ اسماعيل اشده ارسله الله تعالى الى جرهم والعمالقة واهل اليمن كما سيأتي ذكره في محله من القسم الثاني

باب

﴿ فى ذكر اولاد اسماعيل عليه السلام ﴾
﴿ ومن عمر مكة بعدهم وفيه فصول ﴾

وبعد ان توفى اسماعيل عليه السلام بقى اولاده بين اخوالهم جرهم وكانوا كما فى التوراة اثنى عشر اكبرهم نابت ويليه فى السن اخوه قيدار ثم أذبيل وبسام ومسمع ودوما وميشا وحدّاه وميا وبطور ونافس وقدما وهذه احدى الروايات فى اسمائهم وولى امر البيت منهم بعد اسماعيل نابت واتصل ذلك فى بنيه وبنى قيدار على التناوب واقاموا جميعا فى مكة واتصلت ايامهم فيها مع اخوالهم جرهم حتى تشعبوا وكثر نسلهم وتعددت بطونهم من عدنان فى عداد معد ثم بطون مَعَدّ فى ربيعة ومضر واياد وانمار بنى نزار بن مَعَدّ وكانت بطون عدنان هذه كلها من ولد اسماعيل لابنه نابت وقيدار ولم يذكر النسابون نسلا من الآخرين وفى التوراة ان شعبته اى ذرية اسماعيل سكنوا من ارض حويلا الى شور ابى أثور وحويلا عند اهل التوراة هى جنوب برقه وشور هى ارض الحجاز وأثور بلاد الموصل والجزيرة وبعد ان تفرق بنو اسماعيل وضعفت عصبتهم من مكة ابتزها منهم اخوالهم جرهم واتصل امرهم فيها الى ان احدثوا فيها ما احدثوه من البغى والفجور فسلط الله عليهم بنى بكر وبنى غبشان من بنى خزاعة فاخرجوهم منها ونفوهم عنها فلحقوا بوطنهم الاصلى باليمن وفى ذلك يتأسف رئيسهم عمرو بن الحارث بن مضاض الاصغر الجرهمى على خروجهم منها وما طرأ عليهم ببغيهم ويقول

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيس ولم يسمر بمكة سامر
بلى نحن كنا اهلها فابادنا ... صروف الليالى والجدود العواثر

وكنا ولاة البيت من بعد نابت　　نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ملكنا فعززنا فاعظم بملكنا　　فليس لحيٍ غيرنا ثمَّ فاخر
الم ينكحوا من غير شخص علمته　　فابناؤه منا ونحن الأصاهر
فاخرجنا منها المليك بقدرة　　كذلك يالناس تجرى المقادر
اقول اذا نام الخليُّ ولم انم　　أذا العرش لا يبعد سهيلٌ وعامرُ
وبُدلت منها أوجهاً لا احبها　　قبائل منها حمير ويُحابر
وصرنا احاديثا وكنا بغبطة　　بذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحت دموع العين تبكى لبلدة　　بها حرم أمنٌ وفيها المشاعر
وتبكى لبيت ليس يؤذى حمامه　　يظل به امنا وفيه العصافر
وفيه وحوش لا ترام انيسة　　اذا خرجت منه فليست تغادر

وقال ايضا يذكر بكر وغبشان وساكن مكة الذين خلفوا من بعدهم

ياايها الناس سيروا ان قصدكم　　ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطىّ وارخوا من ازمتها　　قبل الممات وقضوا ما تقضونا
كنا اناسا كما كنتم فغيّرنا　　دهر فأنتم كما كنا تكونونا

ثم استولت غبشان من خزاعة على مكة دون اخوانهم بنى بكر وكان الذى يلى امر البيت الحرام منهم اذ ذاك عمر بن الحارث الغبشانى واقاموا يتوارثون ذلك الى ان اخرجهم منها قصىّ بن حكيم المعروف بكلاب

وليعلم ان جميع اجيال العرب بعد الجيل الاول يرجعون الى ثلاثة انساب وهى عدنان وقحطان وقضاعة وهؤلاء كانوا فى القديم من اعظم اجيال الخليقة بعد عاد وثمود ومن باد معهم وبعدهم ممن يعد فى طبقتهم يقوون على الامم تارة ويعظم لهم العزّ والغلبة فيظفرون بالملك ويغلبون على الاقاليم والمدن

والامصار ثم يضعفهم الترف والتنعم اخرى فيغلبون ويرجعون الى باديتهم ثم هلا
المتصدرون منهم للرياسة بما باشروه من الترف ونضارة العيش ولاهل البادية
منهم مع من يجاورهم من الامم حروب ووقائع فى كل عصر وجيل ثم لما
كثر فسادهم فى الارض وعدا اهل الرس على نبيهم شعيب بن ذى مهدم
عليه السلام وهو غير شعيب رسول مدين عليه السلام فقتلوه اوحى الله تعالى
الى ارمياء بن حزقيا وبرخيا من انبياء بنى اسرائيل ان يأمرا بختنصر وكانوا اذ
ذاك اسرى مع قومهم عنده فى العراق بالمسير الى العرب الذين لا اغلاق
لبيوتهم يعنى اهل الخيام فيستلحمهم اجمعين فسار اليهم واتصلت جنوده فيما
بين ايلة قرية قديمة قرب العقبة المشهورة فى طريق مصر الى المدينة بين
ارض الشام والحجاز والايلة مدينة بالعراق قرب البصرة وتسامع العرب به
فى اقطار بلادهم فاجتمعوا للقائه ووقع المصاف فهزم عدنان اولا ثم استلحم
الباقين وعند ما امر الله تعالى ارميا وبرخيا بما ذكرناه امرهما ان يخرجا معد بن
عدنان من بين قومه قبل الغزو فقال لهما اخرجا معدًا الان من ولده محمدًا
اخرجه اخر الزمان اختم به النبيين وأرفع به الضعفاء فامتثلا الامر واخرجاه
وهو ابن ثنتى عشرة سنة وذهبا به الى حران بالعراق فربى عندهما وغزا بختنصر
العرب كما سبق واستأصل اكثرهم ومات عدنان وبقى اكثر بلاد العرب
خرابا ثم مات بختنصر فخرج معد مع انبياء بنى اسرائيل فحجوا البيت الحرام
جميعا وطفق معد بعد ذلك يسأل عمن بقى من ولد الحارث بن مضاض
الجرهمى فقيل له بقى منهم جرهم بن جلهة فجاء اليه وتزوج ابنته معانة وولدت
له نزارا ثم كثر نسل معدٍّ فى مضر وربيعة واياد وانمار وتدافعوا الى
العراق والشام

﴿ فصل فى ذكر قصى بن حكيم ﴾

ثم بعد مدة مديدة نبضت عروق الرياسة فى مضر وظهرت قريش على مكة ونواحى الحجاز واستمرت ازمنة عرف فيها شرفهم ودانت شعوب العرب وقبائلها بتعظيمهم والذى جمع شملهم من منازلهم بين بنى كنانة هو قصىٌ واسمه زيد فجاءبهم وانزلهم بمكة وجعلها ارباعا بينهم فانزل كل بطن منهم فى رُبع واقاموا على ذلك الى ان صبحهم الاسلام ولذلك كان يدعى مجمعا واشتهر به قال بعض شعراء العرب يمدح بنيه

قصىٌ لعمرى كان يدعى مجمّعا به جمع الله القبائل من فهر

فانتم بنو زيد وزيد ابوكم به زيدت البطحاء فخرا على فخر

فقصىٌ اول من احرز من بنى لوى بن غالب رياسة على قومه وتيمنوا برئاسته فصرفوا مشورتهم اليه من قليل امورهم وكثيرها وكانت له حجابة البيت الحرام والحاجب البواب ومن اليه مفتاح الباب والسقاية اى سقى الحجاج اى الاذن فى ذلك بمعنى ان له التصرف فى سقى الحجاج وليس لغيره فى ذلك دخل والرفادة اى الخراج لاعانة الحجاج والندوة اى دار المشورة واللواء اى لواء قريش وحاز شرف قريش بمكة جميعا وكان رجلا جلدا جميلا وكان عالم قريش واقومها بالحق وانما قيل له قصى بضم القاف تصغير قصى بمعنى بعد لان امه فاطمة بنت سعد العذرى احتملته وهو صغير الى بلاد قضاعة واسمه الاصلى زيد كما ذكره الشاعر وبه جزم العراقى واقتصر عليه الحافظ ابن حجر فى فتح البارى فقال روى السراج فى تاريخه من طريق الامام احمد بن حنبل قال سمعت الامام الشافعى يقول اسم عبد المطلب شيبة واسم هاشم عمرو واسم عبد مناف المغيرة واسم قصى زيد بن حكيم وهو كلاب قال السهيلى

هو منقول من المصدر بمعنى المكالبة من قولهم كالبت العدو مكالبة واسمه
حكيم بفتح المهملة وكسر الكاف ذكره مغلطاى فى الاشارة وصححه المحب
بن شهاب بن الهائم قال الحافظ ابن حجر ولقب بكلاب لمحبته كلاب الصيد
وكان اكثر صيده بالكلاب ومن لازم شيئاً عرف به قاله المهلب وغيره ولما
استفحل امر قصى فى مكة والحجاز اتخذ دار الندوة ازاء الكعبة ثم تصدى
لاطعام الحاج وسقايته وفرض على قريش خراجاً سموه رفادة يؤدونه اليه
زيادة على ما كانوا يرفدونه ويعينونه به فحاز شرفهم كله

﴿ فصل فى ذكر حلف المطيبين والاحلاف بعد قصى ﴾

وبعد موت قصى انتقل امر قريش الى ولده عبد الدار ثم الى اخيه المغيرة
المعروف بعبد مناف واقاموا على ذلك مدة ورئاسة مكة لهم وامر قريش جميعا
ثم ان هاشما وعبد شمس ونوفلا والمطلب بنى عبد مناف بن قصىٍّ رأوا انهم
احق بذلك من بنى عبد الدار بن قصى لشرفهم عليهم وفضلهم فى قومهم
فنافسوهم على ما بأيديهم ونازعوهم فيه فافترق امر قريش وصاروا فى
مظاهرة بنى قصىٍّ بعضهم على بعض فرقتين وكانت بطون قريش قد اجتمعت
لعهدها ذلك اثنى عشر بطنا بنو الحارث بن فهر وبنو محارب بن فهر وبنو عامر
بن لؤى وبنو عدى بن كعب وبنو سهم بن عمرو بن كعب وبنو جمح بن عمرو
وبنو تيم بن مرة وبنو مخزوم بن يقظة بن مرة وبنو زهرة بن كلاب وبنو اسد
ابن عبد العزّى وبنو عبد الدار وبنو عبد مناف بن قصى فاجمع بنو عبد مناف
انتزاع ما بايدى بنى عبد الدار مما جعل لهم قصى من الحجابة واللواء والرفادة
والسقاية وقام بامرهم عبد شمس وهو أسَنُّ بنى عبد مناف واجتمع له من
قريش بنو اسد وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث واعتزل بنو عامر وبنو المحارب

الفريقين وصار الباقي من بطون قريش مع بني عبد الدار وهم بنو سهم وبنو جمح وبنو عدي وبنو مخزوم ثم عقد كل من الفريقين على احلافه عقدا مؤكدا واحضر بنو عبد مناف ومن معهم عند الكعبة جفنة مملوءة طيباً غمسوا فيها ايديهم تاكيداً للحلف فسمي حلف المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا على ان لا يتخذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً فسموا الاحلاف واجمعوا للحرب وسووا بين القبائل وجمعوا بعضها الى بعض ثم تصافوا للقتال فبينما هم على ذلك اذ تداعوا للصلح على ان يسلموا لبني عبد مناف السقاية والرفادة ويختص بنو عبد الدار بالحجابة واللواء وان تكون دار الندوة لهم جميعا فرضي الفريقان بهذا وتحاجزوا عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوه حتى جاء الاسلام وهم على ذلك (فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من حلف في الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة ولا حلف في الاسلام) فولّى السقاية والرفادة هاشم بن عبد مناف لان اخاه عبد شمس كان كثير الاسفار قليل المال كثير العيال وكان هاشم موسراً اجواداً ولم يزل هذا الحلف مشهوراً في الجاهلية والاسلام بحلف المطيبين

﴿ فصل في ذكر هاشم بن عبد مناف ﴾

هو هاشم بن عبد مناف بن قصي واسمه عمرو كما سبق قاله الامامان مالك والشافعي ويكنى بسيد البطحاء فاحسن هاشم ما شاء في تدبير الامور وقام باطعام الحاج واكرام وفودهم احسن قيام وانما سمي هاشما لانه كان يهشم الثريد للناس في المجاعة التي اصابت قريشاً وفيه يقول الشاعر

عمرو العلا ذو الندى من لا يسابقه　　مر السحاب ولا ريح يجاريه

اجفانه كالجوابي للوفود اذا   لبوا بمكة ناداهم مناديه

وقال آخر

قل للذى طلب السماحة والندى   هلا مررت بآل عبد مناف

الرائشون وليس يوجد رائش   والقائلون هلموا للاضياف

وكانت مائدته منصوبة لا ترفع فى سراء ولا ضراء ولذلك كان يضرب بكرمه المثل وفى كتاب المنتقى كان هاشما فى وقته اشرف قومه واعلاهم مقاما وكانت مائدته منصوبة لا ترفع وكان يكرم ابن السبيل ويزوده ويؤدى الحقائق وكان نور النبي صلى الله عليه وسلم يظهر فى وجهه يتوقد شعاعه ويتلألأ ضياؤه ولا يراه حبر ولا راهب عندما يأتى الشام الا تأدب معه وقبل يده تغدو اليه قبائل العرب ووفود الاحبار فيقوم باكرامهم فوق ما كانوا يظنونه وكان ذلك منه جبلة لا تكلفاً ولما شاع امره وذاع وبلغ الملوك والرعاع واتصل خبره بملك الروم فى وقته احبه واعجب به وقال لو اجد اليه سبيلا لصاهرته بابنتى وقدم هاشم يثرب (المدينة المنوره) فتزوج فى بنى عدى بن النجار عقيلة من عقائلهم فولدت له عبد المطلب وسمته شيبة الحمد وهو اسم مركب اضافى قال الشاعر

على شيبة الحمد الذى كان وجهه   يضىء ظلام الليل كالقمر البدر

وانما سمته امه شيبة الحمد رجاء انه يكبر ويكثر حمد الناس له وقد حقق الله ذلك فكثر حمد الخلق له وبقى عند والدته حتى كان غلاما وتوفى والده هاشم بغزه من ارض الشام عن خمس وعشرين سنة

﴿ فصل فى ذكر عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

وقام بالامر بعد هاشم اخوه المطلب بن عبد مناف وكان هاشما عند

وفاته قال للمطلب ادرك ابن اخيك بيثرب فخرج اليه وبعد تعسف والدته واغتباطها به سلمته اليه فاحتمله الى مكة فدخلها وهو رديفه فقالت قريش لاول ما رأوهما هذا عبد ابتاعه المطلب فسمى شيبة الحمد عبد المطلب من ذلك الوقت روى الحافظ ابو سعد النيسابورى عن ابى بكر بن ابى مريم الغسانى عن سعيد بن عمرو الانصارى عن ابيه عمرو عن كعب الاحبار سيد التابعين وملجأ العلماء الحميرى رضى الله عنه ان النور المحمدى لما صار الى عبد المطلب وأدرك نام ذات يوم فى الحجر فانتبه مكحولا مدهونا بالطيب قد كسى حلة البهاء والجمال فبقى متحيرا لا يدرى من فعل به ذلك فاخذ عمه المطلب بيده ثم انطلق به الى كهنة قريش فاخبرهم بذلك فقالوا له اعلم ان آله السماء قد اذن لهذا الغلام ان يتزوج فزوجه قيلة بنت جندب فزوجه بها فولدت له الحارث ثم ماتت فزوجه فاطمة بنت عمرو المخزومية وكان نور النبى صلى الله عليه وسلم فى جبينه وكانت قريش اذا اصابها قحط تأخذ بيده فتخرج به الى جبل ثبير فيتقربون اى يتوسلون به الى الله تعالى لما جربوه من قضاء الحوائج على يده ببركة نوره صلى الله عليه وسلم ولما جعله الله فيه من مخالفة اكثر ما كانت عليه الجاهلية عناية من الله تعالى وكان يوصى اولاده جريا على ما كان عليه اسلافهم كما تقدم فيامرهم بترك الظلم والبغى ويحثهم على مكارم الاخلاق وينهاهم عن دنيات الامور ويؤثر عنه سنن موافقة للشريعة المحمدية كالوفاء بالنذر ومنع نكاح المحارم وقطع يد السارق والنهى عن وأد البنات وتحريم الخمر والزنا وان لا يطوف بالبيت عريان ذكر هذا كله سبط بن الجوزى فى مرآة الزمان وكانوا يسألون الله تعالى به فى حوائجهم ويستسقون به كما قلنا فيغيثهم الله تعالى غيثا عظيما وفى حديث مخرمة بن

نوفل الزهرى الصحابى رضى الله عنه ان قريشا اشتد عليهم الجدب فى بعض السنين فاجتمعوا الى عبد المطلب فقال اللهم هؤلاء عبيدك وبنو عبيدك واماؤك وبنو امائك وقد نزل بنا ما ترى وتتابعت علينا هذه السنون فذهبت بالظلف والخف واشفت على الانفس فاذهب عنا الجدب وأتنا بالحيا والخصب قال فما برحوا حتى سالت الاودية فقالت رفيقة ام مخرمة رضى الله عنها

بشيبة الحمد سقى الله بلدتنا ... وقد فقدنا الحيا واجلوّذ المطر

فجاء بالماء جونى له سبل ... دان فعاشت به الانعام والشجر

منّا من الله بالميمون طائره ... وخير من بُشّرت يوماً به مُضر

مبارك الامر يستسقى الغمام به ... ما فى الانام له عدل ولا خطر

اجلوذ بجيم ساكنة فلام مفتوحة فواو مشددة فذال معجمة امتد وقت تأخره وانقطاعه وجونى بفتح الجيم وسكون الواو فنون فياء مثناة تحتية مشددة مطر هاطل وسبل بفتح السين والموحدة وباللام المطر المتتابع النزول وكانت لعبد المطلب وفادة على ملوك اليمن من حمير والحبشة وله مع ابرهة وسيف بن ذى يزن اخبار اجمع المؤرخون من سائر الطوائف على صحتها ونقلها وسنأتى على ما وقع له مع سيف بن ذى يزن

﴿ فصل فى ذكر قصة اصحاب الفيل وما وقع لعبد المطلب ﴾
﴿ مع ملكهم ابرهة ملك الحبشه ﴾

خرج ابرهة الحبشى من اليمن بسائر الحبشة قاصداً هدم البيت وحرب قريش ان تعرضوا له فبلغ ذلك عبد المطلب فقال يامعشر قريش لا تفزعوا فانه لا يصل الى هدم البيت لان لهذا البيت ربا يحميه ويحفظه ثم جاء ابرهة

فنزل بالمغمس وهو موضع بين الطائف ومكة وبعث خيلا من الحبشة فانتهوا الى مكة واستاقوا ابل اهلها وفيها ماتا بعير لعبد المطلب فهموا بقتال ابرهة ثم عدلوا لعلمهم انه اقوى منهم ثم بعث ابرهة حناطة الحميرى الى مكة يعلمهم بما قصده من هدم البيت ويؤذنهم بالحرب ان تعرضوا له فاخبر عبد المطلب بذلك عن ابرهة فقال له والله ما نريد حربه وهذا بيت الله فان يمنعه فهو بيته وان تخلى عنه فما لنا من مدافع ثم انطلق به الى ابرهة فاستأذن له سائس الفيلة فى الدخول عليه فاذن له ولما دخل عليه اجلّه واكرم وفادته ونزل عن سريره فجلس معه على البساط وسأله عبد المطلب فى الابل فقال له ابرهة هلا سالت فى البيت الذى هو محل دينك ودين آبائك فقال عبد المطلب انا رب اى صاحب الابل وللبيت رب يمنعه فرد عليه ابله ورجع الى قومه وامرهم بالخروج من مكة الى الجبال والشعاب للتحرز فيها ثم قام الى الكعبة فاخذ بحلقة الباب ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على ابرهة وجنده قال ابن اسحق واصبح ابرهة متهيئاً لدخول مكة فعبأ جيشه واجمع على هدم البيت وامر بالهجوم فبرك الفيل فضربوه ليقوم فابى وطال عليهم الامر فى ذلك قال امية بن الصلت

ان آيات ربنا بينات ... ما يمارى بهن الا كفور

جلس الفيل بالمغمس حتى ... ظل يحبو كأنه معقور

وبينما هم كذلك اذ ارسل القدر عليهم طيرًا ابابيل اى جماعات أمام كل جماعة منها طائر تتبعه كانه يقودها وفى تفسير البيضاوى ابابيل جمع ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت بها الجماعة من الطير فى نظامها وكان ارسالها من جهة البحر مع كل طائر منها ثلاثة احجار حجر فى منقاره وحجران فى رجليه

كامثال العدس لا تصيب احداً منهم الا اهلكته فرجعوا هاربين يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وتوجهوا يبتدرون الطريق الذى جاؤا منه يسألون عن دليلهم نفيل ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل فى ذلك

اين المفر والاله الطالب والأشرمُ المغلوب ليس الغالب

واصيب ابرهة فى جسده بداء وتساقطت انامله انملة انملة وانتثر جسمه وسال منه الصديد والقيح والدم وما مات حتى انصدع وانشق قلبه ومات بصنعاء والى هذه القصة اشار سبحانه وتعالى بقوله لنبيه (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ) اى الم تعلم قرره على وجود علمه بما ذكر فالمراد من الرؤية هنا العلم والتذكر وهو اشارة الى ان الخبر به اى بالواقع لاصحاب الفيل معلوم فكان العلم به ضرورياً مساوياً فى القوة للرؤية وقد كان هذا الأمر دالاً على شرف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وتأسيساً لنبوته وأرهاصاً لها اى توطئة وتقوية لنبوته واعزازاً لقومه بما ظهر عليهم من الاعتناء بهم حتى دانت لهم العرب واعتقدت شرفهم وفضلهم على سائر الناس بحماية الله لهم ودفعه عنهم مكر أبرهة الأشرم الذى لم يكن للعرب جميعا بقتاله قدرة وقد مزقت جموع الحبشة بعد ذلك وتفرقوا اوزاعا فى البلاد

﴿ فصل فى ذكر ظهور زمزم وما يتعلق بذلك ﴾

كان عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى لما احدث قومه فى حرم الله الحوادث وقيض الله لهم من اخرجهم من مكة كما سبق قام الى زمزم

فطمها ثم عمد الى غزالين من ذهب وسيوف وادراع والحجر الاسود فجعل
الجميع فى زمزم فوق طم الماء ثم بالغ فى طمها حتى استوت مع الارض من غير
ان يظهر لها اثر وفر قومه الى اليمن فلم تزل زمزم من ذلك الوقت مطمومة
مجهولة نحو خمسمائة سنة وكانت لاهل مكة فى هذه المدة آبار كثيرة تقوم
بهم وبحجاج البيت الحرام وذلك ان قصياً لما احتل مكة وجمع قومه اليه فيها
مدنها واحتفر فيها آبارا وابتنى فيها دورا منها دار الندوة وابتنى حوضا واسعا
يجمع فيه الماء لسقاية الحاج ثم لما كثر السكان بمكة وصارت مطمحا للصادر
والوارد توسع اهلها فاحتفروا آباراً عديدة فحفر عبد شمس بن عبد مناف بئر
طوى باعلى مكة ثم بئرا سماها بدرا وهى التى على فم شعب ابى طالب وحفر
اسد بن هاشم بئر سجلة ابتاعها منه المطعم بن عدى وفى بعض آثار مكة هذه
يقول الشاعر

سقى الله امواها عرفت مكانها حرابا وملكوما وبدرها والغمرا

واستمر اهل مكة يحفرون الآبار عند اللزوم اليها الى ان اظهر الله تعالى
بئر زمزم على يد عبد المطلب فانصرف الناس اليها لشرفها وبركاتها ولفضلها على
سائر المياه ولانها بئر اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وافتخر بها بنو عبد مناف
على قريش وعلى سائر العرب واجمع الاخباريون فيما نقلوه من اخبار مكة وما
توالى عليها من العمران تارة والخراب اخرى ان الذين يتناوبونها من الامم
العربية حفروا فى واديها وفى القرب منه آبارا ولم يهتدوا الى زمزم ولما جاء
قصى جدد رسوم مكة واحتفر آبارا واصلح ما كان موجودا من الآبار من
قبله وبقيت زمزم لا يعرف مكانها الى ان ازيلت عنها الموانع التى منعت من
معرفتها برؤيا منام رآها عبد المطلب دلته على حفرها بامارات وعلامات عليها

فمنعته قريش من ذلك وآذاه من السفهاء من آذاه واشتد بذلك حزنه وبلواه وكان معه ولده الحارث ولم يكن له حينئذ ولد سواه

قال ابن مسعود البلاذري ان عدى بن نوفل قال ياعبد المطلب أتستطيل علينا وانت فذ لا ولد لك فقال ايا عدى تعيرنى فوالله لئن اتانى الله عشرة من الولد ذكورا لاذبحن احدهم عند الكعبة قربانا ثم قبل ان يولد له من الاولاد عشرة وبعد ان رأى فى منامه ما راى احتفر زمزم هو وولده الحارث واستخرج منها ما فيها فضرب الغزالين من الذهب حلية للكعبة وضرب السيوف والادراع بابا لها ثم اتخذ حوضاً لماء زمزم يسقى منه الحاج فحسده قومه على ذلك فكان سقاؤهم يأتون الحوض فيخربونه فاغتم لذلك ثم الهم ان يدعو عليهم بما شاء فدعا فقيل له فى الرؤيا قل لا أحلها لمغتسل وهى للشارب بين حل وبل فاذا قلتها فقد كفيتهم فكان بعد ذلك اذا أراده احد بمكروه اصابه داء فى جسده ولما جربوا ذلك وتحققوه تناهوا عنه وكان ذلك فخرا لعبد المطلب وعزا لقريش

لطيفة — كان حرب بن امية لا يلتقى مع احد من روساء قريش او غيرهم فى عقبة او مضيق الا تأخروا وتقدم هو ولا يستطيع احد ان يتقدم عليه فالتقى حرب مع رجل من بنى تميم فى مضيق فتقدمه التميمى فقال له انا حرب بن امية فلم يلتفت اليه ومر قبله فقال له حرب موعدك مكة فبقى التميمى دهرا ثم اراد دخول مكة فقال من يجيرنى من حرب بن امية فقيل له عبد المطلب بن هاشم فاتى التميمى ليلا دار الزبير بن عبد المطلب فدق الباب فقال الزبير لاخيه الغيداق قد جاءنا رجل اما مستجير او طالب حاجة او طالب قرى وقد اجبناه الى ما اراد ثم خرج اليه الزبير فانشد التميمى

لاقيت عمرا فى الثنية مقبلا — والصبح ابلج ضوؤه للسارى
فدعا بصوت واكتنى ليروعنى — ودعا بدعوته يريد فخارى
فتركته كالكلب ينبح وحده — وأتيت اهل معالمٍ وفخار
ليثا هزبرا يستجار بقربه — رحب المنازل مكرما للجار
ولقد حلفت بمكة وزمزم — والبيت ذى الاحجار والاستار
ان الزبير لمانعى من خوفه — ما كبر الحجاج فى الامصار

فقال له الزبير تقدم فانا لا نتقدم على من نجيره فتقدم التميمى ودخل المسجد فرآه حرب فقام اليه ولطمه فعدا عليه الزبير بالسيف فهرب امامه حتى دخل دار عبد المطلب فقال اجرنى من ابنك الزبير فاكفأ عليه جفنة كان ابوه هاشم يطعم الناس فيها وبقى تحتها ساعة ثم قال له عبد المطلب اخرج فقال له كيف اخرج وسبعة من ولدك قد اجتمعوا بسيوفهم على الباب فألقى عليه عبد المطلب رداءه فخرج عليهم فعلموا انه اجاره فتفرقوا والى هذه القصة اشار ابن عباس رضى الله عنهما حين دخل على معاوية بن ابى سفيان بن حرب فى ايام خلافته وعنده وفود العرب فذكر كلاماً فيه افتخار وذكر جده حرب بن امية فقال له ابن عباس رضى الله عنهما فمن اكفأ عليه اناءه واجاره بردائه فسكت معاوية

﴿ فصل فى ذكر وفاء عبد المطلب بنذر ذبح ولده وفدائه ﴾

ولما تكامل بنو عبد المطلب وصاروا عشرة نام ليلة عند الكعبة المطهرة فرأى فى المنام قائلا يقول ياعبد المطلب اوفِ بنذرك لرب هذا البيت فاستيقظ فزعا مرعوبا وامر بذبح كبش واطعمه للفقراء ثم نام فرأى قائلا يقول له قرب ما هو اكبر من ذلك فاستيقظ من نومه وقرب ثورا واطعمه

للفقراء ايضا ثم نام فرأى قائلا يقول له قرب ما هو اكبر من ذلك فقال وما هو اكبر من ذلك فقال قرب ولدك الذى نذرته فاغتم غما شديدا وجمع اولاده واخبرهم فقالوا انا نطيعك فاى واحد تريد ذبحه منا نعينك عليه ثم ضربوا بالقداح بينهم فخرج على عبدالله وكان اصغرهم واحبهم اليه فتحير فى شأنه ثم اخذ بيد عبدالله ليذبحه فقام عليه قومه ومنعوه من ذلك واشار عليهم المغيرة بن عبدالله المخزومى بسؤال الكاهنة وكانت بخيبر فارسلوا اليها من سألها فقالت قربوه وعشرا من الابل واجيلوا القداح فان خرجت على الابل فذاك والا فزيدوا فى الابل حتى تخرج عليها فانحروها فهى الفدية عنه ففعلوا وبلغت الابل ماية فنحرها عبد المطلب وكان هذا من كرامات الله به وعنايته بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم

﴿ باب فى ذكر تزوج عبدالله امنة بنت وهب الزهريه ﴾
﴿ وظهوره صلى الله عليه وسلم فى هذا الوجود ﴾
﴿ ووفاة والده عبدالله وفيه فصول ﴾

ولما انصرف عبدالله مع ابيه من نحر الابل مرّ على امرأة من بنى اسد اسمها قتيلة بضم القاف ويقال لها رقيقة بنت نوفل قال السهيلى وهى اخت ورقة ابن نوفل قال اليعمرى وكانت تسمع من اخيها انه كائن فى هذه الامة نبى قالت له حين نظرت الى وجهه وكان احسن رجل رؤى فى قريش ادفع لك مثل الابل التى نحرت عنك ان تزوجتنى ووقعت علىّ الان وذلك لما رأته فى وجهه من النور رجاء ان تحمل منه بولد ولم يدر كل منهما كغيرهما انه نور النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها ان امرى الى ابى ولا استطيع مخالفته ولا فراقه وعند ابن عباس رضى الله عنهما ان المرأة التى دعت عبدالله الى تزوجها

اسمها فاطمة وهى كاهنة من قبيلة تبالة من اليمن وذكر نحوما تقدم قال ثم خرج عبد المطلب بابنه حتى اتى وهب بن عبد مناف بن زهرة واسمه المغيرة وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة وهى وقتئذ افضل امرأة فى قريش نسبا من جهه الاب وموضعا من جهة الام فدخل عليها عبد الله من ليلته فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه لما بنى عبد الله بآمنة احصوا مائتى امرأة من بنى مخزوم وبنى عبد مناف مابرحن يتأسفن على ما فاتهن من عبد الله حتى متن جميعا من غير تزويج قال ولم تبق امرأة من قريش خالية من الزوج الا مرضت ليلة دخل عبد الله بآمنة لشدة تعلقهن به ووفور رغبة كل واحدة منهن فى التزوج به ولما اتصل هذا بفاطمة الكاهنة تأسفت وقالت

انى رأيت مخيلة نشأت ... فتلألأت بحناتم القطر

فسماتها نور يضىء به ... ما حوله كاضاءة البدر

ورأيت سقياها حيا بلد ... وقعت به وعمارة القفر

ورأيت شرفا نبأ به ... ما كل قادح زنده يورى

لله ما زهرية سلبت ... منك الذى استلبت وماتدرى

وانتقل ماكان فى غرة عبد الله من النور الى آمنة وظهر كما قال العارف بالله تعالى الامام القسطلانى فى مدة حمله عجائب ووجد لايجاده غرائب وذلك انه نودى فى الملكوت ومعالم الجبروت ان النور المكنون والسر المصون قد انتقل الى آمنة ذات العقل الباهر والفخر الزاخر

من لحواء انها حملت أحمـ ـــ ـد او انها به نفساء

وقال الامام سهل بن عبد الله التسترى العارف بالله تعالى الشهير فيما رواه

الخطيب البغدادى الحافظ الجليل لما اراد الله خلق محمد صلى الله عليه وسلم فى بطن آمنة اول رجب وكانت ليلة جمعة امر الله تعالى فى تلك الليلة ملكا ينادى فى السموات والارض الا ان النور المكنون الذى يكون منه النبي الهادى فى هذه الليلة يستقر فى رحم آمنة الذى يتم فيه خلقه ويخرج الى الناس بشيرا ونذيرا اى موصوفا بهما عند الله وان تأخر وقوعهما فى الخارج الى بعثته واصبحت يومئذ الاصنام فى الدنيا منكوسة وكانت قريش فى جدب شديد وضيق عظيم فاخضرت الارض وحملت الاشجار واتاهم الرفد من كل جانب فسميت تلك السنة سنة الفتح والابتهاج ورأت آمنة فى المنام حين حملت بالنبي صلى الله عليه وسلم آتيا اتاها فقال لها انك حملت بسيد هذه الامة وروى الثقات عنها انها قالت ما شعرت بأنى حملت به ولا وجدت له ثقلا ولا وحما كما تجد النساء ذلك الا انى انكرت رفع حيضتى واتانى آتٍ وانا بين النائمة واليقظانة فقال لى هل شعرت بانك حملت بسيد الانام ثم امهلنى حتى دنت ولادتى اتانى فقال لى قولى عند وضعه اعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا قالت فانتبهت وعند رأسى صحيفة مكتوب فيها

اعيذه بالواحد — من شر كل حاسد
وكل خلق راقد — من قائم وقاعد
عن السبيل حائد — على الفساد جاهد
من نافس وعاقد — وكل خلق مارد
يأخذ بالمراصد — فى طرق الموارد

وفى رواية البيهقى فى شعب الايمان والسنن

اعيذه بالواحد — من شر كل حاسد

في كل بر عاهد　　وكل عبد رائد
يرود غير رائد　　فانه عبد حميد ماجد
حتى اراه اثر المشاهد

وروى الحافظ ابو نعيم في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان من دلالة حمل آمنة برسول الله صلى الله عليه وسلم ان كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة فقالت والناس يسمعون حمل برسول الله ورب الكعبة ثم قالت هو امان الدنيا وهو سراج اهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا الا اصبح منكوساً وله صلى الله عليه وسلم في كل شهر من شهور حمله نداء في الارض ونداء في السماء ان ابشروا فقد آن وقت ظهور ابي القاسم محمد صلى الله عليه وسلم ميمونا مباركا وروى غير ابن عباس جماعة من قريش انه لم يبق في تلك الليلة دار الا اشرقت ولا مكان الا دخله النور ولا دابة الا نطقت وقالت حمل برسول الله ورب الكعبة

وعن ابن عائذ بقي صلى الله عليه وسلم في بطن آمنة تسعة اشهر لا تشكو وجعا ولا مغصا ولا ما يعرض لذوات الحمل من النساء من الاوجاع ولا حملت امرأة بجنين الا وهو اخف منه واعظم بركة ولما تم لها من حملها شهران توفي والده عبدالله بن عبد المطلب عن ثماني عشرة سنة وقالت آمنة ترثيه

عفا جانب البطحاء من آل هاشم　　وجاور لحدًا خارجا في الغماغم
دعته المنايا دعوة فاجابها　　وما تركت في الناس مثل بن هاشم
عشية راحوا يحملون سريره　　تعاوده اصحابه في التزاحم
فان تكُ غالته المنون وريبها　　فقد كان معطاء كثير التراحم

وقيل لجعفر الصادق ما الحكمة فى يتمه صلى الله عليه وسلم قال حتى لا يكون عليه حق الوالدين لانه اعظم حقوق الخلق نقله عنه ابو حيان امام النحاة وقال بن العماد فى كشف الاسرار انما رُبى صلى الله عليه وسلم يتيما لينظر ويعلم اذا وصل فى مدارج عزه الى اوائل امره ان العزيز من اعزه الله تعالى وان قوته ليست من الاباء والامهات ولا من المال بل قوته من الكبير المتعال وايضا ليرحم الفقير واليتيم

وروى الحافظ ابو نعيم عن بن عباس رضى الله عنهما انه قال كانت آمنة تحدث وتقول اتانى آتٍ فى المنام حين مر بى من حملى به ستة اشهر وقال يا آمنة انك حملت بخير العالمين فاذا ولدتيه فسميه محمدا واكتمى شانك

﴿ فصل فى ذكر ولادته وما ظهر من العجائب عندها ﴾

قالت آمنة ولما آن وقت الوضع اخذنى ما يأخذ النساء من الطلق ولم يعلم بىَ احد وانى لوحيدة فى المنزل وعبد المطلب وقتئذ كان يطوف بالبيت الحرام فسمعت وجبة (اى هدّة) عظيمة وامرًا عظيما هالنى ثم رأيت بعينىّ طائرًا ابيض نزل علىّ فمسح على فؤادى فذهب عنى الرعب وكل وجع اجده ثم التفت فاذا بشربة بيضاء وظننت فيها لبنا وكنت عطشى فشربت ما فيها فاذا هو احلى من العسل وغشينى نور عال ثم رأيت نسوة طوالا بكسر الطاء جمع طويلة كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن بى فبينما اتعجب واقول واغوثاه من اين علمن بى قلن نحن مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون (آمنت بموسى عليه السلام) وهؤلاء من الحور العين قالت ثم دخل علىّ نسوة من قومى واشتد بى الامر وانى لاسمع الوجبة فى كل ساعة اعظم مما تقدم فبينما انا كذلك اذا بديباج ابيض قد مد بين السماء والارض واذا بقائل يقول خذوه

اذا ولد عن اعين الناس قالت و كشف لى عن بصرى فرأيت مشارق الارض ومغاربها ورأيت ثلاث اعلام منشورات علما بالمشرق وعلما بالمغرب وعلما على ظهر الكعبة فأخذنى المخاض ثم وضعت ولدى محمدا صلى الله عليه وسلم وخرج معه نور بهرنى ووقع الى الارض جاثياً على ركبتيه معتمداً على يديه رافعاً رأسه الى السماء شاخصاً ببصره والى هذا اشار صاحب الهمزية وهو الامام الأبوصيرى بقوله

رافعا رأسه وفى ذلك الرفـ ـــع الى كل سؤدد ايماء
رامقا طرفه السماء ومرمى عين من شأنه العلو العلاء

يعنى ان فى ذلك الرفع الذى هو اول فعل وقع منه صلى الله عليه وسلم بعد بروزه الى هذا العالم اشارة الى انه يحصل على كل رفعة وسيادة وفى شخوص بصره الى السماء اشارة الى علو مرماه اذ مرمى عين الذى قصده من ارتفاع مكانه الرفعة والشرف وروى بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأت امى حين وضعتنى انه سطع منها نور اضاءت له قصور الروم والى ذلك اشار الابوصيرى فى الهمزية بقوله

وترأت قصور قيصر بالرو م يراها من داره البطحاء

وكانت ولادته صلى الله عليه وسلم عام الفيل لاثنتى عشرة من ربيع الاول نهار الاثنين لاربعين سنة من ملك كسرى انوشروان ولثمانمائة واثنين وثمانين سنة للاسكندر اليونانى وقد احسن واجاد من قال

يقول لنا لسان الحال منه وقول الحق يعذب للسميع
فوجهى والزمان وشهر وضعى ربيع فى ربيع فى ربيع

اخرج الحافظ ابو نعيم عن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عن امه الشفا

فابلته اى داته صلى الله عليه وسلم وقع الى الارض فاستهل اى عطس فسمعت قائلا يقول رحمك الله قالت الشفا واضاء لى ما بين المشرق والمغرب قالت ثم البسته ثيابه واضجعته فلم البث ان غشيتنى ظلمة ورعب وقشعريرة ثم غيب عنى وسمعت قائلا يقول لاخر اين ذهبت به قال الى المشرق واسفر عنى ذلك اى انكشف ثم عاودنى الرعب والقشعريرة فسمعت قائلا يقول اين تذهب به قال الى المغرب قالت فلم يزل هذا الامر منى على بال حتى بعثه الله فكنت اول الناس اسلاما

ومن عجائب ولادته صلى الله عليه وسلم ما اخرجه البيهقى وابو نعيم عن حسان بن ثابت رضى الله عنه قال انى لغلام اعقل ما رأيت وما سمعت اذا يهودى يصرخ ذات غداة يامعشر يهود قالوا ياويلك مالك قال طلع نجم احمد الذى ولد به فى هذه الليلة ومنها ما ورد عن عائشة رضى الله عنها قالت كان يهودى قد سكن مكة فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لا نعلم قال انظروا وفتشوا وتأملوا فانه ولد فى هذه الليلة نبى هذه الامة بين كتفيه علامة فانصرفوا فسألوا فقيل لهم قد ولد لعبدالله بن عبد المطلب غلام فذهبوا وذهب اليهودى معهم الى امه فاخرجته لهم وكشفوا عن ظهره فلما رأى اليهودى العلامة خر مغشيا عليه فلما افاق قالوا ويلك مالك قال قد ذهبت النبوة من بنى اسرائيل وذلك لما هو عندهم فى الكتب انه خاتم النبيين ثم قال اما والله ليسطون بكم سطوة يخرج خبرها من المشرق الى المغرب وينشر فى جميع الارض رواه يعقوب بن سفيان الفارسى الثقة التقى الولىّ الصالح الحافظ قدس الله سره

وعن الواقدى انه كان بمكة يهودى اسمه يوسف فلما كان اليوم الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يعلم به احد من قريش قال يامعشر قريش قد ولد نبي هذه الامة فى ناحيتكم هذه وجعل يطوف فى انديتهم فلا يجد خبرا حتى انتهى الى مجلس عبد المطلب فسأل فقيل له قد ولد لعبدالله بن عبد المطلب غلام فقال هو نبي وحق التوراة ولا غرابة فيما ينقل عن اليهود فى هذا الامر فانهم اخذوه عن التوراة وتوارثوه عن علمائهم خلفا عن سلف

قال كعب الاحبار لما سئل عن هذا رأيت فى التوراة ان الله تعالى اخبر موسى عن وقت خروج محمد صلى الله عليه وسلم وولادته فاخبر موسى قومه بذلك فقال ان الكوكب المعروف عندكم اسمه كذا وكذا اذا تحرك وسار عن موضعه فهو وقت خروج محمد وظهوره وصار ذلك مما توارثه العلماء من بنى اسرائيل عن موسى عليه السلام

وذكر الحلبي فى سيرته ان نفرا من قريش منهم ورقة بن نوفل وزيد بن عمر بن نفيل وعبدالله بن جحش كانوا يجتمعون فى محل قريب من بعض الاصنام فاجتمعوا ليلة فرأوا الصنم منكسا على وجهه فانكروا ذلك فاعلموا به اهله فجاؤا اليه وردوه الى حاله فانقلب انقلابا عنيفا فردوه فانقلب كذلك الى الثالثة فقالوا ان هذا الامر حدث لامر عظيم ثم انشد بعضهم يخاطب الصنم ويتعجب من امره ويسأله فيها عن سبب تنكسه فسمع هاتفا من جوف الصنم بصوت جهير يقول شعرا منه قوله

تردى لمولود اضاءت بنوره ... جميع فجاج الارض بالشرق والغرب

ثم قال واتصلت الهواتف من الجن والشياطين من بعد ولادته صلى

الله عليه وسلم بتبشيرهم به صلى الله عليه وسلم وبنعيهم الشرك وانذارهم بهلاك اهله يهتفون بذلك فى كل ناحية وينادون به فى كل صوب والناس يسمعون الصوت ولا يرون صاحبه واكثر ذلك كان قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم

وكان بمر الظهران راهب من الشام يدعى العيص قد آتاه الله علما كثيرا وكان يلزم صومعة له وربما دخل مكة فى بعض الاوقات فيجتمع بالناس ويقول يوشك ان يولد فيكم مولود يا اهل مكة تدين العرب بدينه ويملك العجم هذا زمانه فمن ادركه منكم اى ادرك بعثته واتبعه اصاب حاجته وما يؤمله من الخير ومن ادركه منكم وخالفه اخطأ حاجته فكان لا يوجد مولود بمكة الا ويسألونه عنه فيقول ما جاء بعد فلما كانت صبيحة اليوم الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد المطلب حتى اتى عيصا فوقف على اصل صومعته وناداه فقال من هذا قال عبد المطلب فقال كن اباه فقد ولد ذلك المولود الذى كنت احدثكم به وان كوكبه طلع البارحة وعلامة ذلك انه الآن وجع فلا يرضع ثلاثة ايام ثم يعافى فاحفظ لسانك لا تذكر ما قلته لك لاحد من قومك قال عبد المطلب فما عمره قال ان طال عمره فما يبلغ السبعين يموت فى وتر وذلك جل اعمار امته وفى سابع ولادته صلى الله عليه وسلم ذبح جده عبد المطلب عنه اى اصطنع عقيقة دعا لها قريشا وسماه محمدا وكانت امه اخبرته بانها امرت ان تسميه بهذا الاسم الشريف ولما سأله قريش عن ذلك لانه لم يسم احد قبله به اخبرهم بما رأته والدته وقال ارجو ان يحمد فى السماء والارض وقد حقق الله رجاءه واظهر مصداق الرؤيا

﴿ فصل فى ذكر ارتجاج الايوان ورؤيا كسرى والموبذان ﴾
﴿ وخمود النيران وغير ذلك من الايات ﴾

ومن العجائب التى ظهرت ليلة ولادته صلى الله عليه وسلم ما رواه الامام البيهقى بسنده المتصل بمخزوم بن هانى المخزومى عن ابيه قال لما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتج ايوان كسرى وسقطت منه اربع عشرة شرافة وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بنحو الف عام وغاضت بحيرة ساوة ورأى كسرى فى منامه ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فى بلادها فلما اصبح احضر الموبذان وهو قاضى الفرس ورئيس ديانتهم وقص ما رآه فاخبره انه كذلك راى مثل ما راى حرفا بحرف فقال له كسرى فماذا يكون فقال لا بد ان يكون امر حدث من جهة العرب فكتب كسرى الى النعمان بن المنذر وكان عاملا له على الحيرة وما يليها من بلاد العرب اما بعد فوجه الينا برجل يكون عالما بما اريد ان اسأله فوجه اليه بعبد المسيح بن عمر الغسانى فاخبره بما رآه فى منامه فقال علم ذلك عند خال لى يسكن مشارق الشام يقال له سطيح قال كسرى فاذهب اليه وسله وائتى بتأويل ما رايت فسار عبد المسيح حتى قدم على خاله سطيح وقد اشفى على الموت فسلم عليه وحياه فلم يرد له جوابا فانشد عبد المسيح

اصم ام يسمع غطريف اليمن	ام فاز فاض به شأو العنن
يافاصل الخطة اعيت من ومن	وكاشف الكربة عن وجه الغضن
اتاك شيخ الحى من آل سنن	وامه من آل ذئب بن حجن
رسول قيل العجم كسرى بالوسن	لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجوب فى الارض علندات الشجن	ترفعنى وجنا وتهوى فى وجن

حتى اذا عاری الجآجی والقطن　　بلفه فی اللوح بوغاء الدمن
كانما حثحثت من حضی سكن

فرفع سطیح رأسه وقال عبد المسیح علی جمل مشیح یهوی الی سطیح وقد اوفی علی الضریح بعثك ملك ساسان لارتجاس الایوان وخمود النیران ورؤیا كسری والموبذان رای ابلا صعابا تقود خیلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت فی بلادها یا عبد المسیح اذا كثرت التلاوه وظهر صاحب الهراوه وغاضت بحیرة ساوه وخمدت نار فارس فلیست بابل للفرس مقاما ولا الشام لسطیح شاما یملك منهم ملوك وملكات علی عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضی سطیح مكانه فقدم عبد المسیح علی كسری واخبره بما قاله سطیح قال الی ان یملك منا اربعة عشر ملكا تكون امور وامور فملك منهم عشرة فی اربع سنین وملك الباقون الی خلافة عثمان رضی الله عنه وانقطع ملكهم بعد اتصاله ثلاثة الاف سنة ومائة واربعا وستین سنة ولم یزل كسری مذعورا من ذلك حتی كتب الیه النعمان بظهور امر النبی صلی الله علیه وسلم علی السنة الكهان وهواتف الجان

﴿ تفسیر الفاظ عبد المسیح ﴾

قوله الارتجاس معناه الاضطراب وقد یكون من الصوت وغاضت نضبت وفاز وفاض معناهما مات وقوله یا فاصل معناه یا قاطع والخطة الامر الشدید وقوله اعیت مَن و مَن ای لم یدر ما جهتها والغضن كثیر الغضون تجوب تقطع والعلندات ای الشدیدة الصلبة یعنی ناقته والوجن الغلیظ من الارض والجآجی جمع جؤجؤ وهو عظم الصدر والقطن موضع العجز من

الظهر واللوح شدة الحر والعطش والبوغاء التراب وقد احسن الشفراطى رحمه الله حيث قال

ضاءت لمولده الآفاق واتصلت ... بشرى الهواتف فى الاشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده ... وانقض منكسر الارجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت ... مذ الف عام ونهر القوم لم يسل

وقال الامام الابوصيرى فى ذلك فاجاد

ليلة المولد الذى كان للديـ ... ـن سرور بيومه وازدهاء
وتوالت بشرى الهواتف ان قد ... ولد المصطفى وحق الهناء
وتداعى ايوان كسرى ولولا ... آية منك ما تداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه ... كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت وهل ... كان لنيرانهم بها انطفاء

وقال ابن سيد الناس صاحب السيرة

لمولده ايوان كسرى تشققت ... مبانيه وانحطت عليه شؤونه
لمولده خرت على شرفاته ... فلا شرف للفرس يبقى حصينه
لمولده غاضت بحيرة ساوة ... واعقب ذاك المد جزر يشينه
كان لم يكن بالامس رى لناهل ... وورد لعين المستهام معينه

﴿ فصل فى ذكر ما ذكره العلماء فى عمل المولد النبوى ﴾

وبمناسبة ذكر مولده الشريف نذكر هنا ما ذكره العلماء فى عمل المولد النبوى قال الامام السخاوى ان عمل المولد النبوى حدث بعد القرون الثلاثة ثم لا زال اهل الاسلام فى سائر الاقطار والمدن والامصار يحتفلون بشهر مولده عليه الصلاة والسلام ويعملون الولائم ويتصدقون فى لياليه بانواع

الصدقات ويعتنون بقراءة ما الفه العلماء فى مولده الكريم ويظهر عليهم من
بركاته كل فضل عميم وقال ابن الجوزى ومما جرب من خواص عمل المولد
وقراءة تاليفه انه امان فى ذلك العام وبشرى عاجلته بنيل البغية والمرام فرحم
الله امرءاً اتخذ ليالى شهر مولده المبارك اعيادا ليكون الاتخاذ اشدعلة على من
فى قلبه مرض واول من عمله من الملوك الملك المظفر ابو سعيد ملك اربل
والف له الحافظ بن دحية تاليفاً سماه التنوير فى مولد البشير النذير فاجازه
الملك المظفر بالف دينار وصنع الملك المظفر المولد وكان فى ربيع الاول من كل سنة
ويحتفل به احتفالا عظيما وكان رحمه الله شهما شجاعا عاقلا عالما عادلا وطالت
مدته فى الملك الى ان مات وهو محاصر للافرنج الصليبيين بمدينة عكا سنة
ثلاثين وستماية محمود السيرة طاهر السريرة قال سبط بن الجوزى فى مرآة
الزمان حكى لى بعض من حضر سماط المظفر فى بعض المواليد فذكر انه عد
فيه خمسة الاف رأس غنم شواء وعشرة الاف دجاجة ومائة الف زبدية
وثلاثين الف صحن حلوى وذلك لانه كان يشهد سماطه فى المولد الشريف
كل سنة الوف عديدة من اهل مملكته ومن قاربهم من اهل الممالك
الاسلامية وبالجملة فقد كانت تشد الرحال لهذا الموسم كل سنة فكان يحضر
عنده فى المولد اعيان العلماء والصوفية فيخلع عليهم ويطيب مجالسهم بالبخور
وكان يصرف على المولد ثلاثمائة الف دينار وفى السيرة الحلبيه قد جرت العادة
ان الناس اذا سمعوا ذكر وضعه صلى الله عليه وسلم فى قراءة المولد يقومون
تعظيما له صلى الله عليه وسلم وهذا القيام مستحسن قد وقع من عالم الامة
ومقتدى الائمة دينا وورعا الامام تقى الدين السبكى وتابعه على ذلك مشايخ
الاسلام فى عصره وقد حكى بعضهم ان الامام السبكى المذكور اجتمع عنده

جمع غفير من علماء عصره فانشد منشد قول الصرصرى فى مدحه صلى الله عليه وسلم

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب   على ورق من خط احسن من كتب
وان تنهض الاشراف عند سماعه   قياما صفوفا او جثيا على الركب

قام الامام السبكى وجميع من فى المجلس فحصل انس كبير فى ذلك المجلس ويكفى مثل ذلك فى الاقتداء وقال الامام ابو شامة شيخ الامام النووى ومن احسن ما ابتدع فى زماننا ما يفعل كل عام فى اليوم الموافق ليوم مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف واظهار الزينة والسرور فان ذلك مع ما فيه من الاحسان للفقراء مشعر بمحبته صلى الله عليه وسلم وتعظيمه فى قلب فاعل ذلك والشكر لله على ما منّ به من بعثة رسوله صلى الله عليه وسلم الذى ارسله رحمة للعالمين

وممن كان يحتفل لهذا المولد الشريف ملوك المغرب وملوك الاندلس وملوك مصر وكل منهم يأتى فى ذلك باقصى ما انتهت اليه ثروة ملكه واقتضته ابهة دولته مما هو مسطر فى تواريخ العلماء وتآليفهم فى الشمائل النبوية وما يتعلق بها

وممن قام من الملوك العظام بما يجب للمولد النبوى من التكريم والاعظام دولتنا العليه فان السلاطين الفخام آل عثمان فى كل عصر يحتفلون بليلة المولد الشريف ويومه العظيم المنيف احتفالات باهره ويتصدقون فيهما بصدقات متنوعة وافرة

ثم لما آل امر السلطنة العظمى الى وارثها منهم سيد الملوك واجلهم ذى المقام الاسمى حضرة سيدنا ومولانا امير المؤمنين السلطان بن السلطان السلطان الغازى

عبد الحميد خان ايده الله زاد فى تلك الاحتفالات وضاعف مواد الزينة ونوع دواعى المسرات واظهرت عنايته الملوكية على حسب ما اقتضاه مقامه الاقدس من التجلة للمولد الشريف ما تنشرح بتسطيره صدور المهارق ويعده عموم الناس من الخوارق فتزدان العاصمة فى تلك الليلة المباركة مع اتساع جهاتها وامتداد اطرافها بالانوار المدهشة ويترنم المؤذنون فى المآذن بالمدائح النبوية المنعشة ويجتمع الجم الغفير من المسلمين فى المساجد لقراءة ما الفه العلماء فى المولد الشريف وما جاء فيه من الاحاديث النبوية وما اظهره الله فيه من الايات والخوارق التى اعجزت الالسنة والاقلام عن وصفه ويظهر فى تلك الليلة من انواع الزينة ما يبهر العقول لا سيما ما يقع منها بالمابين الهمايونى والاسطول العثمانى حتى ترى البوسفور على الصفين يتلألأ نورا ويزيد على ما جاء من الملوك الماضين فى ذلك من النقول هذا الى صدقات كثيرة ومبرات اثيرة ومآثر جليلة

وعلى حسب ما يجرى من ذلك فى العاصمة يجرى فى جميع امصار الممالك المحروسة ومدنها وقراها

واما بيروت فان اهلها من المسلمين يقومون فيها باحتفالات جسيمة وافراح عظيمة ولهم فى ذلك دواع للمسرات جالبة واسباب على غاية الارتياح والانشراح باعثة ففى كل ناحية من نواحى البلدة زينة باهره وعلى كل مأذنة من مآذنها مصابيح بالانوار زاهره وما من بيت من بيوتها المشيدة الا وهو يكشف عن محاسنه النقاب ويدهش ببهجته الابصار ويبهر الالباب

والولدان فى الشوارع طائفون وفى ايديهم المشاعل وانواع الشموع

ساطعة والسنتهم بالمدائح النبوية ناطقة ويكثر الاهالى فى تلك الليلة المباركة ونهارها من الصدقات وانواع المبرات على فقراء البلدة ما يجزل ثوابهم ويكرم فى الآخرة مآبهم وقد كثر هذا فيهم وتكرر منهم حتى سارت به الركبان وتحدث به غير انسان وهكذا فى جميع المدن والامصار

وبالجملة فجميع ما يظهر الان من الولاة فى الولايات وسائر العمال فى الاعمال من كمال الاحتفاء والتعظيم لتلك الليلة الشريفة فهو صادر عن عناية حضرة سلطان هذا العصر سيدنا ومولانا امير المؤمنين ابقاه الله للدنيا والدين آخذا راية الوراثة المحمدية باليمين وجعل ايامه كلها مواسم واعياد وجمع له المسرات آمادا فآماد

ومن المعلوم انه قد جوزى ابو لهب بتخفيف العذاب عنه يوم الاثنين بسبب اعتاقه ثويبة مملوكته لما بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم ورحم الله الحافظ شمس الدين بن محمد بن ناصر حيث قال

اذا كان هذا كافر جاء ذمه ... وتبت يداه فى الجحيم مخلدا
اتى انه فى يوم الاثنين دائما ... يخفف عنه للسرور باحمدا
فما الظن بالعبد الذى كان عمره ... باحمد مسرورا ومات موحدا

قال الامام القسطلانى معناه فما حال المسلم الموحد من امته عليه الصلاة والسلام يفرح بمولده ويبذل ما تصل اليه قدرته فى محبته صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمبرات وهذا كما لا يخفى استفهام اى فحاله بذلك امر عظيم يكون جزاؤه من الله الكريم ان يدخله بفضله العميم جنات النعيم ويمتعه فيها برؤية وجهه العظيم

﴿فصل فى ذكر رضاعه صلى الله عليه وسلم وما ظهر من الخوارق فى زمانها﴾

اول من ارضعه صلى الله عليه وسلم امه ثم ارضعته ثويبة اياماً قلائل ثم حليمة السعدية وكانت بهذه المنقبة العظيمة حريه فاخصب عشبها بعد المحل وغمرها الكرم والفضل فاصبحت بعد الفقر غنيه وبعد الخوف آمنة من كل ملمة وبليـة

ذكر العزفى ان عبد المطلب لما قدمت حليمة مكة مع نسوة من قومها يلتمسن الرضعاء سمع هاتفاً يقول

ان ابن آمنة الامين محمدا ... خير الانام وخيرة الاخيار
ما ان له غير الحليمة مرضع ... نعم الامينة هى على الابرار
مأمونة من كل عيبٍ فاحش ... ونقية الاثواب والازرار
لا تسلمنه الى سواها انه ... امر وحكم جا من الجبار

قالت حليمة قدمت مكة مع نسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء فى سنة شهباء ذات قحط فوالله ما علمت منا امرأة الا وعرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فالقى الله فى قلبى ان نرضعه فقلت لزوجى لأنطلقن اليـه فلاخذنه فقال لاعليك ان تفعلى عسى الله ان يجعل لنا فيه بركة قالت فذهبت اليه فاذا هو مدرج فى ثوب صوف ابيض يفوح منه المسك وتحته حريرة خضراء وهو راقد على قفاه فاشفقت ان اوقظه من نومه لحسنه وجماله فدنوت منه رويداً رويداً فوضعت يدى على صدره فتبسم ضاحكا وفتح عينيه ونظر الىّ فخرج من عينيه نور انتشر فى الجو وانا انظر فقبلته بين عينيه واعطيته ثدى الايمن فاقبل الثـدى اى الدرّ عليه بما شاء من لبنٍ فحولته الى الأيسر فابى

وكانت تلك حاله بعد قالت حليمة فروى وروى اخوه ثم اخذته بما هو مشتمل عليه من الثياب المذكورة الى ان جئت به رحلى فقام زوجى الى شارفنا (الناقة المسنة) التى ما كانت تبض بقطرة فاذا انها لحافل اى ممتلئة الضرع من الحليب فحلب منها ما شربت وشرب حتى روينا وبتنا بخير ليلة قال زوجى ياحليمة والله انى لأراك قد اخذت نسمة مباركة الم تر ما بتنا به الليلة من البركة والخير حين اخذناه فلم يزل الله يزيدنا خيرا قالت حليمة فى رواية ذكرها ابن طغرل بك فى كتابه النطق المفهوم فلما نظر زوجى الى هذا قال اسكتى واكتمى امرك فمن ليلة ولادة هذا الغلام اصبح الاحبار هياما لا يهنؤ لهم عيش النهار ولا نوم الليل انتهى فاخبار ابن طغرل بك عنهم بهذا اما بلغه واما شاهده من بعضهم قالت حليمة ثم ذهبت بمحمد صلى الله عليه وسلم الى منزلى ومكثنا بمكة ثلاث ليال ثم ودعت النساء بعضهن بعضاً وودعت انا ام النبى صلى الله عليه وسلم ثم ركبت اتانى واخذت محمدا صلى الله عليه وسلم بين يدى فنظرت الى الاتانة قد سجدت وطأطأت رأسها نحو الكعبة ثلاث مرات متوالية ثم رفعت راسها الى السماء ثم مشت حتى سبقت دواب الناس الذين كانوا معنا وصاروا يتعجبون منى والنساء يقلن لى وهن ورائى يابنت ابى ذؤيب أهذه اتانك التى كنت عليها وانت جائية معنا تخفضك طورا وترفعك اخرى فاقول تالله انها هى فيتعجبن ويقلن ان لها لشأنا عظيما قالت حليمة فكنت اسمع اتانى تنطق وتقول والله ان لى لشأنا بعثنى الله بعد موتى اى اعطانى قوة اقدر بها على سرعة السير بعد ما كنت كالميتة من الضعف وردّ لى سمنى بعد هزلى وتقول ويحكن يانساء بنى سعد انكن لفى غفلة وهل تدرين من على ظهرى خير النبيين وسيد المرسلين وخير الاولين والاخرين وحبيب رب العالمين

وفى نطق الاتان وسجودها ارهاصاً للنبي صلى الله عليه وسلم و كرامة لحليمة
وذكر ابن اسحق ان حليمة قالت ثم قدمنا منازل بنى سعد ولا اعلم ارضا من ارض الله اجدب منها فكانت غنمى تروح علىّ حين قدمنا به صلى الله عليه وسلم شباعا لبنا بضم اللام وكسرها وشد الموحدة اى كثيرة اللبن جمع لبون فنحلب ونشرب وما يحلب انسان غيرنا قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضر (وهم القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه) من قومنا يقولون لرعيانهم اسرحوا حيث تسرح غنم بنت ابى ذؤيب فيفعلون فتروح اغنامهم جياعا ما تبض (تدر) بقطرة لبن وتروح اغنامى شباعا مع ان مسرحها واحد قالت فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتان وفصلته فلله من بركة كثرت بها مواشى حليمة ونمت وارتفع قدرها وسمت قال بعض السادة

لقد بلغت بالهاشمىّ حليمة   مقاما علا فى ذروة العز والمجد
وزادت مواشيها واخصب رعيها   وقد عم هذا السعد كل بنى سعد

وذلك ان حليمة قالت لما دخلت به منزلى لم يبق منزل من منازل بنى سعد الا شممنا منه ريح المسك والقيت محبته فى قلوب الناس حتى ان احدهم كان اذا نزل به اذى فى جسده جاء فاخذ بكفه صلى الله عليه وسلم فيضعها على موضع الاذى فيبرأ باذن الله سريعا وكذا اذا اعتلّ لهم بعير او شاة ياتون به فيضعون يده الشريفة فيبرأ لوقته قال ابن مطروح فى كتاب الترقيص لابى عبدالله الازدى البصرى ان من شعر حليمة ما كانت ترقص به صلى الله عليه وسلم وهو رضيع

يارب اذ اعطيته فابقه   واعلهِ الى العلا ورقه

وادحض اباطيل العدا بحقه

وكانت الشيماء اخته من الرضاعة تحضنه وترقصه وتقول

هذا اخ لى لم تلده امى وليس من نسل ابى وعمى
فديته من مخول معمى فأنمه اللهم فيما تنمى

وقالت ايضاً

يا ربنا ابق اخى محمدا حتى اراه يافعا وامردا
ثم اراه سيدا مسودا واكبت اعاديه معا والحسدا

واعطه عزاً يدوم ابدا

قال الازدى وقد اجاب الله دعاءها فرأته صلى الله عليه وسلم بجميع ما طلبته ومن الخوارق ما اخرجه البيهقى والخطيب البغدادى وابن عساكر وابن طغرل بك عن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه قال قلت يارسول الله دعانى الى الدخول فى دينك امارة لنبوتك رايتك فى المهد تناغى القمر وتشير اليه باصبعك فحيث اشرت اليه مال فقال صلى الله عليه وسلم انى كنت احدثه ويحدثنى ويلهينى عن البكاء وكنت اسمع وجبته تحت العرش

وفى فتح البارى عن سيرة الواقدى انه صلى الله عليه وسلم تكلم فى اوائل ما ولد فقال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وقال مرة اخرى جل جلال ربى الرفيع وقال لا آله الا الله انى رسول الله وقد نظم السيوطى اسماء الذين تكلموا فى المهد فقال

تكلم فى المهد النبى محمد ويحيي وعيسى والخليل ومريم
ومبرى جريح ثم شاهد يوسف وطفل لدى الاخدود يرويه مسلم
وطفل عليه مر بالامة التى يقال لها تزنى ولا تتكلم

وماشطة فى عهد فرعون طفلها ‏ ‏ ‏ ‏ وفى زمن الهادى المبارك يختم

وقال بعض العلماء وكلام الصبي فى مهده يحتمل كونه بلا تعقل كما خلق الله التكلم فى الجماد ويحتمل كونه عن معرفة بان خلق الله فيه الادراك وكلام النبي وغيره من الانبياء كان من هذا القبيل وذكر ابن سبع فى الخصائص ان مهده صلى الله عليه وسلم كان يتحرك بتحريك الملائكة واخرج البيهقى وابن عساكر عن ابن عباس انه قال كانت حليمة تحدث بانها اول ما فطمت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا وافاد هذا مع ما مر قريبا انه تكلم بهذه الكلمات الطيبة فى الوقتين فلما ترعرع وقوى على الخروج كان يخرج فينظر الى الصبيان يلعبون فيتجنبهم عليه السلام ويأخذ بيد اخيه من الرضاع ويقول انا لم نخلق لهذا وكان صلى الله عليه وسلم يشب فى اليوم شباب الصبي فى الشهر فقام على قدميه فى ثلاثة اشهر من ولادته ومشى فى خمسة وتكلم لتسعة اشهر وبعد ان بلغ عند حليمة سنتين وانتهت مدة الرضاع فطمته واتت به جده عبد المطلب وهى متألمة من فراقه وفراق ما كانت عليه من توالى الخيرات وتتابع البركات بسبب رضاعه واقامته عندها ولما رأى جده وجدها عليه وشدة محبتها له وتعلقها به رثى لها ثم رده اليها بموافقة امه صلى الله عليه وسلم على ذلك وفى هذا التاريخ استولى سيف بن ذى يزن على اليمن وانتزعه من يد الحبشة بعد ان ملكوه سبعين سنة واستفحل امره فيه وسياتى خبر عبد المطلب معه وبعد استكمال اربع سنين وهو صلى الله عليه وسلم عند حليمة شق الملكان صدره الشريف واخرجا منه علقة اى قطعة من دم جامد سوداء ردية وقالا له هذا حظ الشيطان منك ياخير البرية وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن هذا فقال بينما انا مع اخ لى خلف

بيوتنا اذ جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا
فاخذانى فشقا بطنى من نحرى الى مراق بطنى وغسلا قلبى بذلك الثلج حتى
انقياه ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم فى يده من نور يحار النظر دونه فختم به
قلبى فامتلاء ايمانا وحكمة ثم اعاد الخاتم فى مكانه الذى كان فيه من يده وامرّ
اى الصق الآخر يده على مفرق صدرى اى محل الشق فالتأم ثم قال جبريل
عليه السلام قلب وكيع اى شديد فيه عينان تبصران واذنان سميعتان ثم قال
احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنتى بهم فرجحتهم ثم قال زنه بمائةمن
امته فوزنتى بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف فوزنتى بهم فوزنتهم فقال دعه عنك
فلو وزنته بامته كلها لوزنها ثم ضمونى الى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين
عينى ثم قالوا الى ياحبيب لم ترع انك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت
عيناك ثم قال صلى الله عليه وسلم فما هو الا ان ولياعنى فكأنما ارى الامر أى
النبوة معاينة جعل الله تعالى الامية مدحة له وفضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته
اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما هى متعلقة بالمعارف والعلوم مع مامنح
به صلى الله عليه وسلم وفُضِّلَ به من ذلك ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ
ولم يكتب ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة للبشر
وجعل سبحانه الامية فى غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة
فسبحان من باين امره صلى الله عليه وسلم من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه
محطة سواه قال الامام السبكى تلك العلقة المذكورة خلقها الله فى قلوب البشر
قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فازيلت من قلبه صلى الله عليه وسلم فلم يكن له مكان
قابل لان يلقى الشيطان فيه شيئاً منكرا فان قال بعض المتخذلقين ولم خلق الله هذا
القابل لان يلقى الشيطان فيه شيئاً فى هذه الذات الشريفة وكان يمكن ان لا

بخلقه تعالى فيها قلنا ان هذا القابل من جملة الاجزاء الانسانية فخلقه تعالى
تكملة للخلق الانسانى واما نزعه فامر ثان طرأ بعده ونظيره خلق الاشياء
الزائدة فى الانسان كالظفر والشارب ثم جاء الامر فى السنة بالختان وقص الظفر
والشارب ونتف الابط وغير ذلك من خصال الفطرة وفى اثر ما وقع له صلى الله
عليه وسلم على حسب ما ذكرناه رده ظئراه الى امه خوفاً عليه فقالت لمرضعته
حليمة ما اقدمك ياظئر وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه قالت حليمة فقلت
قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى على وتخوفت الاحداث عليه فآويته ورددته
اليك كما تحبين قالت ما هذا هو شأنك فاصدقيني خبرك فلم تدعنى حتى اخبرتها
قالت افتخوفت عليه الشيطان قالت قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه
من سبيل وان لابنى لشانا ثم رجعت حليمة الى قومها وتركته صلى الله عليه
وسلم عند امه وظهرت عليه علائم الفضل ومخائل النجابة والنبل بما لا يستقل
بوصفه لسان ولا ينهض بتأديته بيان

حتى انجلت ظلم الضلال بسعيه　　　وسطا الهدى بفريقها المغلوب

﴿ فصل فى ذكر وفاة امه صلى الله عليه وسلم ﴾

روى الزهرى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال لما بلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم ست سنين من عمره خرجت به امه الى اخوال جده عبد
المطلب وهم بنو عدى بن النجار بالمدينة تزيره اياهم فاقامت به عندهم شهرا
ولما هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة نظر الى دار اخوال جده فعرفها وقال
ههنا نزلت بى امى وذكر امورا كانت فى ايام مقامه هناك وقال كان قوم من
اليهود يختلفون ينظرون الىّ قالت ام ايمن مملوكته صلى الله عليه وسلم فسمعت
احدهم يقول هذا نبي هذه الامة وهذه البلدة دار هجرته فوعيت ذلك منه

ثم رجعت امه به الى مكة فلما كانت بالابواء اصابها مرض توفيت به ودفنت فيها ثم نقلت منها الى مكة ودفنت بالحجون والابواء موضع من اعمال الضرع بين مكة والمدينة والى المدينة اقرب وكان عمرها اذ ذاك فى حدود العشرين سنة وروى ابو نعيم فى دلائل النبوة من طريق الزهرى عن اسماء بنت رُهم عن امها قالت شهدت آمنة ام النبى صلى الله عليه وسلم فى علتها التى ماتت بها ورايت محمدا صلى الله عليه وسلم واقفا على رأسها فنظرت اليه ثم قالت

بارك الله فيك من غلام ... يا ابن الذى من حومة الحمام
نجا بعون الملك العلام ... فودى غداة الضرب بالسهام
بمائة من ابل سوام ... ان صح ما ابصرت فى المنام
فانت مبعوث الى الانام ... تبعث فى الحل وفى الحرام
تبعث بالتحقيق والاسلام ... دين ابيك البر ابرهام

ثم قالت كل حى ميت وكل جديد بال وكل كثير يفنى وانا ميتة وذكرى باق وولدت طهرا اى طاهرا ثم ماتت رضى الله عنها قالت ام اسماء فكنا نسمع نوح نساء الجن عليها فحفظنا من ذلك

تبكى الفتاة البرة الامينه ... ام نبى الله ذى السكينه
وصاحب المنبر بالمدينه ... صارت الى حفرتها رهينه
لو فوديت لفوديت ثمينه ... وللمنايا شفرة سنينه
لا تبقى ظاعنا ولا ظعينه ... الا اتت وقطعت وتينه
اما دللت ايها الحزينه ... على الذى ذو العرش يعلى دينه
فكلنا والهة حزينه ... تبكيك للعطلة او للزينه
او للضعيفات وللمسكينه

﴿ استطراد فى ذكر ايمان امه صلى الله عليه وسلم آمنة وابيه عبد الله ﴾

قال الزرقانى فى شرح المواهب نقلا عن الجلال السيوطى بعد ذكر
ابيات آمنة ام النبي صلى الله عليه وسلم وهذا القول منها صريح فى انها موحدة
اذ ذكرت دين ابراهيم عليه السلام وبعث ابنها صلى الله عليه وسلم بدين
الاسلام من عند الله تعالى فان التوحيد هو الاعتراف بالله تعالى والهيته وانه
لا شريك له والبراءة من عبادة الاصنام ونحوها وهذا القدر كاف فى التبرى
من الكفر وثبوت صفة التوحيد فى زمان الجاهلية قبل البعثة وانما يشترط قدر
زائد على هذا بعد البعثة ولا يظن ان كل من كان فى الجاهلية انه كان كافرا على
العموم فقد تحنف فيها جماعة منهم فلا بدع ان تكون امه صلى الله عليه وسلم
منهم فكيف واكثر من تحنف واتبع ملة ابراهيم عليه السلام انما كان سبب
تحنفه ما نقل عن آبائه من شريعة اسماعيل عليه السلام جيلا بعد جيل وما سمعه من
علماء اهل الكتاب والكهان قرب زمنه صلى الله عليه وسلم من انه قد قرب
بعث نبي من مكة صفته كذا وامه صلى الله عليه وسلم سمعت من ذلك اكثر
مما سمعه غيرها وشاهدت فى حمله وولادته فى ايام رضاعه من الايات
الباهره ما يحمل على التحنف ضرورة ورأت النور الذى خرج منها اضاءت
له قصور بصرى من ارض الشام وقالت لحليمة حين جاءت به لما شق صدره
الشريف هل خشيتم عليه الشيطان كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وانه
لكائن لابنى هذا الشأن وايضا فانها قدمت به الى المدينة عام وفاتها وسمعت
قول اليهود فيه وشهادتهم له بالنبوة ورجعت به الى مكة خوفا عليه منهم فهذا
كله مما يؤيد انها تحنفت فى حياتها واما ابوه رضى الله عنه فقد نقل عنه كلمات
واشعار تدل على توحيده ايضا كقوله حين عرضت امرأة من قريش نفسها

عليه عند ما رأته وشاهدت النور يتلألأ فى وجهه

اما الحرام فالممات دونه والحل لا حل فاستبينه

يحمى الكريم عرضه ودينه فكيف بالامر الذى تبغينه

هذا مع ما كان عليه من العفة والطهارة وقد قال صلى الله عليه وسلم لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وزيادة على ذلك فقد روى عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه ان يحيي ابويه فاحياهما له فامنا به ثم اماتهما قال الامام السهيلى والله قادر على كل شىء ونبيه صلى الله عليه وسلم اهل لان يخصه بما شاء من فضله وقال الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدمشقى

حبا الله النبي مزيد فضل على فضل وكان به رؤوفا

فاحيا امه وكذا اباه لايمان به فضلا منيفا

وقال التلمسانى روى اسلام امه صلى الله عليه وسلم بسند صحيح وكذا اسلام ابيه وكلاهما بعد الموت تشريفا له صلى الله عليه وسلم وذكر فى المواهب فى المعجزات ان الله تعالى احيا على يديه صلى الله عليه وسلم جماعة منهم الابوان والمؤودة وهى بنت الرجل الذى دعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فقال لا اؤمن بك حتى تحيي لى ابنتى فجاء معه الى قبرها وناداها باسمها فخرجت وهى تقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد اسلما فان احببت ان اردك عليهما فقالت لا حاجة لى فيهما وجدت الله خيرا منهما والشاب ابن العجوز روى خبره انس بن مالك رضى الله عنه فقال ان شابا من الانصار توفى وله ام عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابنى قلنا نعم قالت اللهم ان كنت تعلم انى هاجرت اليك والى نبيك رجاء ان تعيننى على كل شدة فلا تحملن علىّ

هذه المصيبة فما برحنا من مكاننا ان كشف الثوب عن وجهه فطعم وطعمنا
وسيأتى غير هذا فى باب معجزاته صلى الله عليه وسلم وقال الامام فخر الدين
الرازى ان ابوى النبى صلى الله عليه وسلم كانا على الحنيفية وهى دين ابراهيم
عليه السلام ويدل لذلك قوله تعالى وتقلبك فى الساجدين مع قوله صلى الله
عليه وسلم لم ازل انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال
تعالى انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد من اجداده مشركا وعلى
هذا اتفق كلام ائمة محققين منهم العلامة المحقق السنوسى والتلمسانى صاحب
المعالم وقد ايد الجلال السيوطى كلام الفخر الرازى بادلة كثيرة ثم قال وقد
صحت الاحاديث فى البخارى وغيره وتظافرت نصوص العلماء بان العرب
من عهد ابراهيم عليه السلام على دينه لم يكفر منهم احد الى ان جاء عمرو بن
لحى فهو اول من عبد الاصنام وغير دين ابراهيم وكان زمانه قريبا من زمان
كنانة جد النبى صلى الله عليه وسلم ثم ساق ادلة تشهد بان عدنان ومعداً
وربيعة ومضرا وخزيمة واسدا والياس وكعب بن لؤى كانوا على ملة ابراهيم
ثم قال فتلخص من مجموع ما سقناه ان اجداده صلى الله عليه وسلم من آدم
الى كعب وولده مرة مصرح بايمانهم الا آزر فانه مختلف فيه فان كان والداً
لابراهيم عليه السلام فانه يستثنى وان كان عمه فهو خارج عن الاجداد
الطاهرين وسلمت سلسلة النسب الطاهر قال الحافظ بن ناصر

تنقل احمد نورا عظيما ... تلألأ فى جباه الساجدينا
تنقل فيهم قرنا فقرنا ... الى ان جاء خير المرسلينا

وبالجملة فالابوان الشريفان ناجيان فهما فى الجنة ينعمان كما جزم به الحافظ
السهيلى والقرطبى وناصر الدين بن المنير والابى فى شرح مسلم وغيرهم من

المحققين كالامام السنوسى والامام التلمسانى محشى الشفا وقد نقل العلامة الطحطاوى من علماء الحنفية المتأخرين فى حواشيه على الدر المختار فى كتاب النكاح جملة من اقوال المحققين وذكر ان المحققين من الحنفية على هذا الاعتقاد وقال الامام الزرقانى فى شرح المواهب وسئل القاضى ابو بكر بن العربى احد ائمة المالكية عن بعض السفلة قال ان ابا النبى صلى الله عليه وسلم فى النار فاجاب بانه ملعون لقوله تعالى (ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة واعد لهم عذابا مهينا) وقال الامام الحافظ السيوطى فى مسالك الحنفا

ان الذى بعث النبى محمدا ... انجى به الثقلين مما يجحف
ولامه وابيه حكم شايع ... ابداه اهل العلم فيما صنفوا
فجماعة اجروهما مجرى الذى ... آياته خبر الدعاة المسعف
والحكم فيما لم تجئه دعوة ... ان لاعذاب عليه حكم مؤلف
فبذاك قال الشافعية كلهم ... والاشعرية ما بهم متوقف
وبسورة الاسراء فيه حجة ... وبنحو ذا فى الذكر آى تعرف
ولبعض اهل الفقه فى تعليله ... معنى ارق من النسيم والطف
ونحا الامام الفخر رازى الورى ... منحى به للسامعين تشنف
اذ هم على الفطر الذى ولدوا ولم ... يظهر عناد منهم وتخلف
قال الاولى ولدوا النبى المصطفى ... كل على التوحيد اذ يتحنف
من آدم لابيه عبدالله ما ... فيهم اخو شرك ولا يستنكف
فالمشركون كما بسورة توبة ... نجس وكلهم بطهر يوصف
هذا كلام الشيخ فخر الدين فى ... اسراره هبطت عليه الزرف

ثم قال

ولقد تدين فى زمان الجاهليـ ـة فرقة دين الهدى وتحنفوا
زيد بن عمر وابن نوفل هكذا اا تصديق ما شرك عليه يعكف
قد فسر السبكى بذاك مقالة للاشعرى وما سواه مزيف
اذا لم تزل عين الرضا منه على اا صديق وهو بطول عمر احنف
عادت عليه صحبة الهادى فما فى الجاهلية للضلالة يعرف
فلأمه وابوه احرى سيما ورأت من الايات ما لا يوصف

فصل

﴿ فى ذكر قيام جده عبد المطلب بكفالته صلى الله عليه وسلم ﴾

وبعد وفاة امه صلى الله عليه وسلم كفله جده عبد المطلب وضمه اليه فكان لا يفارقه اذا خلا واذا نام ويجلس على فراشه واولاده لا يجلسون عليه وذكر ابن اسحق انه كان يوضع لعبد المطلب فراش فى ظل الكعبة وكان لا يجلس عليه احد من بنيه اجلالا له فكان صلى الله عليه وسلم يأتى حتى يجلس عليه فيذهب اعمامه يؤخرونه فيقول عبد المطلب دعوا ابنى ويمسح على ظهره بيده ويقول ان لابنى هذا لشانا ويؤيد ذلك ما رواه الثقاة عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال سمعت ابى يقول كان لعبد المطلب فراش فى الحجر لا يجلس عليه غيره وكان حرب بن امية بن خلف فمن دونه من عظماء قريش يجلسون حوله فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتى وهو غلام فيجلس عليه فيأخذه اعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم دعوا ابنى فوالله ان له لشانا ثم يجلسه معه على الفراش ويمسح ظهره بيده ويسره ما يصنع وقال مرة ان ابنى هذا يحس من نفسه شرفا واعتلاء وارجو ان يبلغ من

الشرف والاعتلاء ما لا يبلغه عربي قبله ولا بعده وكان لا يا كل طعاما الا يقول
عليّ يابني فاذا حضر اجلسه الى جنبه وربما اقعده على فخذه فيؤثره باطيب
طعامه وما ذلك الا لعلمه بما يؤول اليه امر النبي صلى الله عليه وسلم مما تلقاه
عن الاحبار والرهبان والكهان من العرب وما ظهر من الايات البينات
وخوارق العادات من لدن ولادته صلى الله عليه وسلم الى حين قيامه بكفالته
وكان يشاهد في كل وقت من احواله صلى الله عليه وسلم مع صغره ما يبهر
العقول وخوفه عليه كان يبطن علمه فيه وربما اظهره لبعض بنيه كابي طالب
ويأمره بملاحظته والقيام بشؤنه وكان كثيرا ما يقول لام ايمن حاضنته صلى
الله عليه وسلم بعد وفاة امه لا تغفلي عنه فان اهل الكتاب يقولون انه نبي
هذه الامة وانا لا آمن عليه منهم وبالجملة فانه كان يحافظ عليه في سائر اوقاته

وذكر ابن اسحق في سيرته ان حليمة السعدية لما قدمت به صلى الله عليه
وسلم اضلها اي فقدها في الناس وهي مقبلة به نحو اهله فالتمسته فلم تجده فاتت
عبد المطلب فقالت له اني قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت باعلى مكة اضلني
فوالله ما ادري اين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله ان يرده فوجده
ورقة بن نوفل ورجل آخر من قريش فاتيا به عبد المطلب فقالا هذا ابنك
وجدناه باعلى مكة فاخذه عبد المطلب فجعله على عنقه وطاف به بالكعبة وهو
يعوذه ويدعو له ثم ارسله الى آمنة امه

فصل

﴿ في ذكر خبر عبد المطلب مع سيف بن ذي يزن ﴾

وخبر عبد المطلب مع سيف بن ذي يزن مشهور وما اسر به اليه واوصاه
به من المحافظة على النبي صلى الله عليه وسلم منقول خلفا عن سلف قال العمري

والقسطلانى وغيرهما من علماء السير المحققين لما جاء سيف بن ذى يزن الى
اليمن فى عساكر الفرس واشياعه من العرب وقاتل الحبشة فانتصر عليهم
واستأصل شافتهم هذا بعد ان تغلبوا على اليمن واستمر فى ايديهم سبعين سنة
ولما شاع امر سيف بن ذى يزن جاءته وفود العرب تهنئه بذلك من كل
جانب وتوجه اليه عبد المطلب فى اشراف قريش ولاول وصولهم اخبر بمكانهم
فاذن لهم فدخلوا عليه ودنا منه عبد المطلب حتى قام بين يديه واستأذنه فى
الكلام فقال له ان كنت ممن يتكلم بين يدى الملوك فقد اذنا لك فقال ايها
الملك نحن اهل حرم الله وسدنة بيته اشخصنا اليك الذى ابهجنا من كشف
ما كدرنا من الكرب ونحن وفد التهنئة لا وفد التعزية فعند ذلك قال له
الملك من انت قال عبد المطلب بن هاشم قال ابن اختنا قال نعم قال ادن منا ثم
اقبل عليه وعلى القوم فقال مرحبا واهلا وناقة ورحلا ومستناخا سهلا وملكا
يعطى عطاء جزلا قد سمعت مقالتكم وعرفت قرابتكم وقبلت وسيلتكم
فانكم اهل الليل والنهار ولكم الكرامة ما اقمتم والحباء اذا ظعنتم ثم انهضوا
الى دار الضيافة والوفود واجرى عليهم الانزال فاقاموا بذلك شهرا لا يصلون
اليه ولا يؤذن لهم بالانصراف ثم انتبه لهم انتباهة فارسل الى عبد المطلب
فادناه ثم قال ياعبد المطلب انى مفض اليك من سر علمى امرا لو غيرك لم ابح
له به ولكن رايتك معدنه فاطلعتك طلعه اى عليه فليكن مخبأ حتى ياذن الله
عز وجل فيه انى اجد فى الكتاب المكنون والعلم المصون الذى ادخرناه
لانفسنا وكتمناه دون غيرنا خبرا عظيما وخطرا جسيما فيه شرف الحياة وفضيلة
الوفاة للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة فقال له عبد المطلب مثلك ايها
الملك سر وبر فما هو فداك اهل الوبر زمرا بعد زمر قال اذا ولد بتهامه غلام بين

كتفيه شامة تكون له الامامه ولكم الزعامه الى يوم القيامه فقال له عبد
المطلب ايها الملك قد ابت منك بخيرٍ ما آب بمثله وافد قوم ولولا هيبة الملك
واجلاله لسألتكم من مسارر تكم اياى بما ازداد به سرورا فقال له الملك هذا
حينه الذى يولد فيه او قد ولد اسمه محمد يموت ابوه وامه ويكفله جده وعمه قد
ولدناه مرارا والله باعثه جهارا وجاعل له منا انصارا يعزّ بهم اولياءه ويذل بهم
اعداءه ويضرب بهم الناس عن عرض ويستفتح بهم كرائم الارض يعبد
الرحمن ويدحض الشيطان ويخمد النيران ويكسر الاوثان قوله فصل وحكمه
عدل يامر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله فقال له عبد المطلب جد
جدك ودام ملكك وعلا كعبك فهل الملك يسر الىّ بافصاح فقد وضح لى
بعض الايضاح فقال الملك والبيت ذى الحجب والعلامات على النقب (الطرق)
انك لجده ياعبد المطلب غير كذب فخر عبد المطلب ساجدا شكراً لله فقال له
ارفع رأسك ثلج صدرك وعلا كعبك فهل احسست بشىء مما ذكرت لك حتى
سجدت شكرا لمولاك على ما اولاك قال نعم ايها الملك انه كان لى ابن وكنت
به معجبا وعليه رفيقا وانى زوجته من كرائم قومى آمنة بنت وهب بن عبد
مناف بن زهرة فجاءت بغلام فسميته محمدا مات ابوه وامه وكفلته انا وعمه
يعنى ابا طالب ثم قال له ان الذى قلته لك هو كما قلت فاحتفظ على ابنك واحذر
عليه من اليهود فانهم له اعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلا واطوِ ما ذكرته
لك عن هؤلاء الرهط الذين معك فانى لست آمن ان تداخلهم النفاسة من ان
تكون لهم الرياسة فينصبون له الحبائل ويبغون له الغوائل وهم او ابناؤهم
فاعلون ذلك لا محالة ولولا انى اعلم ان الموت مجتاحى اى مهلكى قبل البعثة
لسرت بخيلى ورجلى حتى اصير بيثرب دار ملكه فانى اجد فى الكتاب

الناطق والعلم السابق ان يثرب دار ملكه ومحل استحكام امره وموضع قبره ولو انى اخاف عليه الآفات واحذر عليه العاهات لاعلنت على حداثة سنه امره واعليت على اسنان العرب كعبه ولكن ساصرف ذلك اليك من غير تقصير بمن معك ثم دعا بالقوم وامر لكل واحد منهم بعشرة اعبد وعشرة اماء وحلتين من حلل البرود وعشرة ارطال ذهبا وعشرة ارطال فضة ومائة من الابل وكرش مملوء عنبرا وامر لعبد المطلب باضعاف ذلك وقال له اذا جاء الحول فاتنى بخبره وما يكون من امره فمات الملك سيف قبل ان يحول عليه الحول وكان عبد المطلب يقول لمن معه لا يغبطنى رجل منكم بجزيل عطاء الملك ولكن يغبطنى بما يبقى لى ولعقبى ذكره وفخره فاذا قيل له ما هو قال سيعلم ما اقول ولو بعد حين

واقام عبد المطلب فى رياسة قريش بمكة المكرمة والكون يصفى لملك العرب والعالم يتمخض بفصيل النبوة الى ان وضح نور الله من افقهم وسرى خبر السماء الى بيوتهم واختلفت الملائكة وتعاقبت الى احيائهم وخرجت الخلافة فى انصبائهم وصارت العزة لمضر ولسائر العرب بهم

فصل

﴿ فى ذكر وفاة عبد المطلب ﴾

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم ثمان سنين توفى جده عبد المطلب عن مائة واربعين سنة روى ابن اسحق عن محمد بن سعيد بن المسيب ان عبد المطلب لما حضرته الوفاة جمع بناته وكنّ ست نسوة صفية وبرة وعاتكة وام حكيم البيضاء واميمة واروى فقال لهن ابكين علىّ حتى اسمع ما تقلن قبل ان اموت فقالت صفية

ارقت لصوت نائحة بليل على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عندذاك دموع عيني على خدى كمنحدر الفريد
على رجل كريم غير وغل له الفضل المبين على العبيد
على الفياض شيبة ذى المعالى جزيل الخير وارث كل جود
صدوق فى المواطن غير نكس ولا شخت المقام ولا سنيد
طويل البال اروع شيظمىّ مطاع فى عشيرته حميد
رفيع البيت ابلج ذى فضول وغيث الناس فى الزمن الحرود
كريم الجد ليس بذى وصوم يروق على المسود والمسود
عظيم الحلم من نفر كرام خضارمة ملاوثة اسود
فلو خلد امرؤٌ لقديم مجد ولكن لا سبيل الى الخلود
لكان مخلدا اخرى الليالى لفضل المجد والحسب التليد

وقالت برة

اعينىّ جودا بدمع درر على طيب الخيم والمعتصر
على ماجد الجد وارى الزناد جميل المحيا عظيم الخطر
على شيبة الحمد ذى المكرمات وذى المجد والعز والمفتخر
وذى الحلم والفضل فى النائبات كثير المكارم جم الفخر
له فضل مجد على قومه منير يلوح كضوء القمر

وقالت عاتكة

اعينىّ جودا ولا تبخلا بدمعكما بعد نوم النيام
اعينىّ واسحنفرا واسكبا وشوبا بكاء كما بالتدام
اعينىّ واستمطرا واسجما على رجل غير نكس كهام

على الجحفل الغمر فى النائبات | كريم المساعى وفىّ الذمام
على شيبة الحمد وارى الزناد | وذى مصدق بعد ثبت المقام
وسيف لدى الحرب صمصامة | ومردى المخاصم عند الخصام

وقالت ام حكيم

الا ياعين جودى واستهلى | وابكى ذا الندا والمكرمات
الا ياعين ويحك فاسعدينى | بدمع من دموع هاطلات
وابكى خير من ركب المطايا | اباك الخير تيار الفرات
طويل الباع شيبة ذى المعالى | كريم الخيم محمود الهبات
وصولا للقرابة هبرزياً | وغيثا فى السنين الممحلات
وليثا حين تشتجر العوالى | تروق له عيون الناظرات
عقيل بنى كنانة والمرجى | اذا ما الدهر اقبل بالهنات
ومفزعها اذا ما هاج هيج | بداهية وخصم المعضلات
فبكيه ولا تسمى لحزنٍ | وبكى ما بقيت الباكيات

وقالت اميمة فى ابيات

ابو الحارث الفياض خلى مكانه | فلا تبعدن فكل حى الى بعد
فانى لباكٍ ما بقيت وموجع | وكان له اهلا لما كان من وجد
سقاك ولىّ الناس فى القبر ممطرا | فسوف ابكيه وان كان فى اللحد
فقد كان زينا للعشيرة كلها | وكان حميدا حيث ما كان من حمد

وقالت اروى وهى اجودهن شعرا

بكت عينى وحق لها البكاء | على سمح سجيته الحياء
على سهل الخليقة ابطحىّ | كريم الخيم نيته العلاء

على الفياض شيبة ذى المعالى … حليف الخير ليس له كفاء
طويل الباع املس شيظمى … اغر كأن غرته ضياء
اقب الكشح اروع ذى فضول … له المجد المقدم والسناء
ابىّ الضيم ابلج هبرزىّ … قديم المجد ليس به خفاء
ومعقل مالك وربيع فهر … وفاصلها اذا التمس القضاء
وكان هو الفتى كرما وجودا … وبأسا حين تنسكب الدماء
اذا هاب الكماة الموت حتى … كأن قلوب اكثرهم هواء
مضى قدما بذى برد قشيب … عليه حين تبصره البهاء

وقال حذيفة بن غانم اخو بنى عدى بن كعب بن لؤى يبكى عبد المطلب ويذكر فضله وفضل قصى على قريش وفضل ولده من بعده وهى قصيدة طويلة منها

اعينى جودا بالدموع على الصدر … ولا تسأما اسقيتما سيل القطر
وجودا بدمع واسفحا كل شارق … بكاء امرىء لم يشوه نائب الدهر
على رجلٍ جلد القوى ذى حفيظة … جميل المحيا غير نكس ولا هذر
على خير حاف من معدٍ وناعل … كريم المساعى طيب الخيم والنجر
وخيرهم اصلا وفرعا ومعدناً … واحظاهم بالمكرمات وبالذكر
واولاهم بالمجد والحلم والنهى … وبالفضل عند المجحفات من الغبر
على شيبة الحمد الذى كان وجهه … يضىء سواد الليل كالقمر البدر
طوى زمزما عند المقام فاصبحت … سقايته فخرا على كل ذى فخر
ليبكى عليه كل عانٍ بكربة … وآل قصيٍ من مقلٍ وذى وفر
بنوه سراة كهلهم وشبابهم … تفلّق عنهم بيضة الطائر الصقر
فان تك غالته المنايا وصرفها … فقد عاش ميمون النقيبة والامر

وابقى رجالا سادة غير عزّل   مصاليت امثال الردينيـة السمر

ثم مات بعد ذلك

فصل

﴿ فى ذكر قيام ابى طالب بكفالته صلى الله عليه وسلم ﴾

وبعدموت عبد المطلب قام بكفالة النبي صلى الله عليه وسلم عمه ابو طالب شقيق ابيه و كان ابوه عبد المطلب اوصاه به فقال

اصى ابا طالب بعدى بذى رحم   محمـد وهو فى النـاس محمود
هذا الذى قرر الاحبار ان له   شانا سيظهره نصر وتايـيد
فى كتب عيسى وموسى منه بينة   كما يحدثنى القوم العباديد
فاحذر عليـه شرار الناس كلهم   والحاسدين فان الخير محسود

فاحسن ابو طالب القيام بكفالته صلى الله عليه وسلم و كان يعتنى بامره حتى انه كان لا ينام الا الى جنبه ولا يخرج اذا خرج الا به وذكر ابن قتيبة انه كان يوضع الطعام له صلى الله عليه وسلم ولصبيـة ابى طالب فيتطاولون الى الطعام ويتقاصر هو وتمتد ايديهم وتنقبض يده صلى الله عليه وسلم تكرما منه واستحيـاء ونزاهة نفس وقنـاعة قلب ويصبحون عمصا مصفرة الوانهم ويصبح صلى الله عليه وسلم صقيلا دهينا فى انعم عيش واعز كفاية لطفاً من الله تعالى به

روى ابن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما ان رجلا من لهب من ازد شنوأة كان عايفاً فكان اذا قدم مكة اتاه رجال من قريش بغلمانهم اليهم ويعتاف لهم فيهم اى يخبرهم باحوالهم فى ما لهم قال فاتى ابو طالب بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شيء فلما فرغ قال اين

الغلام عليّ به فلما رأى ابو طالب حرصه عليه غيبه عنه فجعل العايف يقول ويلكم ردوا الغلام الذى رايت آنفاً فوالله ليكونن له شأن قال فانطلق به ابو طالب الى بيته ولم يأذن للعايف ان ينظر اليه خوفا عليه وكان ابو طالب يقدر النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره مع صغر سنه وكان يحسن الاعتقاد فيه ولا يشك فى ظهوره بما ذكره اهل الكتاب واشاعوه عنه من انه آخر النبيين وانه افضل الخلق حتى انه كان يتوسل به الى الله تعالى فيما يعرض له او يسأل منه

اخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطه قال قدمت مكة واهلها فى قحط فقالوا له وانا حاضر اسمع لهم ياأباطالب اقحط الوادى واجدب العيال فهلم فاستسق لنا فخرج ومعه غلام وهو النبي صلى الله عليه وسلم كانه بدر انجلت عنه سحابة قتماء (اى سوداء) فاخذه ابو طالب فالصق ظهوره بالكعبة ولاذ الغلام باصبعه مشيرا الى السماء كالمتضرع المتلجيء وما فى السماء قزعة فاقبل السحاب من هنا ومن ههنا واغدق وانفجر له الوادى واخصب النادى والبادى والى هذا اشار ابو طالب فى قصيدة له

وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

فصل

﴿ فى ذكر سفرته الاولى صلى الله عليه وسلم مع عمه ابى طالب ﴾
﴿ الى بلاد الشام ﴾

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم اثنتى عشرة سنة تهيا ابو طالب للخروج فى ركب من تجار قريش الى بلاد الشام فلما اجمع المسير تعلق به رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب المسير معه فرق له وخرج به معه فلما قرب الركب من

بصرى من ارض الشام وبها راهب يقال له بحيرا (بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملة مقصورا ويكتب ممدودا) وهو فى صومعة له اقبل ينظر اليهم وهو فى صومعته فرأى شخصاً وهو النبي صلى الله عليه وسلم مقبلا فى الركب وغمامة تظله من بين القوم ثم انتهوا الى شجرة قريبة منه فنزلوا فى ظلها فنظر الى الغمامة حين اظلت الشجرة وتهدلت اغصانها على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يستظل تحتها فلما راى ذلك صنع لهم طعاما كثيرا ثم نزل من صومعته وارسل اليهم فقال انى قد صنعت لكم طعاما يامعشر قريش فاحب ان تحضروا كلكم كبيركم وصغيركم عبدكم وحركم فقال له رجل منهم والله يابحيرا ان لك لشأنا اليوم فتى كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما تكلمنا فما شأنك اليوم فقال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد احببت ان اكرمكم فى هذه المرة وصنعت لكم طعاما لتأكلوا منه كلكم فاجتمعوا اليه عند صومعته وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحالهم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا فى القوم لم يرَ الصفة التى يعرفها ويجدها عنده فى كتبه فقال يامعشر قريش لا يتخلفن احد منكم عن طعامى قالوا له يابحيرا ما تخلف عنك احد ينبغى له ان يأتيك الا غلام وهو احدث القوم سنا فتخلف فى رحالنا قال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم فقام رجل منهم وقال هذا لؤم بنا كيف يتخلف ابن عبدالله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم جاء به واجلسه مع القوم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه وينظر الى اشياء من جسده يجدها عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال له ياغلام اسالك بحق اللات والعزى الا ما اخبرتنى عما اسالك وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم مع حداثة سنه لا تسألني باللات والعزى فوالله ما ابغضت شيئاً قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما اخبرتني عما اسالك عنه فقال له سل عما بدا لك فجعل يساله عن اشياء من حاله من نومه وهيأته واموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عنده من صفته ثم نظر الى ظهره فراى خاتم النبوة بين كتفيه على الصفة التي يعرفها

قال ابن هشام وكان الخاتم مثل اثر المحجم فلما فرغ اقبل على ابي طالب فقال ما هذا الغلام منك قال ابني قال له ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام ان يكون ابوه حياً قال فانه ابن اخي قال فما فعل ابوه قال مات وامه حبلى به قال صدقت ارجع بابن اخيك الى بلده واحذر عليه يهودَ فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرّاً فانه كائن لابن اخيك هذا شأن عظيم فاسرع به الى بلده فعمل ابو طالب بوصية بحيرا فكان يحافظ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام اقامته ببصرى ثم خرج به منها حين فرغ من تجارته واسرع راجعا به حتى اقدمه مكة

وممن رآه في سفرته هذه وعرفوا صفته وقصدوا غيلته جماعة من اليهود وهم زريرا وتمام ودريس فردهم بحيرا وغضب عليهم وذكرهم الله وما يجدون في الكتاب من ذكره وصفته وقال لهم مالكم اليه من سبيل فتركوه وانصرفوا عنه والى جميع ما تقدم اشار ابو طالب في قوله

ان ابن آمنة الامين محمدا	عندي بمثل مثابة الاولاد
لما تعلق بالزمام رحمته	والعيس قد قلصن بالازواد
راعيت فيه قرابة موصولة	وذكرت فيه وصية الاجداد

وامرته بالسير بين عمومة ... بيض الوجوه مصالت انجاد

حتى اذا ما القوم بصرى عاينوا ... لاقوا على شرك من الارصاد

حبرا فاخبرنا حديثا صادقا ... عنه ورد معاشر الحساد

قوم يهود لقد راوا ما قدراى ... ظل الغمامة موعز الاكباد

ثاروا لقتل محمد فنهاهم ... عنه واجهد احسن الاجهاد

فصل

﴿ فى ذكر حرب الفجار الاول والثانى ﴾

اما حرب الفجار الاول فلم يقع فيه ما يستوجب التطويل فى شرحه ذكر المحققون من اهل التاريخ ان حرب الفجار الاول كان بين قريش وما اليها من كنانة كلها وبين قيس غيلان وسببه ان رجلا من بنى نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن له دين على رجل من كنانة فاعدم الكنانى وعجز عن الاداء فوافى النصرى سوق عكاظ بقرد وقال من يبتنى هذا بما لى على فلان الكنانى ومقصوده بذلك تعيير الكنانى وقومه فمر به رجل من كنانة فضرب القرد بالسيف انفة مما قال النصرى فصرخ النصرى فى قيس وصرخ الكنانى فى كنانة فاجتمعوا وتحاوروا حتى كاد يكون بينهم القتال ثم اصطلحوا وقال آخرون كان سبب الفجار الاول ان فتية من قريش تعرضوا لامرأة من بنى عامر فاستسخروا بها فصاحت يا لبنى عامر فاتاها قومها وتنازع الحيان حتى كاد يكون القتال ثم راوا ان الامر لا يدعو الى ذلك فتناهوا واصطلحوا وذهب آخرون الى ان السبب ان بدر بن مكرز ويعرف بابى معشر الغفارى وكان غازيا منيعا وكان له مجلس خاص به بسوق عكاظ يجلس فيه ويفتخر على الناس فجلس فيه يوما وبسط رجله وقال

نحن بنو مدركة بن خندف   من يطعنوا فى عينه لا يطرف
ومن يكونوا قومه لغطرف   كأنه لجة بحر مسرف

انا والله اعز العرب فمن زعم انه اعز منى فليضربها بالسيف فقام رجل من قيس يقال له احمر بن مازن فضربها بالسيف فخدشها خدشا غير كبير فاختصم الناس ثم اصطلحوا

واما الفجار الثانى وكان بعد الفيل وبعد موت عبد المطلب فلم يكن فى ايام العرب اشهر منه ولا اعظم حضره النبي صلى الله عليه وسلم وكان له من العمر وقتئذ اربع عشرة سنة وقيل عشرون وكان يقول حضرتها مع عمومتى ورميت فيها باسهم وما احب انى لم اكن فعلت وانما سميت هذه الحرب بالفجار لما استحله القوم كنانة وقيس فيه من المحارم وسببه ان البراض بفتح الباء الموحدة والراء المشددة ابن قيس بن رافع الكنانى ثم الضمرى وكان رجلا فاتكا خليعا قد خلعه قومه لكثرة شره وكان يضرب المثل بفتكه فيقال افتك من البراض قال بعضهم

والفتى من تعرقته الليالى   فهو فيه كالحية النضناض
كل يوم له بصرف الليالى   فتكة مثل فتكة البراض

خرج حتى قدم على النعمان بن المنذر وكان النعمان يبعث بلطيمة وهى العير التى تحمل الطيب والبز للتجارة يرسلها لتباع فى سوق عكاظ فقال وعنده البراض وعروة بن عتيبة بن جعفر بن كلاب المعروف بالرحال لكثرة رحلته الى الملوك من يجير لى لطيمتى هذه اى يحميها حتى يبلغها عكاظ فقال البراض ابيت اللعن انا اجيرها على كنانة فقال النعمان انما اريد من يجيرها على كنانة وقيس فقال عروة انا اجيرها على اهل الشيح والقيصوم وعلى الناس كلهم

فدفع النعمان اللطيمة الى عروة وامره بالمسير بها وخرج البراض يتبع أثره وعروة يرى مكانه ولا يخشى منه حتى اذا كان عروة بين قومه بوادي تيمن بنواحي فدك ادركه البراض فقتله فطار الخبر الى قريش وسائر بني كنانة وهم في عكاظ فركبوا الصعب والذلول راجعين الى مكة لما توقعوه من الحرب بينهم وبين قيس هوازن فبلغ خبرهم عامر بن مالك بن ملاعب الاسنة رئيس قيس فقال غدرت قريش والله لا تنزل كنانة عكاظ ابدا ثم ركب في قومه وتناذر الحيان من اماكنهم واجتمعوا بنخلة فاقتتلوا واتصلت الحرب بين الفريقين اربعة ايام وكان ابو طالب يحضرها ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم احياناً فاذا جاء به انتصرت كنانة وقريش على قيس فقالوا له لا أب لك يا ابا طالب لا تغب عنا انت وهذا الغلام ابن اخيك ففعل وقال صاحب الامتاع في مساق هذا الخبر ان النبي صلى الله عليه وسلم طعن ابا براء بن ملاعب الاسنة وكان رئيس هوازن كما ذكرنا وحامل رايتهم وكان مع حرب بن امية اخوته سفيان وابو سفيان والعاص وابو العاص بنو امية فعقل حرب نفسه وقيد سفيان وابو العاص نفسيهما وقالوا لن يبرح رجل منا من مكانه حتى نموت او نظفر فسموا يومئذ العنابس والعابس الاسد واقتتل الفريقان قتالا شديدا فكان الظفر اول النهار لقيس ثم كانت الكرة عليهم فغلبهم بنو كنانة واجتاحوهم ولما راى سبيع بن ربيع هزيمة قبائل قيس وكان سيدا فيهم عقل نفسه واضطجع وقال يامعشر بني نصر قاتلوا عني او ذروا فعطفت عليه بنو نصر وجشم وسعد بن بكر وفهم وعدوان من قبائل هوازن وانهزم الباقي منهم فقاتل هؤلاء اشد قتال رآه الناس ثم انهم تداعوا الى الصلح فاصطلحوا على ان يعدوا القتلى فاى الفريقين فضل له قتلى ديتهم من الفريق الاخر

فتعادوا القتلى فوجدوا قريشاً وبنى كنانة قد افضلوا على قيس فرهن حرب بن امية ابنه سفيان فى ديات القوم حتى يؤديها ورهن غيره من الرؤساء فلما رأت قيس هوازن الرهن فى ايديهم عفوا عن الدماء واطلقوهم وانصرف الناس بعضهم عن بعض ووضعت الحرب اوزارها وتعاهدوا على ان لا يؤذى بعضهم بعضا فيما كان من امر البراض وعروة الرحال

فصل

﴿ فى ذكر حلف الفضول ﴾

قد حضر صلى الله عليه وسلم هذا الحلف وهو اشرف حلف فى العرب والحلف اليمين والعهد وكان بعد منصرف قريش من حرب الفجار واول من دعا اليه الزبير بن عبد المطلب عم النبى صلى الله عليه وسلم فاجتمع اليه بنو هاشم وبنو زهرة وبنو اسد وذلك فى دار عبدالله بن جدعان التيمى القرشى رئيس بنى تيم وكانوا فى حياته كاهل بيت واحد يقوتهم كلهم ويقوم بمصالحهم ومن خبره انه كان يذبح فى داره كل يوم جازورا وينادى مناديه من اراد الشحم واللحم فعليه بدار ابن جدعان وكان يطبخ الفالوذج ويطعمه قريشاً وكان قبله يطعم التمر والسويق ويسق الحليب فاتفق ان امية بن الصلت مرّ على بنى المدان فراى طعامهم لباب الحنطة (اى السميد) والشهد فقال ذلك

ولقد رايت الفاعلين وفعلهم ... فرايت اكرمهم بنى المدان

البر يلبك بالشهاد طعامهم ... لا يغلبن به بنى جدعان

قوله يلبك اى يخلط فبلغ شعره ابن جدعان فارسل الى بصرى الشام فحمل اليه منها البر والشهد والسمن وهذه اجزاء الفالوذج التى يركب منها وجعل مناديه ينادى الا هلموا الى جفنة بن جدعان وقد مدح امية بن

الصلت ابن جدعان مدائح كثيرة منها قوله وهو غاية فى البلاغة وحسن الانسجام

أأذكر حاجتى ام قد كفانى	حياؤك ان شيمتك الحياء
اذا اثنى عليك المرء يوما	كفاه من تعرضك الثناء
كريم لا يغيره صباح	عن الخلق الجميل ولا مساء
يبارى الريح مكرمة وجودا	اذا ما الضب احجره الشتاء

وكان عبدالله بن جدعان فى قريش ذا شرف وسن وهو من جملة من حرم الخمر على نفسه فى الجاهلية تنزها عما ينشأ عنها من الخبائث هذا بعد ان كان مغرما بها ولما ارادوا واجمعوا على حلف الفضول صنع لهم طعاما اجتمعوا عليه فى داره وتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن مع المظلوم يدا واحدة حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر اى الى الابد

وفى صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف ويفعل المعروف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة قال لا لانه لم يقل يوما من الايام رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين يعنى لم يكن ابن جدعان مسلماً لان القول المذكور لا يصدر الا من مؤمن صادق الايمان

وكان ابن جدعان يكنى ابا زهير وقد قال صلى الله عليه وسلم فى اسرى بدر لو كان ابو زهير حياً فاستوهبهم منى لوهبتهم له وقد ذكر انهم تحالفوا على ان يردوا الفضول على اهلها وان لا يغزوا ظالم على مظلوم والمراد بالفضول ما يؤخذ ظلما

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك الحلف وكان يقول ما

احب ان لى بحلفٍ حضرته فى دار ابن جدعان حمر النعم وانى اعذر به (اى لا احب الغدر به وان اعطيت حمر الابل فى ذلك) وفى حديث آخر انه صلى الله عليه وسلم قال (لو دعى بحلف الفضول فى الاسلام لاجبت لان الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم) وسبب حلف الفضول ان رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاص بن وائل السهمى القرشى وكان من اهل الشرف والقدر بمكة فلم يدفع له حقه فاستدعى ابناء عمه الاحلاف عليه وهم بنو عبد الدار وبنو مخزوم وبنو جمح وبنو سهم وبنو عدى بن كعب فابوا ان يعينوه على العاص بن وائل وانتهروه فقام على جبل ابى قبيس عند الشروق وقريش فى انديتهم فقال باعلى صوته

يا اهل فهر لمظلوم بضاعته	ببطن مكة ناءى الدار والنفر
ومحرم اشعث لم يقض عمرته	ياللرجال وبين الحِجْر والحجر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وعبدالله بن جدعان ومن معهم وتعاقدوا وتعاهدوا ليكونن يدا واحدة مع المظلوم حتى يرد اليه حقه شريفا او وضيعا ثم مشوا الى العاص بن وائل فانتزعوا منه بضاعة الزبيدى وردوها اليه

وذكر السهيلى ان رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا او حاجا ومعه بنت من اجمل النساء فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج القرشى فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى باعلى صوته يا آل حلف الفضول فاذا هم ينعقون اليه اى يسرعون من كل جانب وقد جردوا السيوف يقولون جاء الغوث فمالك فقال ان نبيها ظلمنى فى بنتى فاخذها منى قسرًا اى قهرًا فساروا اليه فسألهم ان يمتعوه بها ليلة واحدة فقالوا ولا شخب لقحة اى مقدار زمن حلب ناقة فاخرجها وسلموها لابيها سالمة لم يمسها بسوء من غاصبها

فصل

﴿ فى ذكر سفره صلى الله عليه وسلم المرة الثانية الى بلاد الشام ﴾

﴿ وذكر تزوجه بخديجة بنت خويلد رضى الله عنها ﴾

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة سافر الى الشام مرة ثانية فى تجارة خديجة بنت خويلد ومعه غلامها ميسرة يخدمها فسار حتى اتى سوق بصرى وذلك بعد وفاة بحيرا فنزل تحت شجرة قريبة من صومعة نسطورا الراهب فعرفه واحضر ميسرة فسأله استظهاراً للعلامة من هذا الذى نزل تحت الشجرة قال من قريش قال أفى عينيه حمرة قال نعم وساله عن غير ذلك من صفاته صلى الله عليه وسلم فاخبره ميسرة بما يعلم منها فتحقق حينئذ نسطورا انه النبى الموعود بخروجه وظهور امره وقال لميسرة لا تفارقه وكن معه بصدق نية وصفاء طوية فانه ممن اكرمه الله من عباده بالنبوة والرسالة والشجرة المذكورة التى نزل صلى الله عليه وسلم تحتها قال بعض المحققين انها كانت شجرة زيتون وشجر الزيتون يعمر الى ثلاثة الاف سنة وبعد ان نال النبى صلى الله عليه وسلم من تجارته ما اراد عاد الى مكة فراته خديجة مقبلا بعد انفصاله من القافلة وغمامة تظله تقف اذا وقف وتسير اذا سار وكان معها نسوة فى غرفة عالية لها فتعجبن من ذلك ثم انها اخبرت ميسرة بما راته فاخبرها بانه راى ما راته فى سفره كله وحكى لها ما قاله نسطورا الراهب فظهر بما راته وسمعته انه نبى الله تعالى حقا فرغبت فيه وقالت يا ابن عمى انى قد رغبت فيك لقرابتك وامانتك وحسن خلقك وصدق حديثك فذكر صلى الله عليه وسلم ذلك لاعمامه فخرج معه ابو طالب حتى دخل على عمها عمرو بن اسد فخطبها اليه وكان ابوها خويلد قد مات قبل ذلك فرضى عمرو ثم اجتمع رؤساء قريش

لعقد النكاح فقام ابو طالب خطيبا فقال الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم
وزرع اسماعيل وضئضئ معد بن عدنان وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته
وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا (اى مقصودا بالحج) وحرما امنا وجعلنا
الحكام على الناس ثم ان ابن اخى هذا محمد بن عبدالله لا يوزن برجل الا رجح
به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وان كان فى ماله قلة (اى بالنسبة الى اغنياء قريش)
فان المال ظل زائل وامر حائل ومحمد من عرفتم من ذرية هاشم وعبدالمطلب
والاباء الكرام فالحسب اعظم من كثرة المال وقد خطب خديجة بنت خويلد
من عمها عمرو وبذل لها ما عاجله وآجله من مالى وماله اربعمائة دينار وهو
والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل جسيم ثم قعد وقام ورقة بن نوفل ابن
عم خديجة فقال الحمد لله الذى جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت فنحن
سادة العرب وقادتها وانتم اهل لذلك كله لا تنكر العشيرة فضلكم ولا يرد
احد من فخركم وشرفكم وقد رغبنا فى الاتصال بحبلكم وشرفكم فاشهدوا
علىّ معاشر قريش بانى قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمد بن عبدالله على
اربعمائة دينار ثم سكت فقال ابو طالب قد احببت ان يشركك فيما ذكرت
عمها عمرو فقام عمرو وقال اشهدوا علىّ يامعشر قريش انى قد انكحت محمد
بن عبدالله خديجة ابنة اخى خويلد ثم شهد على ذلك صناديد قريش واولم صلى
الله عليه وسلم واطعم الناس وفرح ابو طالب فرحاً ظهر عليه وقال الحمد لله الذى
بنعمته تتم الصالحات وهذه اول وليمة اولمها رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولما بنى صلى الله عليه وسلم بخديجة لم تبق خريدة عذراء من بنات قريش الا
مرضت اسفاً على عدم تزوجه صلى الله عليه وسلم بها وذلك لما كان عليه صلى
الله عليه وسلم من الجمال الباهر والكمال الظاهر ولما احرزه وادركه من

التقدم مع صغره على اكبر قومه واستمر صلى الله عليه وسلم على اكمل الزكاء والطهارة فى اخلاقه وظهرت كرامة الله فيه فلو بالغ الاولون والاخرون فى احصاء مناقبه لعجزوا عن احصاء ما حباه به مولاه الكريم من مواهبه ثم لم يزل يتمكن الامر له صلى الله عليه وسلم وتترادف نفحات الله عليه وتشرق انوار النبوة فى قلبه حتى وصل الغاية وبلغ فى اصطفاء الله تعالى له بالنبوة فى تحصيل هذه الخصال الشريفة النهاية دون ممارسة ولا رياضة

فصل

﴿فى ذكر بنيان قريش الكعبة المشرفة زادها الله شرفا ورفعة﴾

مابرح البيت الحرام معظما محترما يؤمه من العرب القريب والبعيد ويأتون اليه من كل فج عميق وبلد سحيق وكان بنو معد بن عدنان اشدهم لتعظيمه وابلغهم فى تكريمه فما من واحد منهم الا نقل عنه ما يدل على ذلك ويؤيد ما هنالك قال فى محاضرة الاوائل ومسامرة الاواخر اول من اهدى البدن الى البيت الحرام واطعم لحومها لمن حوله من الفقراء والمساكين الياس بن مضر احد ابائه صلى الله عليه وسلم وكان الناس يسمعون التلبية بالحج من صلبه فيتعجبون ويتعجب هو من ذلك ثم ظهر ان الصوت المسموع كان من نور النبي صلى الله عليه وسلم الذى كان فى صلبه فتبين السبب وبطل العجب ومما احدثه الياس بن مضر واستحسنه الناس فى وقته انه وضع مقام ابرهيم عليه السلام عند الكعبة ملتصقا بها للتبرك به ولم تزل العرب على اختلاف شعوبها تعظم الياس هذا وتجل قدره وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عنه باشياء كثيرة وقال لا تسبوا الياس بن مضر فانه كان مؤمنا يعنى من مؤمنى اهل الفترة وذكر الدميرى فى حياة الحيوان ان اول من نصب اعلام الحرم فى

حدوده المعروفة الى الان ابراهيم الخليل عليه السلام باشارة جبريل عليه السلام
واول من سمى عرفة عرفات جبريل عليه السلام كما فى تاريخ مكة واول
من زار مكة من البحر نوح عليه السلام قاله الحافظ السيوطى فى اوائله واول
من ولد بمكة من بنى عدنان كعب بن لؤى واول من بنى بالابطح سقاية للحج
وهى صهريج يجمع فيه الماء لسقى الحجاج قصى وهؤلاء كلهم من اباء النبى
صلى الله عليه وسلم وفى عمود نسبه الشريف ولم يزل البيت الحرام باقيا على بناء
ابراهيم واسماعيل عليهما السلام لم يتغير بزيادة ولا نقصان وانما كان من سكن
مكة من العمالقة وجرهم وخزاعة يصلحون ما يختل منه واستمر الامر على
ذلك الى ان هدمته قريش سنة خمس وثلاثين من مولده صلى الله عليه وسلم
وحضر صلى الله عليه وسلم العمل معهم والذى حمل قريشا على هدمها وبنائها
انه جاء سيل عظيم فعلا على الردم الذى كانوا عملوه لمنع السيول فخربه ودخل
الماء الكعبة وصدع جدرانها فخافوا ان تفسدها السيول وتذهب ببنائها
فاتفق رايهم على هدمها واعادة بنائها وان يرفعوا بابها حتى لا يدخلها الا من
ارادوا دخوله واذنوا له فى ذلك وبعد ان تم اتفاقهم اجتمعت قبائلهم على جمع
الحجارة كل قبيلة تجمع على حدة واعدوا لذلك نفقة من الحلال ليس فيها ربا
ولا مظلمة احد وذلك ان ابا وهب عمرو بن عابد قام خطيبا وقال لا تجعلوا فى
هذا البيت شيئا اصبتموه غصبا ولا قطعتم فيه رحما ولا انتهكتم فيه حرمة او
ذمة بينكم وبين احد من الناس فلا تجعلوا فيها الا ما كان من حلال اموالكم
ثم شرعوا فى نقل الحجارة وكان النبى صلى الله عليه وسلم مع قومه بنى هاشم
فى ذلك روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما
قال لما بنيت الكعبة المشرفة ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمه العباس

رضى الله عنه ينقلان الحجارة فقال العباس للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل
ازارك على رقبتك يقيك ألم الحجارة ففعل صلى الله عليه وسلم فما اتم ذلك
حتى خر الى الارض طامحا بصره الى السماء ونودى عورتك عورتك فقال
ازارى ازارى اى شدوا علىّ ازارى فشدوه عليه وقام الى العمل معهم وكان
صلى الله عليه وسلم نهى عن التعرى عند اصلاح عمه ابى طالب ما اختل من
بناء بئر زمزم قال العلماء لم يفهم صلى الله عليه وسلم ان امره بستر العورة عزيمة
اى فرض بل فهم انه كان مندوبا فلذلك امتثل امر عمه وفى الثانية علم انه عزيمة
ثم ان قريشا لما فرغوا من جمع الحجارة عمدوا الى الكعبة ليهدموها وهم
خائفون وجلون حذرون من ان يمنعهم الله تعالى مما ارادوا بان ينزل عليهم بلاء
يمنعهم من ذلك ثم تقدم اليها الوليد بن المغيرة والمعول فى يده واخذ فى هدمها
وهو يقول اللهم انا لم نزغ عن دينك لا نريد الا الخير واستمر فى هدمها يومه
كله فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان اصيب الوليد لم نفعل ورددناها
كما كانت وان لم يصبه شىء هدمناها فقد رضى الله صنعنا فاصبح الوليد من
ليلته غاديا الى عمله ليس به شىء فهدم وهدم الناس معه حتى انتهوا الى
الاساس وافضوا الى الحجارة كاسنمة الابل فى الكبر والعظم ثم شرعوا فى
بنيانها فجعلوها مدماكا من خشب الساج ومدماكا من الحجارة من اسفلها
الى اعلاها وزادوا فيها على بناء ابراهيم عليه السلام تسعة اذرع فكان ارتفاعها
ثمانية عشر ذراعا ورفعوا بابها فكانوا لا يصعدون اليها الا فى درج وضاقت
بهم النفقة عن بنيانها على القواعد القديمة فاخرجوا منها الحجر وذلك من عرضها
وبنوا عليه جدارا قصيرا علامة على انه منها ولما بلغ البنيان موضع الحجر الاسود
اختصموا بينهم كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى ليكون لهم

الشرف بذلك وتفاقم امرهم حتى تهيئوا للقتال واجتمعوا فى المسجد الحرام فقام فيهم ابو امية ابن المغيرة واسمه حذيفة وهو اسن قريش كلها يومئذ وقال يامعشر قريش اجعلوا بينكم حكما فيما تختلفون فيه وهو اول من يدخل المسجد من باب شيبة (وهو المعروف الان بباب السلام) يقضى بينكم فاستجابوا لرأيه وبينما هم كذلك واذا اول داخل منه سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا به هذا محمد رضينا به وكانوا يتحاكمون اليه صلى الله عليه وسلم فيما يعرض لهم من القضايا ويسمونه الامين لانه كان لا يدارى فى الحق ولا يمارى فلما انتهى اليهم واخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم احضروا الى ثوبا كبيرا فاتوه به فاخذه صلى الله عليه وسلم وبسطه ووضع الحجر فيه بيده الشريفة ثم قال ليأخذ كل قبيلة بطرف من الثوب اى بزاوية من زواياه الاربع ثم ارفعوه جميعا دفعة واحدة ففعلوا فكان فى ربع عبدمناف عتبة بن ربيعة وفى الربع الثانى زمعة وفى الربع الثالث ابو حذيفة ابن المغيرة وفى الربع الرابع قيس بن عدى حتى اذا بلغوا به موضعه رفعه صلى الله عليه وسلم ووضعه بيده فيه فكان صلى الله عليه وسلم هو الذى وضعه فى الثوب وهو الذى وضعه فى محله اليوم

ذكر السهيلى ان ابليس كان معهم فى صورة شيخ نجدى فصاح باعلى صوته يامعشر قريش كيف رضيتم ان يضع هذا الحجر المكرم فى الركن وهو شرفكم غلام دون ذوى انسابكم اى كباركم فى السن فكاد يثير بقوله هذا شرا بين القوم ثم سكتوا فغضب لعنه الله لاعراضهم عن افساده ذات البين وقال واعجبا لقوم اهل شرف وعقول واموال عمدوا الى غلام اصغرهم سنا واقلهم مالاً فجعلوه رئيساً عليهم وقدموه فى مكرمتهم وفخرهم كانهم خدم له اما والله

ليفرقنهم شيعاً وليقسمن بينهم حظوظا على حسب ما سنح له وانما تصور الخبيث فى صورة رجل نجدى لان اهل نجد كانوا مواصلين لقريش اكثر من غيرهم من العرب واهل نجد اهل فساد وشر قال صلى الله عليه وسلم اللهم بارك لنا فى شامنا وفى يمننا قالوا وفى نجدنا فاعاد الاول والثانى ثم قال هناك اى فى نجد الزلازل والفتن وفيها يطلع قرن الشيطان

ولما قام ابن الزبير رضى الله عنهما بالحجاز واجتمعت كلمة اهله على طاعته جهز اليه يزيد بن معاوية الجيوش لقتاله فتوجهوا الى مكة المكرمة وحاصروا ابن الزبير رضى الله عنهما ورموا الكعبة بالمنجنيق فاصابها من ناره ما احرق استارها وسقفها واتصلت النار بما فى داخل جدرانها من خشب الساج فلما راى عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما ما وقع بها استشار من حضره من الصحابة رضى الله عنهم وكان فيهم عبدالله بن عباس رضى الله عنهما فاشار فى هدمها وتجديد بنائها فابوا عليه وقالوا نرى ان تصلح منها ما وهى فقط ولا تهدمها فقال لهم لا يكمل اصلاحها الا بهدمها كلها وكانت خالته عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها حدثته عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال (لولا حدثان قومك بجاهلية) اى قرب عهدهم بها وفى رواية (لولا حدثان قومك بكفر لهدمت الكعبة ورفعتها على قواعد ابراهيم والصقت بابها بالارض وجعلت لها بابا يدخل منه وبابا بحياله يخرج الناس منه ولا دخلت الحجر فيها) وهو ما اخرجته قريش منها والقصد بذلك انه يرد بناءها كما كان فى زمن ابراهيم عليه السلام ولكن خشى صلى الله عليه وسلم ان تنكر قريش عليه هدم بنائهم الذى يعدونه من اكمل شرفهم فربما اداهم ذلك الى الارتداد عن الاسلام وبعد ان توقف عبدالله بن الزبير فى ذلك هدمها الى ان انتهى به الهدم الى القواعد التى هى

الاساس قال بعض العلماء ولما كشف عن اساس ابراهيم عليه السلام وجده
داخلا فى الحجر ستة اذرع ووجد احجار الاساس كاعناق الابل فى الكبر من
حجارة حمراء آخذ بعضها فى بعض ثم بناها على القواعد التى عثر عليها ولم تزل
الكعبة على بناء عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما تستلم اركانها الاربعة لانها على
قواعد ابراهيم عليه السلام ويدخل الناس اليها من باب ويخرجون من باب
الى ان قتل رضى الله عنه قتله جندى من جند الحجاج بن يوسف الثقفى وكان
اميرا على الجيش الذى ارسله عبد الملك بن مروان لقتاله ولما ظفر الحجاج به
ودخل مكة بجيوشه كتب الى عبد الملك يخبره بذلك وكتب اليه ايضاً ان
ابن الزبير زاد فى الكعبة ما ليس منها واحدث فيها بابا آخر واستأذنه فى رد
الكعبة الى ما كانت عليه فى الجاهلية فكتب اليه ان يسد بابها الغربى ويهدم
ما زاد فيها من الحجر ففعل ذلك ولم يهدمها كلها قال العلامة ابن برهان الدين
الحلبي والحق ان الكعبة لم تُبن جميعها الا ثلاث مرات الاولى بناء ابراهيم عليه
السلام والثانية بناء قريش وكان بينهما الفاسنة وسبعمائة وخمس وسبعون سنة
والثالثة بناء عبدالله بن الزبير رضى الله عنهما وكان بينهما نحو اثنتين وثمانين سنة
ولما ال امر الخلافة الى المنصور العباسى اراد ان يهدم الكعبة فعارضه الامام
مالك رضى الله عنه وناشده الله فى ذلك وقال له اخشى ان يكون البيت الحرام
العوبة للملوك فقبل المنصور نصيحته وترك ما كان عزم عليه ثم قال وفى سنة
تسع وثلاثين والف جاء سيل عظيم بعد صلاة العصر يوم الخميس لعشرين من
شهر شعبان فهدم من الكعبة الجدار الشامى وانحدر معه فى الجدار الشرقى الى
الباب وسقط من الجدار الغربى نحو السدس وهدم اكثر بيوت مكة واغرق
جملة من الناس خصوصا الاطفال وذلك ان الماء ارتفع الى ان سد الابواب

وقد كان هذا على عهد السلطان الاعظم الطائر الذكر الجزيل الفخر السلطان مراد خان تجرى على حسب اوامره بناء ما انهدم واصلاح ما اختل من الكعبة ولهذا السلطان الاعظم والخاقان الافخم مآثر فى المسجد الحرام كثيرة وخدمات جليلة وفيرة

وكانت كسوة الكعبة زمن الجاهلية المسوح والانطاع وذكر الامام البلقينى ان اول من كساها تبع الحميرى كساها اولا الانطاع جمع نطع وهو ما يتخذ من الاديم اى الجلد ثم كساها الثياب الحميرية ثم كساها الوصائل وهى برد حمر فيها خطوط خضر تعمل باليمن وفى كلام البلقينى ايضاً ويروى ان تبعاً لما كساها اولا بالمسوح والانطاع انتفضت فزال ذلك عنها فكساها الوصائل فقبلتها قال والوصائل ثياب موصولة اى موصول بعضها ببعض من ثياب اليمن الفاخرة وقيل اول من كساها عدنان والله اعلم وكانت قريش تشترك فى كسوة الكعبة حتى نشأ ابو ربيعة بن المغيرة وكان سيدهم فى وقته فقال لهم انا اكسو الكعبة سنة وحدى واكسوها انتم كلكم سنة وقيل كان يخرج نصف ثمن الكسوة فى كل سنة ولم يزل على ذلك الى ان مات وكانت كسوة الكعبة لا تنزع عنها بل كانوا كلما تجددت كسوة توضع فوق ما قبلها واستمر ذلك الى زمنه صلى الله عليه وسلم ثم كساها النبى صلى الله عليه وسلم الثياب اليمانية وكساها ابو بكر وعمر وعثمان من بعده القباطى وهى ثياب قبطية من كتان رقيق وكساها معاوية الديباج والقباطى والحبرات فكانت فى ايامه تكسى الديباج يوم عاشوراء والقباطى فى آخر رمضان وكساها المأمون العباسى الديباج الاحمر والديباج الابيض والقباطى فكانت تكسى الديباج الاحمر يوم التروية والقباطى يوم هلال رجب والديباج الابيض يوم سبع وعشرين من

رمضان قال بعضهم وهكذا كانت تكسى فى زمن المتوكل ثم زمان الناصر العباسى كسيت السواد من الحرير واستمر ذلك فى خلافة بنى العباس وخلافة آل عثمان يجددونها فى كل سنة ادام الله خلافتهم وخلد سلطنتهم العظمى الى يوم القيامة وقد زادوا فى تحسينها وتطريز دوائرها بالذهب وتنميق اطرافها ما يروق الناظر ويسر الخاطر وكذلك تأنقوا فى تحسين كسوة الحجرة النبوية ما شاؤا ولا سيما فى خلافة مولانا امير المؤمنين السلطان الاعظم والخاقان الافخم السلطان الغازى عبد الحميد خان مؤيد الملة المحمدية ايده الله بالقوة القدسية وكلأه بعين رعايته الربانية فانه ايده الله بالغ فى تزين اكسية هذه المشاهد المعظمة بوجه لم يسبق اليه من الخلفاء والملوك قبله

والحاصل ان اول من كسا الكعبة على الاطلاق تبع الحميرى على الراجح وذلك قبل الاسلام بتسعمائة سنة وكستها بالديباج فى الجاهلية ام العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وذلك انه ضل وهو صغير فنذرت ان وجدته لتكسون الكعبة فوجدته فكستها الديباج وقيل اول من كساها الديباج فى الاسلام عبد الملك بن مروان وهو المراد بقول ابن اسحاق اول من كساها الديباج الحجاج لان الحجاج كان من امراء عبد الملك وقد سئل الامام البلقينى هل تجوز كسوة الكعبة بالحرير المنسوج بالذهب ويجوز اظهارها فى دوائر المحمل الشريف فاجاب بجواز ذلك قال لما فيه من التعظيم لكسوتها الفاخره التى ترجى بها الخلع السنية فى الدنيا والاخره ويجوز اظهارها فى دوائر المحمل الشريف فان فى ذلك مناسبة للحال المنيف

واما المسجد الحرام فاول من اتخذ له جدارا عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبناه دون القامة وكانت المصابيح توضع عليه فلما استخلف عثمان رضى

الله عنه ابتاع منازل حوله ووسعه وبنى الاروقة فهو اول من اتخذها ثم ان
ابن الزبير اشترى دورا وهدمها وادخل ارضها فى المسجد ثم عمره عبد الملك
ابن مروان ولم يزد فيه وانما رفع جداره وسقف اروقته بالساج وعمره عمارة
حسنة ثم ان ابنه الوليد وسعه وزاد فيه وحمل اليه اعمدة الحجارة والرخام
فازداد بذلك كمالا وحسنا ثم لما افضى الامر الى بنى العباس وصارت الخلافة
الى المنصور زاد فيه وبناه بناء جميلا وجعل فيه عمد الرخام وفرش ارض زمزم
بالمرمر ورفع قبته على عمد الرخام ثم زاد فى المسجد بعده ابنه المهدى مرتين
بعد سنة ستين ومائة وسنة سبع وستين وفيها توفى واستقر بناؤه على ذلك
الى يومنا هذا ثم جدد بعض المواضع منه ملوك مصر من الفاطمية والصالحية
والتركية عصرا بعد عصر حتى انتهى الى ايام الخاقان الاعظم فاتح جزيرة قبرس
وغيرها السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان ابن السلطان سليم خان
الياوز القانونى فى سنة تسعمائة وثمانين وتوفى فاتمه بعده فاتح بلاد العراق
السلطان مرادخان وهو اول من بنى القباب حوالى الحرم الشريف واتم الحرم
على احسن وجه واكمل هيئة وذلك انه فتح فيه بابا عند باب السلام وزاد فى
اعمدته وترتيبه زيادة كمل بها رونقه وتم بها بهجته فاحرز بذلك الذكر الجميل
والثواب الجزيل

واول من اتخذ القناديل للمسجد الحرام فى الاسلام معاوية يعنى القناديل
المعلقة فى سقوف الاروقة والرحاب واول من جرد الكعبة وكشفها وطرح عنها
الاكسية القديمة وكساها باكسية جديدة معاوية وكانت قبل ذلك لا تجرد
بل يخفف عنها بعض كسوتها واول من كساها بكسوتين يعلى بن منبه عامل
عثمان بن عفان رضى الله عنه على اليمن فعل ذلك بامره واول من اسرج السُّرج

واستعمل مشاعل النفط ليالى الحج بين المأزمين فى طريق عرفة المعتصم بالله
العباس سنه تسع عشرة ومائتين للهجرة فجرى ذلك الى اليوم وكانوا قبل ذلك
يضعون المصابيح للمعتمرين مخافة السراق واول من فرق بين الرجال والنساء
فى الطواف خالد بن عبدالله القسرى حين ولى مكة فى خلافة عبد الملك بن
مروان وكانوا قبل ذلك يطوفون مختلطين واجلس عند كل ركن حرسا معهم
السياط يفرقون بين الرجال والنساء واستمر ذلك دهرا طويلا واول من نقل
اساطين الرخام الى المسجد الحرام وسقفه بالساج المزخرف وزخرف بناءه
وعمل على دائر جداره شراريف الوليد بن عبد الملك فى خلافته وكان العلماء
الاعلام فى زمانه لا ينكرون ذلك واول من خطب بمكة على المنبر معاوية حين
قدم من الشام اليها وبنى منبرا على ثلاث درجات وكان الخلفاء وولاتهم قبل
ذلك يخطبون قياما على ارجلهم فى وجه الكعبة وفى الحجر الذى من البيت
واول من اتخذ المحامل اى الهوادج من الولاة والرؤساء الحجاج بن يوسف
حين ولايته على العراق وكانوا قبل ذلك يحجون على الرواحل جمع راحلة
وهو المركب من الابل ذكرا كان او انثى وقال بعضهم الراحلة هى الناقة التى
تصلح ان ترحل اى تركب

والحاصل ان ما قامت به الدول الاسلامية من خدمة الحرمين الشريفين
من كسوة وعمران وتحسين وتنميق قامت باعبائه الدولة العلية العثمانية
وزادت فى ذلك بما بهر الافكار واوقف الابصار ورسمته يد الفخر فى
صحف الاخبار

ولما آل امر الخلافة الى حضرة سيدنا ومولانا السلطان الاعظم السلطان
الغازى عبد الحميد خان صرف عنايته الشاهانية الى النظر فى امر تلك المشاهد

الشريفة والمعاهد المنيفة فبلغ فى القيام بشؤنها ما لم يسبق اليه ولم يعهد من سواه فالله تعالى يؤيده بملائكته ويجعل رقاب الانام خاضعة لصولته وسطوته ما انشرحت الصدور لحمده وشكره وانكشف الديجور عند ذكره امين

فصل

﴿ فى ذكر اطوار نشأته صلى الله عليه وسلم وما اولاه به مولاه ﴾
﴿ من نتائج العناية والرعاية الصمدانية فى صغره ﴾
﴿ صلى الله عليه وسلم ﴾

اتفقت كلمة علماء الامة من اهل السير وغيرهم من الاخباريين الثقات انه صلى الله عليه وسلم نشأ على كمالات لا تحصى وشمائل لا تستقصى فلم يدانه احد من اعاظم الخلق وكمل البشر فى قوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه ونظافة جسمه وطيب عرفه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد واعتدال حركاته وثقوب رأيه وجودة فطنته وصدق ظنه وحسن سياسته الى غير ذلك من الاخلاق الحميدة والاداب الشريفة التى اتفق جميع العلماء من كل ملة ونحلة على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة وهى المسماة بحسن الخلق وهو اعتدال قوى النفس واوصافها والتوسط فيها دون الميل الى منحرف اطرافها فنشأ صلى الله عليه وسلم على جميعها وشب على الانتهاء فى كمالها والاعتدال الى غايتها والله يكلؤه ويحفظه ويحوطه من اقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ وكان افضل قومه مروءة واحسنهم خلقا واكرمهم مخالطة وخيرهم جوارا واقواهم جسما وابهرهم اقداما وشجاعة

واكثرهم حلما واصدقهم حديثا واعظمهم امانة وابعدهم من الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال تنزها وتكرما وقد سماه قومه الامين وذلك لما جمع الله فيه من الامور الصالحة الجيدة والاعمال السديدة من الحلم والصبر والعدل والزهد والتواضع والعفة والجود والشجاعة والحياء والمرؤة هذا مع حداثة سنه عناية من ربه من غير تعلم عادى ولا مثاقفة مدرس حتى اثنى الله عليه بذلك وهو المنعم به عليه فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضى الله عنها كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال عليه الصلاة والسلام (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق) وكان صلى الله عليه وسلم مجبولا على تلك الاخلاق الكريمة فى اصل خلقته واول فطرته لم تحصل باكتساب ولا رياضة الا بجود الهى وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبياء عليهم السلام كما هو معروف من حال ابراهيم وعيسى وموسى ويحيي وسليمان وغيرهم من الانبياء عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق فى الجبلة واخذ العلم والحكمة فى الفطرة كما سنذكره فى محله من اخبار جميعهم عليهم السلام

وكان صلى الله عليه وسلم يحدث عن عناية الله به فى صغره وامر الجاهلية فى قومه باشياء تحير الافكار وتقيد البصائر والابصار منها ما اتفق له صلى الله عليه وسلم عند اصلاح ابى طالب بناء زمزم ما رواه ابن اسحق قال كان ابو طالب يصلح ما اختل من بناء بئر زمزم وكان صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة وهو غلام فاخذ ازاره واتقى به الحجارة فغشى عليه فلما افاق سأله ابو طالب فقال اتانى آتٍ فقال لى استتر فغشى على وقد وقع له صلى الله عليه وسلم مثل ذلك عند بنيان الكعبة كما تقدم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التعرى وكشف العورة ومنها ما رواه على رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى

الله عليه وسلم يقول ما هممت بقبيح مما هم به اهل الجاهلية ويفعلونه الا مرة وذلك انه وقع لى ان اسمر بمكة كما يسمر الفتيان (واصل السمر الحديث ليلا) فخرجت فلما جئت ادنى دار من دور مكة سمعت غناء وصوت دفوف ومزامير فقلت ما هذا فقالوا فلان قد تزوج بفلانة فجلست لاسمع فغلبتنى عيناى فنمت فما ايقظنى الا حر الشمس ثم فعلت ليلة اخرى مثل ذلك فنمت الى الصباح وما حصلت على ما قصدت شيئاً فقال صلى الله عليه وسلم والله ما هممت بسوء مما يفعله اهل الجاهلية غيرها وفى لفظ فوالله ما هممت ولا عمدت بعدهما لشىء من ذلك اى مما تعمله اهل الجاهلية حتى اكرمنى الله نبوته

ومنها ما جاء عن ام ايمن رضى الله عنها قالت كان بمكة صنم اسمه بوانة تحضره قريش وتعظمه وتنسك اى تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوما الى الليل فى كل سنة فكان ابو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صبى حديث السن ان يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك قالت حتى رايت ابا طالب غضب عليه ورايت عماته غضبن عليه يومئذ اشد الغضب وجعلن يقلن ما تريد يا محمد ان تحضر لقومك عيدا ولا تكثر لهم جمعا فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع مرعوبا فزعا فقلن مالك قال انى اخشى ان يكون بى لمم اى مسٌ من الشيطان فقلن ما كان الله عز وجل ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رايت قال انى كلما دنوت من صنم من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير وهو بوانة يتمثل لى رجل ابيض طويل يصيح بى وراءك يا محمد ولا تمسه قالت فما عاد الى حضور عيد لهم صلى الله عليه وسلم بعد ذلك

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم فى حديثه لما نشأت بغضت الى الاصنام

وبغض الىّ الشعر ولم اهم بشىء مما كانت الجاهلية تفعله

ومنها انه كان صلى الله عليه وسلم يرافق اخاه من الرضاع فى رعى الغنم ايام اقامته عند مرضعته حليمة السعدية وقدقال صلى الله عليه وسلم (الغنم بركة والابل عز لاهلها) وقال فى الغنم (سمنها معاشنا وصوفها رياشنا وكساؤنا) وفى رواية (سمنها معاش وصوفها رياش)

ومنها انه منذ نشأته لم يأكل شيئا ذبح على النصب اى الاصنام ولا عبد وثناً قط ولا شرب خمرا وذلك من تلقاء نفسه لا بتعليم ولا تعريف من احد من الخلق وانما هو بتايد من الله تعالى وتعريف باطنى

وما اتفق له صلى الله عليه وسلم فى اول نشأته من الامور كحضوره حرب الفجار وحلف الفضول وسفره الى الشام وحضوره بنيان الكعبة وغير ذلك قد سبق ذكره فى مواضعه وما لم نخصه بباب من هذا النوع ذكرناه عند ما يناسبه تتميما للفائدة

وكان صلى الله عليه وسلم فى حال صغره محبا لاعمامه وعماته واقاربه موادداً لعشيرته ومع ذلك فانه كان ينكر عليهم ما هم عليه من عبادة الاوثان ويوبخهم ويسفه احلامهم ولم تشمئز نفوسهم منه بل كانوا يكرمونه ويحترمون مقامه ويتحاكمون عنده فيما يتخاصمون فيه ويرضون بحكمه ويعملون بقوله وكانوا يسمونه الامين

وبالجملة فانه كان منكراً لكافة اعمالهم من اعمال الجاهلية بعيداً عن مشربهم فلذلك كان يحب الانفراد والعزلة عنهم وكان دائم التفكر وفى بعض الاحيان يشخص ببصره الى السماء ثم حببت اليه العزلة فى غار حراء الى ان

جاءه الوحي واكرمه الله بنبوته ورسالته الى الخلق بشيرا ونذيرا صلى الله عليه وسلم

باب

﴿ في ذكر دلائل النبوة وظهور علاماتها عليه صلى الله عليه وسلم ﴾
﴿ قبل البعثة وفيه فصول ﴾

ومن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وعلاماتها ما ترادفت به الاخبار عن الرهبان والاحبار وغيرهم من علماء اهل الكتاب من صفته صلى الله عليه وسلم وصفة امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وظهوره بانه المقصود بما قالوه وبما وجد من علاماته في اشعار الموحدين من المتقدمين كشعر تبع والاوس بن حارثة وكعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن ذي يزن الحميري وغيرهم وما عرف به امره صلى الله عليه وسلم زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعثكلان الحميري وعلماء اليهود وشاحول صاحب تبع من صفته وخبره واظهار ما وجد من ذلك في التوراة والانجيل مما قد جمعه علماؤهم وبينوه ونقله عنهم ثقات من اسلم منهم مثل عبدالله بن سلام وبني سعنه او سعية وابن يامين ومخيريق وكعب الاحبار واشباههم ممن اسلم من علماء اليهود وبحيرا ونسطورا وصاحب بصرى ونصارى الحبشة وضفاطر اسقف الروم والجارود وسلمان والنجاشي واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومه عالما النصارى ورئيساهم دينا وسياسة والمقوقس صاحب مصر واعترف به ابن صوريا وابن اخطب واخوه كعب بن اسد والزبير بالفتح ابن باطيا وغيرهم من اليهود ممن حملهم الحسد والنفاسة وحب المال

والجاه على بقائهم على يهوديتهم والاخبار فى هذا لا تنحصر وقد قرّع صلى الله عليه وسلم اسماع اليهود والنصارى بما هو مذكور فى كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتجّ عليهم بما انطوت عليه من ذلك كتبهم وذمهم على تحريف ذلك وتغييره وعلى كتمانهم وَلَىّ السنتهم ببيان امره وقد دعاهم الى المباهلة على الكذب كما سنبينه فى محله فما منهم الا من نفر عن معارضته وابدى ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار ونبذ القتال هذا الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كايب وشق وسطيح وسواد بن قارب وخنافر وافعى نجران وجذل بن جذل الكندى وابن خلصة الدوسى وسُعدى بنت كرز ومن لا ينعد كثرة من كهان العرب الى ما سمعه القريب والبعيد من هواتف الجان فى الانحاء ومن اجواف الصور الوثنية وما وجد من اسمه صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة مكتوبا فى الحجارة والقبور القديمة بالخط القديم المتعارف به قبل عصر النبوة ما اكثره مشهور واسلام من اسلم بسببه معلوم مذكور وفى التفسير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى (وكان تحته كنز لهما) قال لوح من ذهب مكتوب فيه عجبا لمن راى الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب يتعب عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك انا الله لا اله الا انا محمدٌ عبدى ورسولى وذكر السمنطارى انه شاهد فى بعض بلاد خراسان مولودا ولد على احد جنبيه صور حروف لا اله الا الله وعلى الآخر محمد رسول الله وذكر الاخباريون انهم وجدوا فى بلاد الهند وردا احمر مكتوبا فى اصل الخلقة بالابيض لا اله الا الله محمد رسول الله ومن الدلائل انه صلى الله عليه وسلم نزل فى بعض اسفاره قبل البعثة تحت شجرة يابسة فاينعت واعشوشب

ما حولها واشرقت وتدلت اغصانها بمحضر من كان معه . و كان مع عمه ابى
طالب بذى المجاز وذلك قبل البعثة فعطش عمه عطشاً لم يتحمله فقال يامحمد
انى عطشت وهذه الجهة ليس بها ماءٌ فماذا نصنع فنزل صلى الله عليه وسلم واخذ
سهما من سهام كانت فى كنانة فضرب به الارض فنبع الماء من موضع السهم
فقال لعمه انزل فاشرب فنزل وشرب حتى روى وملأ وعاء كان معه وساروا الى
حاجتهم ومن ذلك ما ذكره الامام البخارى فى صحيحه فى آخر حديث كيف كان
بدء الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال و كان ابن الناطور صاحب ايلياء
(بيت المقدس) وهو اسقف على نصارى الشام يحدث ان هرقل حين قدم
ايلياء اصبح يوما خبيث النفس مهموما فقال له بعض بطارقته الملازمين له فى
حال اقامته وسفره قد استنكرنا هيئتك قال ابن الناطور و كان هرقل حزّاء
(كاهناً) ينظر فى النجوم فقال لهم حين سألوه انى رايت الليلة حين نظرت فى
النجوم ملك الختان قد ظهر فمن يختتن من اهل هذا العصر قالوا ليس يختتن
الا اليهود فلا يهمنك شأنهم واكتب الى اهل مدائن ملكك فليقتلوا من فيها
من اليهود قلت هذا الجواب من البطارقة كان لعداوتهم لليهود ولعدم
اطلاعهم على ان العرب يختتنون وذلك لبعدهم عنهم وعدم مخالطتهم لهم مخالطةً
يطلعون فيها على سائر احوالهم واما اليهود فانهم كانوا معهم وتحت سلطتهم
قال وبينما هم على امرهم اذ اتى هرقل برجل ارسل به ملك غسان يخبره عن
ظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما استخبره هرقل واخبره بامره قال
اذهبوا فانظروا أمختتن هو ام لا فقالوا مختتن وسأله عن العرب فقال هم
يختتنون فقال هرقل هذا ملك هذه الامة قد ظهر ثم كتب الى صاحب له
برومه وهو ضفاطر رئيس الاساقفة وكان نظيره فى العلم يخبره بظهور النبى

صلى الله عليه وسلم ثم سار من ايليـاء الى حمص فلم يرم حمص حتى اتاه كتاب صاحبه ضغاطر يوافق رايه انه هذا وقت ظهور النبي المنتظر وانه محمد صلى الله عليه وسلم القرشي ثم ترادفت البشارات بنبوته عليه الصلاة والسلام وجاءت من كل طريق على لسان كل فريق

فصل

﴿في ذكر بعض ما ورد عن ابائه من التنويه بشأنه﴾
﴿صلى الله عليه وسلم﴾

فمن ذلك مـا روى عن جده كعب بن لؤى انه كان يجمع قومه من بني كنانة يوم العروبة وهو يوم الجمعة ويعظهم ويذكر مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ويخبر انه من ولده ويأمرهم باتباعه ان ادركوه ومما كان يقوله لهم سيأتي لحرمكم نبأ عظيم وسيخرج منه نبي كريم وينشد ابياتا منها

على غفلة يأتي النبي محمـد　　　فيخبر اخبارا صدوقا خبيرها

وينشد ايضا من ابيات اخرى

ياليتني شاهد نحواء دعوته　　　حين العشيرة تبغي الحق خذلانا

ومن خطب كعب اما بعد فاسمعوا وافهموا وتعلموا واعلموا انه ليل داج ونهار صاح والارض مهاد والسماء بناء والجبال اوتاد والنجوم اعلام والاولون كالاخرين فاعتبروا واتعظوا وصلوا ارحامكم واحفظوا اصهاركم وثمروا اموالكم واعلموا ان الدار الآخرة امامكم والحق غير مـا تقولون وتظنون كان بين كعب المذكور وبين مبعثه صلى الله عليه وسلم خمسمائة وستون سنة وكانت قريش من بعده تؤرخ بموته حتى عام الفيل فارخوا به ثم بموت عبد المطلب ومما نقل عن جده صلى الله عليه وسلم كنانة بن خزيمة وكان شيخا

كبيرا معظما تقصده العرب لعلمه وفضله انه قال لقومه وغيرهم قد آن خروج نبيّ من مكة يدعى احمد ويدعو الى الله تعالى والى البر والاحسان ومكارم الاخلاق فاتبعوه ان ادركتموه تزدادوا شرفا وعزا الى شرفكم وعزكم ولا تفندوا ما جاء به فهو الحق

وقد تواتر النقل عن جده الياس بن مضر جيلا بعد جيل انه كان يسمع من صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم المعروفة فى الحج فيتعجب من ذلك وتأخذه الحيرة فيه وكان الياس بن مضر هذا عند العرب كبير القدر يدعونه سيد العشيرة وهو اول منْ اهدى البدن الى البيت الحرام كما سبق ذكره وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انه كان مؤمنا على ملة ابراهيم عليه السلام وكان فى العرب بمثابة لقمان الحكيم عند قومه وكان ربيعة ومضر مؤمنين ومن كلام مضر من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة وذكر نقلة اخبار العرب وسيرها ان خزيمة ومدركة ونزارا كل منهم كان يرى الناس بين عينيه نورا وهو نور النبي صلى الله عليه وسلم ولا يدرون حقيقة ذلك ولما ولد نزار ونظر ابوه معدّ الى النور المحمدى بجبينه استطار فرحا ونحر واطعم وقال ان هذا كله نزرٌ فى حق هذا المولود الذى بهرنا جماله فسمى نزارا لذلك

وذكر الزبير بن بكار ان اول من اظهر حدود الحرم ووضع فيها الاعلام عدنان وهو اول من كسا الكعبة من العرب وقيل تبع كما تقدم وجاء انه انما سمى عدنان من العدن وهو الاقامه لان الله تعالى اقام ملائكة تحفظه وذلك لان اعين الجن والانس كانت رامقة اليه وقالوا لئن تركنا هذا الغلام حتى يدرك مدرك الرجال ليخرجن من ظهره من يسود الناس فوكل الله به من

يحفظه وكان عبد المطلب بعد ان فرج الله عنه وعن قومه بهلاك اصحاب الفيل راى وهو نائم فى الحجر مناما عظيما وهو كما رواه ابو نعيم من طريق ابى بكر بن عبدالله بن ابى الجهم عن ابيه عن جده قال سمعت اباطالب يحدث عن ابيه عبد المطلب قال بينما انا نائم فى الحجر اذ رايت رؤيا هالتنى فاتيت كاهنة قريش فقلت لها انى رايت كأن شجرة نبتت قد نال رأسها السماء وضربت باغصانها المشرق والمغرب وما رايت نورا ازهر منها بل اعظم من نور الشمس ورايت العرب والعجم لها ساجدين وهى تزداد كل ساعة عظما ونورا وارتفاعا ثم ساعة تخفى وساعة تظهر ورايت رهطا من قريش قد تعلقوا باغصانها ورايت قوما من قريش يريدون قطعها فاذا دنوا منها اخذهم شاب لم ار قط احسن منه وجها ولا اطيب ريحا فكسر اظهرهم وقلب اعينهم فرفعت يدى لاتناول منها نصيبا فلم انل فقلت لمن النصيب فقال النصيب لهؤلاء الذين تعلقوا بها وسبقوك فانتبهت مذعورا قال فرأيت وجه الكاهنة قد تغير ثم قالت لئن صدقت رؤياك ليخرجن من صلبك رجل يملك المشرق والمغرب وتدين له الناس فكان ابو طالب يحدث بهذا الحديث عن ابيه بعد ظهور النبى صلى الله عليه وسلم ويقول كانت تلك الشجرة والله اباالقاسم محمد الامين

فصل

﴿فى ذكر ما جاء من امره صلى الله عليه وسلم عن الكاهنين﴾
﴿شق وسطيح وقصتهما مع ربيعة بن نصر ملك اليمن﴾

قال ابن اسحق كان ربيعة بن نصر ملك اليمن من اقوى التبابعة فراى رؤيا هالته وفضع بها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا ولا منجما من اهل مملكته الا جاء به وجمعهم اليه فقال لهم انى قد رايت رؤيا هالتنى وفضعت بها

فاخبروني بها وبتأويلها فقالوا اقصصها علينا نخبرك بتأويلها فقال ان اخبرتكم بها
لم اطمئن الى خبركم عن تأويلها فانه لا يعرف تأويلها الا من عرفها قبل ان اخبره بها
فقال له بعضهم فان كان الملك يريد بهذا فليبعث الى سطيح وشق فانه ليس احد
اعلم منهما فهما يخبرانه بما سأل عنه قال ابن اسحق فبعث اليهما فقدم عليه سطيح
وهو ربيع ابن ربيعة المازني ووصل قبل شق بن مصعب الانماري فقال له
ياسطيح اني رايت رؤيا هالتني وفضعت بها فاخبرني بها فانك ان اصبتها اصبت
تأويلها فقال ايها الملك رايت حممه خرجت من ظلمه فوقعت بارض تهمه فاكلت
منها كل ذات جمجمه فقال له الملك ما اخطأت منها شيئا ياسطيح فما تأويلها فقال
احلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن ارضكم الحبش فلتملكن ما بين أبين
الى جرش فقال له الملك وابيك ياسطيح ان هذا لغائظ لنا موجع فمتى هذا كائن
افي زماني ام بعده قال لا بل بعده بحين اكثر من ستين او سبعين يمضين من
السنين قال افيدوم ذلك من ملكهم ام ينقطع قال بل ينقطع لبضع وسبعين من
السنين ثم يقتلون ويخرج الباقون منهم هاربين قال ومن يلي ذلك من قتلهم
واخراجهم قال يليه ارم ذي يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك احدا منهم
باليمن قال افيدوم سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي ذكي
يأتيه الوحي من قبل العلي قال وممن هذا النبي قال رجل من ولد غالب بن
فهر بن مالك بن النضر يكون الملك في قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر
من آخر قال نعم يوم تجمع فيه الاولون والاخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى
فيه المسيئون قال احق ما تقول قال نعم وحق الشفق والغسق والفلق والقمر
اذا اتسق ان ما انبأتك به لحق

ثم قدم عليه شق بن مصعب فقال له كقوله لسطيح وكتم ما قاله سطيح

لينظر ايتفقان ام يختلفان فقال رايت حممه خرجت من ظلمه فوقعت بين
روضة واكمه فاكلت منها كل ذات نسمه قال فلما قال ذلك عرف انهما قد
اتفقا فان قولهما واحد الا ان سطيحاً قال وقعت بارض تهمه فاكلت منها كل
ذات جمجمه وقال شق وقعت بين روضة واكمه فاكلت منها كل ذات
نسمه فقال له الملك ما اخطأت ياشق منها شيئا فما عندك فى تأويلها قال احلف
بما بين الحرتين من انسان لينزلن ارضكم السودان فليغلبن على كل طفلة
البنان وليملكنَّ ما بين أبين ونجران فقال له الملك وابيك ياشق ان هذا لنا
لغايظ موجع فتى هو كائن اى زمانى ام بعده قال لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكم
منهم عظيم ذو شان ويذيقهم اشد الهوان قال ومن هذا العظيم الشان قال غلام
ليس بدنى ولا مُدَنّ يخرج عليهم من بيت ذى يزن فلا يترك احدا منهم باليمن
قال افيدوم سلطانه ام ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل ياتى بالحق والعدل
بين اهل الدين والفضل يكون الملك فى قومه الى يوم الفصل قال وما يوم
الفصل قال يوم تجزى فيه الولاة ويدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها
الاحياء والاموات ويجمع فيه الناس للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز
والخيرات قال احق ما تقول قال اى ورب السماء والارض وما بينهما من
رفع وخفض ان ما انبئتك به لحق ما فيه امض (اى شك او باطل) فوقع فى
نفس ربيعة ما قالا فجهز بنيه واهل بيته بما يصلحهم وارسلهم الى العراق
وكتب لهم الى سابور ابن خرزاذ ملك الفرس وقتئذ فاسكنهم الحيرة فمن
بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان بن المنذر فهو فى نسب اليمن



فصل

﴿ فى ذكر تغلب تبع ملك اليمن على يثرب وهى المدينة المنورة وما جرى ﴾
﴿ بينه وبين احبار بنى قريظة من اليهود فى امر البيت الحرام ﴾
﴿ وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

لما استولى ابو كَرِب تِبان بن اسعد على اليمن خرج يجوش اقطار البلاد فمر بيثرب (المدينة المنورة) فلم يتعرض لاهلها بسوء لانهم من اليمن وخلف بين اظهرهم ابنا له ورجع الى بلاده ثم عدا بعضهم على ابنه فقتله غيلة وطار الخبر الى ابيه فقدمها فى جيوشه وهو مجمع على خرابها واستئصال اهلها وقطع نخلها فجمع له اهلها ورئيسهم عمرو بن قيلة من بنى النجار جيشا لقتاله قال ابن اسحق واتفق ان رجلا من بنى النجار عدا على رجل من اصحاب تبع فقتله وذلك انه وجده فى عذق له يجزه فضربه بمنجله فقتله فزاد ذلك تبعا حنقا عليهم فاقتتلوا وبينا تبع على ذلك من حربهم اذ جاءه حبران من احبار اليهود من بنى قريظة عالمان راسخان وذلك حين سمعا بما يريده من اهلاك المدينة واهلها فقالا له ايها الملك لا تفعل وان ابيت الا ما تريد حيل بينك وبين هذه البلدة ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فقال لهما ولم ذلك قالا هى مهاجر نبى يخرج من قريش فى آخر الزمان وتكون هذه البلدة داره وقراره فعدل تبع عما كان عازما عليه ورأى للحبرين علما صحيحا واعجبه ما سمع منهما ثم انصرف عن المدينة بعد ان اتبع الحبرين على دينهما وفى هذه الحرب يقول خالد بن عبد العزى من بنى النجار يفتخر بعمرو بن قيلة

اصحا ام نُهاه ذكره ... ام قضى من لذة وطرهْ
ام تذكرتَ الشباب وما ... ذكرُك الشباب أعصره

انها حرب رباعية　　مثلها اتى الفتى عبره

فسلا عمران او اسدا　　اذ اتت عدوا مع الزهره

فيلق فيها ابو كرب　　سبغ ابدانها وفره

ثم قالوا من نؤم بها　　أبنى عوف ام النجره

بل بنى النجار ان لنا　　فيهم قتلى وان تره

فتلقتهم مسائفة　　مدها كالغبية النثره

فيهم عمرو بن قيلة صان　　الا آله قومه عمره

سيدا سامى الملوك ومن　　رام عمروا لا يكن قدره

قال ابن اسحق وكان تبع وقومه اصحاب اوثان يعبدونها فتوجه الى مكة وهى طريقه الى اليمن حتى اذا تجاوز عسفان وقرب فيها اتاه نفر من هذيل فقالوا له ايها الملك الا ندلك على بيت مال داثر اغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده اهله ويصلون عنده وانما اراد الهزليون بذلك هلاكه لما عرفوا من هلاك من اراده من الملوك بسوء او بغى عنده فلما اجمع لما قالوه ارسل الى الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا له ما اراد القوم الا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم بيتاً لله اتخذه فى الارض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا قال فماذا تأمرانى ان اصنعه اذا قدمت عليه قالا تصنع عنده ما يصنع اهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذل له حتى تخرج من عنده قال فما يمنعكما انتما من ذلك قالا اما والله انه لبيت ابراهيم وانه لكما اخبرناك ولكن اهله حالوا بيننا وبينه بالاوثان التى نصبوها حوله وبالدماء التى يهرقونها عنده (اى مما يذبحونه من الانعام تقربا للاوثان وتعبدا) وهم نجس

اهل شرك فعرف تبع نصحهما وصدق حديثهما ثم احضر النفر من هذيل فقطع ايديهم وارجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه واقام بمكة ستة ايام ينحر فيها للناس ويطعم اهلها ويسقيهم العسل وأرى له فى المنام ان يكسو البيت فكساه الخصف وهى الثياب الغليظة جدا ثم ارى ان يكسوه باحسن فكساه الملاء والوصايل وهما نوعان من الثياب معروفان فكان تبع كما تقدم اول من كسا البيت الحرام واوصى به وُلاته من جرهم وامرهم بتطهيره وان لا يقربوا منه دما ولا ميتة ولا ميلاثا (وهى الحائض) وجعل له بابا ومفتاحا وقالت سبيعة بنت الأحب بن زبينة امرأة عبد مناف ابن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى لابن لها منه يقال له خالد تعظم عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغى فيها وتذكر تبعاً وتذلله لها وماصنع بها

ابنى لا تظلم بمكة	لا الصغير ولا الكبير
واحفظ محارمها بنىّ	ولا يغرُّ بك الغرور
ابنىّ من يظلم بمكة	يلق اطراف الشرور
ابنىّ يضرب وجهه	ويلُح خديه السعير
ابنىّ قد جربتُها	فوجدت ظالمها يبور
الله امنها وما	بنيت بعرصتها قصور
والله امن طيرها	والعصم تأمن فى ثبير
ولقد غزاها تبع	فكسا بنيتها الحبير
واذل ربى ملكه	فيها فاوفى بالنذور
يمشى اليها حافيا	بفنائها الفا بعير
ويظل يطعم اهلها	لحم المهارى والجزور

يسقيهم العسل المصفى　　والرحيض من الشعير
والفيل اهلك جيشه　　يرمون فيها بالصخور
والملك فى اقصى البلا　　د وفى الاعاجم والجزير
فاسمع اذا حدثت واف　　هم كيف عاقبة الامور

وهذا الشعر مقيد والمقيد الذى لا يرفع ولا ينصب ولا يخفض

فصل

﴿ فى ذكر ما وجد فيه اسمه الشريف مكتوبا من النبات والحجر وغيرهما ﴾

نقل الامام ابن مرزوق فى شرح البردة عن بعضهم قال عصفت ريح ونحن فى بحر الهند فارسينا فى جزيرة فراينا فيها وردا احمر طيب الرائحة مكتوبا عليه بالاصفر فى اصل الخلقة براءة من الرحمن الرحيم الى جنات النعيم لا آله الا الله محمد رسول الله ومن ذلك ما حدث به بعض الاقدمين من المسلمين فقال غزونا الهند فوقعت فى غيضة فاذا فيها شجر ورقه احمر مكتوب عليه بالبياض لا آله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخر رايت شجرة عظيمة لها ورق كبير طيب الرائحة مكتوب عليه بالحمرة والبياض فى الخضرة كتابة بينة واضحه ابتدعها الله بقدرته ففى كل ورقة ثلاثة اسطر الاول لا آله الا الله والثانى محمد رسول الله والثالث ان الدين عند الله الاسلام فلما راينا ذلك اخذ بنا العجب الى كل مذهب وازددنا ايمانا وتوحيدا وقال السمنطارى ان فى بلاد الهند وردا احمر مكتوبا بالابيض لا آله الا الله محمد رسول الله وقال آخر دخلت جزيرة فى بحر الهند فرايت فى بعض جهاتها شجر ورد اسود ينفتح عن وردة كبيرة سوداء طيبة الرائحة مكتوب عليها بخط ابيض خلقة لا آله الا الله محمد رسول الله ابو بكر الصديق عمر الفاروق

فتحيرت من ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة كبيرة لم تفتح ففتحتها
فرايت فيها ما رايته فى الاولى وفى تلك الجزيرة بلدة فيها من هذا الورد شىء
كثير واهل تلك البلدة يعبدون الحجارة فتعجبت وقلت صدق الله العظيم
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ثم انصرفت
وقلت ومن يضلل الله فلا هادى له واخبر آخر انه راى فى بلاد الهند شجرة
تحمل ثمرا يشبه اللوز له قشرتان فاذا كسر خرج منه ورقة خضراء مطوية
مكتوب عليها خلقة بالاحمر لا آله الا الله محمد رسول الله كتابة جلية يقرؤها
كل من يراها واهل تلك البلاد يتبركون بتلك الشجرة ويستسقون بها اذا
حبس عنهم الغيث وذكر الحافظ السلفى عن بعضهم ان شجرة ببعض البلاد فى
اقصى المشرق لها اوراق خضر وعلى كل ورقة مكتوب بخضرة اشد من
لون الورق لا آله الا الله محمد رسول الله وكان اهل تلك البلاد اصحاب اوثان
وكانوا يقطعون تلك الشجرة ويعفون اثرها فترجع الى ما كانت عليه فى
اقرب وقت فاذابوا الرصاص وصبوه فى اصلها فخرج من حول الرصاص
اربعة فروع كل فرع فيه لا آله الا الله محمد رسول الله فصاروا بعد ذلك
يتبركون بها ويستشفون بها من المرض ويمسحونها بالزعفران واجل الطيب

ومن ذلك انه وجد سنة سبع وثمانمائة للهجرة النبوية حبة عنب بخط
خلق بارع بلون اسود (محمد) هكذا بهذه الصورة وهذه الحروف

وذكر بعضهم انه صاد سمكة فرآها مكتوبا على جنبها الايمن لا آله الا الله
وعلى جنبها الايسر محمد رسول الله قال فلما رايت ذلك القيتها فى النهر احتراما لها

وحكى بعض العلماء ان قوما فى طبرستان يقولون لا آله الا الله وحده
لا شريك له ولا يقرون برسالة محمد صلى الله عليه وسلم وحصلت منهم فتنة

للناس ففى يوم شديد الحر ظهرت سحابة شديدة البياض فلم تزل تنشأ حتى اخذت ما بين الخافقين واحاطت ما بين السماء والبلد فلما كان وقت الزوال ظهر فى السحابة بخط واضح لا آله الا الله محمد رسول الله فلم تزل كذلك الى وقت العصر والناس ينظرون اليها ويتعجبون فتاب كل من كان افتتن وأسلم اكثر من شاهد ذلك من اهل البلد من اليهود والنصارى وقالوا ليس بعد هذا بيان

وذكر بعض العلماء انه ولد عنده فى عام اربعة وسبعين وستمائة للهجرة جدى اسود له غرة بيضاء على شكل الدائرة مكتوب فيها (محمد) بخط فى غاية البيان

وقال العارف بالله تعالى سيدى عبد الوهاب الشعرانى قدس الله سره فى كتابه لما سبق فى هذا الموضع رايت علما من اعلام النبوة وذلك ان شخصا اتانى برأس خروف بعد ان شواه وارانى مكتوبا بخط الهى على عظم الجبين لا آله الا الله محمد رسول الله ارسله بالهدى ودين الحق يهدى به من يشاء

وعن الامام الزهرى المحدث قال شخصت الى هشام بن عبد الملك بن مروان فلما كنت بالبلقاء رايت حجرا مكتوبا عليه بالعبرانية فارشدت الى شيخ هناك يعرف العبرانية ليقرأه فلما قرأه قال هذا امر عجيب فانه مكتوب على هذا الحجر باسمك اللهم جاء الحق من ربك بلسان عربى مبين لا آله الا الله محمد رسول الله كتبه موسى بن عمران قال الزهرى وهذا من اعجب الدلائل واوضحها والتوفيق بيد الله تعالى ومن يضلل الله فلا هادى له

وليعلم اننا انما ذكرنا هذه الخوارق الباهرة التى رواها الأثبات عن الثقات

ليزداد المؤمنون ايمانا والموقنون ايقانا ولا يضرنا خلاف اخرق جاحد يقابلها بالتكذيب ويبادرها بالتشغيب لان الخلاف شأنه والانكار دأبه فلذلك لا نلتفت اليه ولا نعتبر ما يلقيه

وما عليّ اذا ما قلت معتقدى　　　دع الجهول يظن العدل عدوانا

وقصارى القول فالله تعالى قادر على كل شيء والنبى صلى الله عليه وسلم اهل لان يخصه الله بما شاء من فضله

فصل

﴿ فى ذكر ما اكرم الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ﴾
﴿ من كمال خلقته وجمال صورته ﴾

اختص الله هذا النبي الكريم والرسول الرؤوف الرحيم والسيد السند العظيم سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بفضائل لا تنضبط لزمام ومحاسن تكل عن حصرها الالسنة والاقلام قد اوجده الله سبحانه وتعالى حائزا لجميع خصال الكمال البشرية التى هى فى جبلة الخلقة محيطا بشتات محاسنها دون خلاف بين نقلة الاخبار ورواة الاحاديث والآثار بل بلغ ذلك مبلغ القطع اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه صلى الله عليه وسلم فى حسنها فقد جاءت الاحاديث الصحيحة والآثار الكثيرة بذلك عن جميع الصحابة الذين رأوه وشاهدوه وصحبوه رضى الله عنهم وكانوا مائة الف واربعة وعشرين الفاً من انه صلى الله عليه وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل ازج اقنى افلج مدور الوجه واسع الجبين سواء البطن والصدر كث اللحية واسع الصدر عظيم ما بين المنكبين ضخم العظام عبل العضدين والذراعين رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا القصير المتردد ومع ذلك

فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول الا طاله واذا افتر ضاحكا افتر عن
مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام واذا تكلم رؤى كالنور يخرج من ثناياه
احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا مكلثم متماسك البدن قال البراء بن عازب
رضى الله عنه ما رأيت ذا لمة فى حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله
عليه وسلم كأن الشمس تجرى فى وجهه واذا ضحك يتلألأ نوره فى الجدر
وقال جابر بن عبدالله وقد سأله رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم كان وجهه صلى
الله عليه وسلم لامعاً مثل السيف قال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديراً
وقالت ام معبد فيما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاهم واحسنهم من قريب
وقال على كرم الله وجهه فى آخر وصفه له صلى الله عليه وسلم من رآه بديهة
هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله وقال انس
بن مالك رضى الله عنه ما بعث الله نبياً الا حسن الوجه حسن الصوت وكان
نبينا صلى الله عليه وسلم احسنهم وجها واحسنهم صوتا وبالجملة فقد اتفقت كلمة
السلف والخلف على ان صفاته صلى الله عليه وسلم الظاهرة فضلا عن صفاته
الباطنة لا تدرك حقائقها والى هذا اشار الامام الابوصيرى بقوله

انما مثلوا صفاتك للنا … س كما مثل النجوم الماء

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه

واحسن منك لم تر قط عينى … واجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرءاً من كل عيب … كانك قد خلقت كما تشاء

وقالت عائشة رضى الله عنها وقد ظهر لها صلى الله عليه وسلم فى صورة
بهرت عقلها وولهت فكرها

محمد بشر بل ليس كالبشر … قد جاء ياقوتة والناس كالحجر

لما نظرت الى انواره سطعت   وضعت من خيفتى كفى على بصرى
خوفا على بصرى من حسن صورته   فلست انظره الا على قدرى

باب

﴿ فى ذكر ما ورد عن الانبياء عليهم السلام وما ثبت فى الكتب ﴾ ﴿ القديمة من ذكر اسمه صلى الله عليه وسلم وصفته وصفة ﴾ ﴿ امته وفيه فصول تشتمل على بشارات وتنبيهات ﴾

كل من ترامت الى مطالعة سير الاقدمين المدونة همته وارتقت الى ما انطوت عليه قصص الانبياء عليهم السلام عزيمته ثم نزه ناظره فى رياض الاخبار المحمدية واستنشق شذا ما ورد منها فى الكتب القديمة الالهية علم عظيم قدر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفخامة امره وعلو خطره ورفعة ذكره ووقف على ما خصه الله به من الاحوال العلية والخلال السنية والفضائل التى لا يحيط بها وصف والخصائص التى هى اجل من ان يضم جواهرها نظم او رصف حسب العاقل المنصف فى ذلك ان الله تعالى نوه باسمه فى كتبه المنزلة ونبه فيها على عظيم قدره وعلى ما له عنده من رفيع المنزلة وقال صلى الله عليه وسلم انا دعوة ابى ابراهيم وبشرى عيسى عليهما السلام فالمراد بالدعوة قول ابراهيم عليه السلام والدعاء كان موجها له ولذريته وما تناسل منها من المؤمنين (رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ) والمراد بالبشرى قول الله تعالى عن عيسى عليه السلام (وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ) وفى الشفا ان آدم عليه السلام لما اكل من الشجرة قال اللهم بحق محمد اغفر لى خطيئتى وتقبل توبتى فتاب الله عليه وغفر له وبهذا فسر قوله تعالى (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ

إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) وانما توسل آدم عليه السلام بمحمد صلى الله عليه وسلم لسبق معرفته به يؤيد ذلك ما رواه الحاكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال ان آدم عليه السلام راى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش فسأل عنه فقال الله تعالى لولا محمد ما خلقتك وروى من طرق كثيرة باسانيد قوية ان الله تعالى لما خلق آدم كناه أبا محمد فقال يارب لما كنيتنى أبا محمد قال الله تعالى له ارفع رأسك ففعل فرأى نور محمد صلى الله عليه وسلم فى سرادق العرش قال يارب ما هذا النور قال هذا نور نبى من ذريتك اسمه فى السماء احمد وفى الارض محمد فقوله فراى نور محمد اى النور الذى هو صورته فالاضافة بيانية لان نوره صلى الله عليه وسلم صورة روحانية وقوله فى سرادق العرش معناه راى نوره فى العرش الذى كالسرادق حول الخباء مثلا دلالة على عظمة صاحبه فهو من اضافة المشبه به الى المشبه او هى بيانية فما استشفع آدم عليه السلام بمحمد صلى الله عليه وسلم الا لسابق معرفته به وروى الحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان آمن بمحمد وأمر امتك ان يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار وقد اشار الامام السبكى الى ذكره صلى الله عليه وسلم فى جميع الكتب المنزلة فى تائيته بقوله

وفى كل كتب الله نعتك قد اتى ... يقص علينا ملة بعد ملة

وقال آخر

من قبل مبعثه جاءت مبشرة ... به زبور وتوراة وانجيل

وقد جاء ان اسمه فى التوراة احمد يحمده اهل السماء والارض وقد روى غير واحد ان عبدالله بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجر الى الاسلام فقال

لهما قد علمتما ان الله تعالى قال فى التوراة انى باعث من ولد اسماعيل نبياً اسمه
احمد من آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون وبعد اعترافهما
بما قال اجابه الى الاسلام سلمة واعرض عنه مهاجر وكل منهما اخذ حظاً من
اسمه وفى هذه القضية نزل قوله تعالى (ومنْ يَرغبُ عنْ مِلةِ ابراهيمَ الاّ منْ
سفِهَ نفسه) وفى التوراة اسمه صلى الله عليه وسلم محمد واسمه حماطا وهو حَمّطَايَا
اى يحمى الحرم من الحرام واسمه فيها قدمايا اى الاول السابق وأحيد وروى
احيد بكسر الحاء المهملة اى يمنع نار جهنم عن امته واسمه فيها طاب طابَ
بمعنى طيب واسمه فيها كما ذكره فى الشفا انت حبيب الرحمن ويروى أسبُ
بالموحدة وأست بالمثناة فوق اى حبيب الرحمن وفيها محمد بن عبدالله مولده
بمكة ومهاجره طيبة وملكه بالشام والتوراة اسم عبرانى وعلى فرض كونه
عربياً فهو مأخوذ من ورى الزند لانها نور وضياء او من التورية وهى كتمان
الشىء مع التعريض به واكثر التوراة معاريض من غير تصريح فأولها
الاوائل من اهلها بما يوافق اغراضهم وتبعهم الاواخر وحب الدنيا راس كل
خطيئة وورد له صلى الله عليه وسلم فى الانجيل اسماء منها المنحمنا وهو بالسريانية
محمد قال سهل مولى خيثمة كنت يتيما فى حجر عمى فاخذت انجيلا كان عند
عمى فقرأت فيه حتى عثرت على ورقة ملصقة بغراء ففتقتها فوجدت فيها
وصف النبى صلى الله عليه وسلم فجاء عمى فلما راى الورقة فى يدى ضربنى
وقال مالك وفتح هذه الورقة وقراءتها فقلت فيها ذكر النبى احمد فقال انه لم
يأت بعد ومنها اسمه صلى الله عليه وسلم البارقليط ويسمى بالسريانية مشفح
وفى الانجيل ايضا وصفه صلى الله عليه وسلم بصاحب المدرعة وهى الدرع
وصاحب القضيب وهو السيف ثم فسره بقوله ومعه قضيب من حديد

وامته كذلك وفيه وصفه بأنه يركب الحمار والبعير والانجيل لفظ سريانى
معناه العظيم وعلى فرض انه عربي فهو مأخوذ من النجل وهو الخروج من
الغيب الى الشهادة ومن ثم سمى الولد نجلا لخروجه من الغيب الى الحس
او هو مشتق من النجل وهو الاصل سمى هذا الكتاب الالهى به لانه
الاصل المرجوع اليه فى ذلك الدين وذلك قبل تحريف كلمه وقيل من النجلة
وهى سعة العين لانه انزل وسعة لما فيه من تحليل بعض ما حرم فى التوراة
ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم فى الصحف المنزلة المتوكل والمختار ومقيم السنة
والمقدس وروح الحق

وفى صحيح البخارى عن عطاء بن يسار قال لقيت عبدالله بن عمرو بن
العاص فقلت اخبرنى عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اجل انه
لموصوف فى التوراة بالعبرانى بما معناه بالعربي وهو بعض صفته فى القرآن يا ايها
النبى انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت عبدى ورسولى
سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب فى الاسواق ولا يدفع
بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بان
يقولوا لا اله الا الله ويفتح به اعينا عميا وآذانا صماً وقلوبا غلفا وذكر مثل هذا
عبدالله بن سلام وكعب الاحبار

وفى بعض طرقه عن ابن اسحاق ولا صخب بالاسواق ولا متزين
بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل خلق كريم ثم اجعل
السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء
طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه
والاسلام ملته واحمد اسمه اهدى به بعد الضلالة واعلم به بعد الجهالة وارفع به

بعد الجهالة واسمى به بعد النكرة واكثر به بعد القلة واغنى به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة وأألف به بين قلوب مختلفة واهواء مشتتة وامم متفرقة واجعل امته خير امة اخرجت للناس قال السمرقندى ذكر الله سبحانه منته على نبيه صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى (فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم) بمعنى انه جعله رحيما بالمؤمنين لين الجانب ولوكان فظاً خشناً فى القول لتفرقوا من حوله لكن جعله سمحاً سهلاً طلقاً براً لطيفاً

ووصف صلى الله عليه وسلم فى التوراة بانه يسبق حلمه كل جهل ولا تزيده شدة جهل الجاهل عليه الا حلماً وفيها لا يزال الملك فى يهوذا الى ان يجئ الذى اياه تنتظر الامم وهو محمد صلى الله عليه وسلم كما سيأتى بيان ذلك

وذكر المفسرون فى قوله تعالى (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل) ان معناه انهم يجدون نعته بانه يأمرهم بالمعروف والمراد به مكارم الاخلاق وصلة الارحام وينهاهم عن المنكر وهو الشرك ويحل لهم الطيبات اى يخبرهم عن الله تعالى بالوحى حليتها لهم وهى الشحوم التى حرمت عليهم ببغيهم وشططهم والبحيرة والسائبة والوصيلة والحام التى حرمتها الجاهلية ويحرم عليهم الخبائث التى كانت تستحلها الجاهلية من الميتة والدم ولحم الخنزير ويضع عنهم اى اليهود اصرهم من تحريم العمل يوم السبت وعدم قبول دية المقتول ومن صفة امته صلى الله عليه وسلم فى التوراة انهم يوضئون اطرافهم اى ينظفونها ويأتزرون فى اوساطهم ويصطفون فى صلاتهم كما يصطفون فى قتالهم وفيها ايضا دويّهم فى مساجدهم كدوى النحل رهبان بالليل ليوث بالنهار اذا همّ احدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة وان عملها كتبت له عشر حسنات واذا همّ احدهم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئا وان

عملها كتبت سيئة واحدة يأمرون بالمعروف ويفعلونه وينهون عن المنكر ويجتنبونه ويؤمنون بالكتاب الاول وهو التوراة والاوسط وهو الانجيل والكتاب الاخر وهو القرآن

وروى الامام احمد بن حنبل وغيره باسناد صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الله تعالى لعيسى عليه السلام ياعيسى انى باعث من بعدك نبياً امته ان اصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وان اصابهم ما يكرهون صبروا واحتسبوا ولا حلم ولا علم قال يارب كيف لهم ذلك ولا حلم عندهم ولا علم اى بقدرتهم واكتسابهم قال اعطيهم من حلمى وعلمى اى وانما ذلك من عطائى وفضلى

ومن صفتهم فى الانجيل انهم حلماء علماء ابرار اتقياء كأنهم فى الفقه انبياء وقد وصف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى زبور داود عليه السلام بانه يقوى الضعيف الذى لا ناصر له ويرحم المسكين وهو الذى يبارك فى كل وقت ويدوم ذكره الى الابد

وفى السيرة الحلبية ان اسمه صلى الله عليه وسلم فى الصحف التى نزلت على شيث عليه السلام اخونا ح ومعناه صحيح الدين وفى صحف ابراهيم عليه السلام اسمه ماذماذ وروى يوذموذ ووصفه الله تعالى فى صحف شعيب عليه السلام بقوله عبدى الذى يثبت شأنه انزل عليه وحيي ويظهر فى الامم عدلى لا يضحك بالصوت يفتح العيون العمى والآذان الصم ويفتح القلوب الغلف وما اعطيته اياه لا اعطيه احدا من البشر يأتى من اقصى الارض به تفرح البرية وسكانها وهو ركن المتواضعين وهو نور الملة الذى لا يطفأ برهانه على كتفه خاتم النبوة الذى هو اعظم برهان ودليل على نبوته واقوى حجة على صدق رسالته صلى

الله عليه وسلم وشرّف وكرّم ومجّد وعظّم

وفى التوراة والانجيل والزبور بشارات عديدة فى حقه صلى الله عليه وسلم زيادة على ما ذكرناه فظهر لنا ان نذكر منها هنا جملة مفيدة تشتمل على كثير مما سبق وننقلها بلفظها كما هى فى الكتب المذكورة الموجودة الآن مع ما فسرها به علماؤنا الاعلام الذين حلوا رموزها وفتحوا كنوزها اخذنا اكثرها من كتاب اظهار الحق الشهير لمؤلفه العالم العلامة النحرير الشيخ رحمة الله الهندى رحمه الله تعالى هذا مع ترتيب بعض زيادات عليها تتميما للفائدة ورغبة فى حسن العائدة

﴿ فصل فى البشارة الاولى ﴾

ورد فى الباب الثامن عشر من سفر التثنية فى النسخ المطبوعة قديما عند البروتستانت كما نقلها صاحب اظهار الحق هكذا ﴿ ١٧ ﴾ فقال الرب لى نعم جميع ما قالوا ﴿ ١٨ ﴾ وسوف اقيم لهم نبياً مثلك من بين اخوتهم واجعل كلامى فى فمه ويكلمهم بكل شىء آمره به ﴿ ١٩ ﴾ ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى فانا اكون المنتقم من ذلك ﴿ ٢٠ ﴾ فاما النبى الذى يجترىء بالكبرياء ويتكلم باسمى ما لم آمره به ام باسم آلهة غيرى فليقتل ﴿ ٢١ ﴾ فان اجبت وقلت فى قلبك كيف استطيع ان اميز الكلام الذى لم يتكلم به الرب ﴿ ٢٢ ﴾ فهذه تكون لك آية ان ما قاله ذلك النبى باسم الرب ولم يحدث فالرب لم يكن يتكلم به بل ذلك النبى صوره فى تعاظم نفسه ولذلك لا تخشاه !

ووردت فى النسخة المطبوعة عند البروتستانت فى بيروت سنة ١٨٩١ هكذا ﴿ ١٧ ﴾ قال لى الرب قد احسنوا فيما تكلموا به ﴿ ١٨ ﴾ اقيم لهم نبياً من وسط اخوتهم واجعل كلامه فى فمه فيكلمهم بكل ما اوصيه به ﴿ ١٩ ﴾ ويكون

كل انسان لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى انا اطالبه ﴿ ٢٠ ﴾ واما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم اوصه ان يتكلم به او الذى يتكلم باسم آلهة اخرى فيموت ذلك النبى والمراد بالموت هنا (القتل) ﴿ ٢١ ﴾ وان قلت فى قلبك كيف تعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ﴿ ٢٢ ﴾ فما تكلم به النبى ولم يحدث ولم يصر فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه

وفى النسخة المطبوعة فى بيروت عند اليسوعيين فى سنة ١٨٧٦ الطبعة الثالثة هكذا ﴿ ١٧ ﴾ فقال لى الرب قد احسنوا فيما قالوا ﴿ ١٨ ﴾ اقيم لهم نبياً من بين اخوتهم مثلك والقى كلامى فى فمه فيخاطبهم بجميع ما آمرهم به ﴿ ١٩ ﴾ واى انسان لم يطع كلامى الذى يتكلم به باسمى فانى احاسبه عليه ﴿ ٢٠ ﴾ واى نبى تجبر فقال باسمى قولا لم آمره ان يقوله او تنبأ باسم آلهة اخر فليقتل ذلك النبى ﴿ ٢١ ﴾ فان قلت فى نفسك كيف يعرف القول الذى لم يقله الرب ﴿ ٢٢ ﴾ فان تكلم النبى باسم الرب ولم يتم كلامه ولم يقع فذلك الكلام لم يتكلم به الرب بل لتجبر تكلم به النبى فلا تخافوه

(المراد بما ذكر فى هذه البشارة هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لا يوشع كما اوله احبار اليهود ولا المسيح كما اوله علماء النصارى من البروتستانت وغيرهم وذلك لوجوه عديدة)

منها انه وقع فى هذه البشارة لفظ مثلك وكان صلى الله عليه وسلم مثل موسى عليه السلام من حيث انه عبدالله ورسوله ذو شريعة مشتملة على سياسات مدنية وعبادات دينية ورياضات جسمانية بكتاب مشتمل على الاحكام والشرائع وذكر المبدأ والمعاد الى غير ذلك مما يطول ذكره

ومنها انه كان من بنى اخوتهم اى من اخوة بنى اسرائيل لانه من بنى

اسماعيل اخى اسحق والد يعقوب الذى هو اسرائيل بخلاف يوشع فانه منهم
اى من بنى اسرائيل لا من اخوتهم ويوشع نبى فقط لم يكن له كتاب بل كان
متبعاً لشريعة موسى عليه السلام فى بنى اسرائيل خاصة فلو كان المراد يوشع
لقال منهم وايضا فانه لا مماثلة بين يوشع وبين موسى عليهما السلام لان موسى
عليه السلام صاحب كتاب وشريعة جديدة مشتملة على اوامر ونواهى ويوشع
ليس كذلك بل هو متبع لشريعة موسى وقد وقع فى هذه البشارة لفظ سوف
اقيم ويوشع عليه السلام كان حاضرا عند موسى عليه السلام داخلا فى بنى
اسرائيل وكان نبياً وقتئذ فكيف يصدق عليه هذا القول وما زعمه علماء
البروتستانت وغيرهم من النصارى من ان المشار اليه بما تقدم هو عيسى عليه
السلام رد عليهم بنصوص التوراة منها قوله اقيم لهم نبياً من بين اخوتهم فانه من
نسل داود عليه السلام فنى زبور داود عليه السلام (سيولد لك ولد ادعى له ابا
ويدعى لى ابنا) وهذا خطاب من الله تعالى لداود عليه السلام واخوة بنى
اسرائيل انما هم بنو اسماعيل الذى هو اخو اسحاق وايضا لو كان المراد المسيح
لم يحسن ان يخاطب بلفظ من بين اخوتهم لان الاستعمال الحقيقى لهذا اللفظ
ان لا يكون المبشر به له علاقة الصلبية والبطنيه ببنى اسرائيل وكذا لا توجد
المماثلة التامة بين موسى وعيسى عليهما السلام لان عيسى عليه السلام كان الهاً
وربا على زعم النصارى وموسى عليه السلام كان عبداً له وان عيسى على زعمهم
صار ملعونا لشفاعة الخلق كما صرح به بولس فى الباب الثالث من رسالته الى اهل
ملاطيه وموسى عليه السلام ما صار ملعونا لشفاعتهم وان عيسى عليه السلام دخل
الجحيم بعد موته كما هو مصرح به فى عقائد اهل التثليث وموسى عليه السلام ما
دخل الجحيم وان عيسى عليه السلام صلب على زعم النصارى ليكون كفارة لامته

وموسى عليه السلام ما صار كفارة لامته بالصلب وان شريعة موسى مشتملة على الحدود والتعزيرات واحكام الغسل والطهارات والمحرمات من المأكولات والمشروبات بخلاف شريعة عيسى عليه السلام فانها فارغة عنها على ما يشهد به هذا الانجيل المتداول بينهم وان موسى عليه السلام كان رئيساً مطاعا فى قومه نفاذاً لاوامره ونواهيه وعيسى عليه السلام لم يكن كذلك

ومنها انه وقع فى هذه البشارة لفظ اجعل كلامى فى فمه وهذه اشارة الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انزل عليه الكتاب وكان أمياً جعل الله كلامه فى فمه وكان ينطق بالوحى قال الله تعالى فى كتابه المجيد مصداقا لذلك (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)

ومنها انه وقع فى هذه البشارة ومن لم يطع كلامه الذى يتكلم به باسمى انا اكون المنتقم من ذلك واطالبه به واحاسبه عليه وقد كان صلى الله عليه وسلم مأمورا بالجهاد وقد انتقم الله به لاجله من صناديد قريش وأكاسرة الفرس وقياصرة الرومان وغيرهم من الملوك الجبابرة ويوشع والمسيح غير مأمورين بالجهاد وكل هذه الوجوه تصدق فى حق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فى امور كثيرة {١} كونه عبدالله ورسوله {٢} كونه ذا الوالدين {٣} كونه ذا نكاح واولاد {٤} كون شريعته مشتملة على السياسات المدنية {٥} كونه مأمورا بالجهاد {٦} اشتراط الطهارة وقت العبادة فى شريعته {٧} وجوب الغسل للجنب والحائض والنفساء فى شريعته {٨} اشتراط طهارة الثوب من البول وانواع النجاسة {٩} حرمة أكل غير المذبوح وقرابين الاوثان {١٠} كون شريعته مشتملة على العبادات البدنية والرياضات الجسمانية {١١} امره بحد الزناة {١٢} تعيين الحدود والتعزيرات والقصاص {١٣} كونه قادراً

على اجرائها {١٤} تحريم الربا {١٥} امره بانكار من يدعو الى غير الله {١٦} امره بالتوحيد الخالص {١٧} امره لامته بان يقولوا انه عبدالله ورسوله لا ابن الله او الله والعياذ بالله {١٨} موته على فراشه {١٩} كونه مدفونا كموسى {٢٠} عدم كونه ملعونا لاجل امته وهكذا امور اخر تظهر اذا تؤمل فى شريعتهما ولذلك قال الله تعالى فى كتابه المجيد (اِنَّا اَرْسَلْنَا اِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا اَرْسَلْنَا اِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولاً)

ومنها انه صرّح فى هذه البشارة بان النبى الذى ينسب الى الله تعالى ما لم يأمره به يقتل فقوله يقتل اخبار لا أمر فلو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقا ما منعه ممن رام قتله من الكفار وقد تعمدوا ذلك مرارا وقد قال الله تعالى فى القرآن المجيد (ولو تَقَوَّلَ علينا بعضَ الأقاويلِ لأخذنا منهُ باليمينِ ثمَّ لَقطَعنَا منهُ الوتين) فلم يفعل به تعالى فعلم انه ما قال الا ما قاله الحق وامره به وقد قال الله فى حقه (واللهُ يَعصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) ووفى بذلك وعده فلم يقدر احد على قتله حتى لحق بالرفيق الاعلى صلى الله عليه وسلم وفيه ادلة وبراهين اخرى كثيرة تركنا التعرض لذكرها خوف الاطالة واكتفينا بما ذكرناه لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد

﴿ فصل ﴾

﴿ فى البشارة الثانية ﴾

فى الاية الحادية والعشرين من الباب الثانى والثلاثين من سفر التثنية نقلها صاحب اظهار الحق هكذا (٢١) هم اغارونى بغير اله واغضبونى بمعبوداتهم الباطلة وانا ايضا اغيرهم بغيره شعب بشعب جاهل اغضبهم

وفى النسخة المطبوعة عند البروتستانت فى بيروت سنة ١٨٩١ هكذا

{ ٢١ } هم اغاروني بما ليس الها اغاظوني بباطيلهم فانا اغيرهم بما ليس شعبا بامة غبية اغيظهم

وفي النسخة المطبوعة الطبعة الثالثة عند اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٧٦ هكذا { ٢١ } هم اغاروني بمن ليس الها واغضبوني بباطيلهم وانا اغيرهم بمن ليسوا شعبا بقوم اغبياء اغضبهم

والمراد بالشعب الجاهل او الامة الغبية او القوم الاغبياء العرب لانهم أمة أمية وكانوا في غاية الجهل والبعد عن المعارف فليس عندهم شيء من العلوم الشرعية ولا من العلوم العقلية وكان اليهود يحتقرونهم لكونهم من اولاد هاجر فمعنى هذه الاية ان بني اسرائيل اغاروني بعبادات المعبودات الباطلة فاغيرهم باصطفاء الذين هم عندهم محتقرون وجاهلون وقد وفى تعالى بوعده فبعث من العرب النبي صلى الله عليه وسلم فهداهم الى الصراط المستقيم قال تعالى في سورة الجمعة (هوَ الذي بَعثَ في الاميِّين رَسُولاً منهُمْ يتلو عليهِمْ آياتهِ وَيزكيهم ويُعلِمُهُم الكتابَ والحكمةَ وان كانُوا مِنْ قبلُ لَفي ضلالٍ مُبين) ولا يرد على ما ذكرناه ان العرب ممن يعبد الاوثان فتشملهم آية التوراة لان المقصود من ذلك الشعب المشار اليه منه الذي ينتقم الله به من عبدة الاوثان هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فاظهره الله تعالى في وقت ظهوره واختار له من قومه سراة بذلوا نفوسهم واموالهم في نصرته والقيام بواجب الغيرة لله تعالى فاول شيء فعله صلى الله عليه وسلم انه دعا قومه وسائر الامة العربية الى توحيد الله تعالى وترك عبادة الاوثان فاجاب من اراد الله به السعادة الابدية وابى من كتب الله عليه الشقاء فقاتل اهل الشقاء باهل السعادة حتى ان اصحابه رضي الله عنهم قتلوا آباءهم وابناءهم واخوانهم غيرة لله ونصرة

لدين الله وقياما بحق الله ورغبة فى رضى الله ومابرح صلى الله عليه وسلم يقاتلهم ويضيق عليهم المسالك الى ان تركوا عبادة الاوثان بتوحيد الرحيم المنان سبحانه فاذا فهمت ذلك علمت انه ليس المراد بالشعب الجاهل او الاغبياء اليونانيين كما تأوله المتأولون لجهلهم بما ذكرناه وتأويلهم هذا تعجب منه الاموات فضلا عن الاحياء فان اليونان كانوا قبل ظهور عيسى عليه السلام بما يزيد على ثلاثمائة سنة واكثر فائقين على سائر الامم فى وقتهم فى العلوم والفنون وكيف لا ومنهم الحكماء المشهورون مثل سقراط وبقراط وفيساغوروس وافلاطون وارسطاطاليس وارشميدس واقليدس وجالينوس وغيرهم ممن لا يحصون كثرة وكان خلفهم على عهد سيدنا عيسى عليه السلام على غاية درجة الكمال فى فنون اسلافهم وعلومهم التى كانوا يتداولونها بينهم فتأمل

فصل

﴿ فى البشارة الثالثة ﴾

فى الباب الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ للبروتستانت كما نقلها صاحب اظهار الحق هكذا ﴿ ٢ ﴾ وقال جاء الرب من سينا واشرق لنا من ساعير واستعلن من جبل فاران ومعه الوف الاطهار فى يمينه سنة من نار

وفى النسخة المطبوعة عند البروتستانت ايضا سنة ١٨٩١ فى الاية الاولى من الاصحاح الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء هكذا ﴿ ٢ ﴾ فقال جاء الرب من سيناء واشرق لهم من ساعير وتلألأ من جبل فاران واتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم

وفى النسخة المطبوعة الطبعة الثالثة عند اليسوعيين فى بيروت سنة ١٨٧٦

فى الفصل الثالث والثلاثين من سفر الاستثناء هكذا ﴿ ٢ ﴾ اقبل الرب من سينا واشرق لهم من سعير وتجلى من جبل فاران واتى من ربى القدس وعن يمينه قبس شريعة لهم

فالمراد بمجيئه تعالى من سيناء اعطاؤه التوراة لموسى عليه السلام وباشراقه من ساعير اعطاؤه الانجيل لعيسى عليه السلام وباستعلانه وتلألأه وتجليه من جبل فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم اى ابتداء انزاله عليه كان من جبل فاران وفاران من جبال مكة المكرمة قوله واتى من ربى القدس اى أتاهم بما تلقاه من حضرة الحق جل وعلا من الاحكام والعبادات وقوله وعن يمينه نار شريعة لهم او قبس شريعة لهم المراد به القرآن الكريم المشتمل على التكاليف الشرعية التى هى على النفس بمثابة قبس من نار

وفى الباب الحادى والعشرين من سفر التكوين فى ذكر اسماعيل عليه السلام ما نصه ﴿ ٢٠ ﴾ وكان الله معه ونما وسكن البرية وصار شابا يرمى بالسهام ﴿ ٢١ ﴾ وسكن برية فاران واخذت له امه امرأة من مصر

وفى النسخة المطبوعة فى بيروت عند اليسوعيين سنة ١٨٧٦ الطبعة الثالثة فى الفصل الحادى والعشرين من سفر التكوين هكذا ﴿ ٢ ﴾ وكان الله مع الغلام حتى كبر فاقام بالبرية وكان راميا بالقوس ﴿ ٢١ ﴾ واقام ببرية فاران واتخذت له امه امرأة من مصر

فلا شك ان المراد بهذا هو اسماعيل عليه السلام لان اقامته كانت بمكة وهى برية فاران وبمناسبة كونه راميا بالقوس قال نبينا عليه الصلاة والسلام (ارموا بنى اسماعيل فان اباكم كان راميا) وقال عليه الصلاة والسلام (من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا) وقوله كان الله معه اى يعلمه ويحفظه لان المعية وهى

المصاحبة المعروفة مستحيلة على الله تعالى وامه كانت من مصر واما ازواجه فكان من العرب من جرهم واما قوله واتخذت له امه امرأة من مصر فهو مناقض لما قيل فى الفصل السادس عشر من سفر التكوين ﴿٢﴾ ويكون رجلا وحشيا يده على الكل ويد الكل عليه وامام جميع اخوته يسكن فلو اتخذت له امه امرأة من مصر لما كان رجلا وحشيا بل قوله ويكون رجلا وحشيا اعظم دليل بصيرورة اسماعيل من العرب وتزوجه منهم كما تقدم ذلك فى قصة الذبيح فقوله وحشيا المراد به ان يكون بريا لا حضريا مدنيا فى احواله على ما تقتضيه البادية

فصل

﴿ فى البشارة الرابعة ﴾

ورد فى الاية العشرين من الباب السابع عشر من سفر التكوين وعد الله فى حق اسماعيل عليه السلام فى الترجمة العربيـة المطبوعة سنة ١٨٤٤ كما نقلها صاحب اظهار الحق هكذا ﴿٢٠﴾ وعلى اسماعيل استجيب لك هوذا اباركه واكثره جدا جدا فسيلد اثنى عشر رئيساً واجعله لشعب كبير ووردت هذه الاية فى الاصحاح السابع عشر فى الترجمة المطبوعة فى بيروت عند البروتستانت سنة ١٨٩١ هكذا ﴿٢٠﴾ واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ها انا اباركه واثمره واكثره جدا واثنى عشر رئيساً يلد واجعله امة كبيرة

وفى النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٧٦ عند اليسوعيين الطبعة الثالثة هكذا ﴿٢٠﴾ واما اسماعيل فقد سمعت قولك فيه وها انا ذا اباركه وانميه واكثره جدا جدا ويلد اثنى عشر رئيساً واجعله امة عظيمة

فقوله اجعله لشعب كبير او اجعله امة كبيرة او امة عظيمة معناه اجعله

رئيساً لشعب كبير فالضمير من قوله اجعله اشارة الى محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم يكن فى ولد اسماعيل من كان رئيساً قائماً بشؤن شعب كبير غيره قال الله تعالى فى القرآن الكريم فى اشارة ابراهيم واسماعيل عليهما السلام بالدعاء الى ولدهما محمد صلى الله عليه وسلم (رَبَّنَا وابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ أَنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) الذى لا تخلو افعاله عن حكمة

قال بعض النبهاء ممن اطلع على كتب اليهود انه يستخرج من عبارة التوراة فى موضعين اسم محمد صلى الله عليه وسلم بعدد الجمل على ما يستعمله اليهود فيما بينهم الاول قوله جدا جدا فمعناه فى تلك اللغة بماد ماد وعدد هذه الاحرف اثنان وتسعون وكذلك اسم محمد صلى الله عليه وسلم الثانى قوله لشعب كبير معناه بتلك اللغة (لغوى غدول) فاللام عندهم ثلاثون والغين ثلاثة لانها عندهم بمقام الجيم اذ ليس فى لغتهم جيم ولا هاء والواو ستة والياء عشرة والغين الثانية ثلاثة والدال اربعة والواو ستة واللام ثلاثون مجموع هذه الحروف اثنان وتسعون

وقد ذكر المحققون من العلماء ان من اسمائه صلى الله عليه وسلم فى التوراة ماذ ماذ بالذال المعجمة كما فى الشفا للقاضى عياض اليحصبي طاب ثراه ونفعنا بعلومه

فصل

﴿ فى البشارة الخامسة ﴾

فى الاية العاشرة من الباب التاسع والاربعين من سفر التكوين من التراجم العربية المطبوعة سنة ١٧٢٢ وسنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ هكذا {٢٠}

فلا يزول القضيب من يهوذا والمدبر من فخذه حتى يجيء الذى له الكل واياه تنتظر الامم

وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١١ هكذا فلا يزول القضيب من يهوذا والراسم من تحت امره الى ان يجيء الذى هو له واليه تجتمع الشعوب

وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٩١ عند البروتستانت هكذا ﴿١٠﴾ لا يزول القضيب من يهوذا ومشترع (اى مشرع) من بين رجليه حتى يأتى شيلون وله يكون خضوع شعوب ذكر الحبر عبد السلام الذى كان من احبار اليهود واسلم فى عهد ساكن الجنان السلطان بايزيد خان وصنف رسالة صغيرة سماها الهادية هكذا ﴿١٠﴾ لا يزول الحاكم من يهوذا ولا الراسم من بين رجليه حتى يجيء الذى له واليه تجتمع الشعوب

وفى النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٧٦ عند اليسوعيين الطبعة الثالثة هكذا ﴿١٠﴾ لا يزول صولجان من يهوذا ومشترع اى من صلبه حتى يأتى شيلو وتطيعه الشعوب ففى هذه الاية دلالة واضحة على ان مجيء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يكون بعد مجيء الحاكم او المدبر او المشرع والمراد بالحاكم موسى عليه السلام لانه بعد يعقوب ما جاء صاحب شريعة الى ان ارسل موسى عليه السلام

والمراد بالراسم او المشرع هو عيسى عليه السلام لانه بعد موسى الى زمان عيسى ما جاء صاحب شريعة الا عيسى عليه السلام فهو الراسم والمشرع والمدبر وبعد مضى حكم الحاكم والراسم والمدبر والمشرع ما جاء صاحب شريعة الا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وفى قوله حتى يأتى شيلو واليه تجتمع الشعوب او تطيعه الشعوب او له يكون خضوع الشعوب علامة واضحة

ودلالة ظاهرة على ان المراد منها هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه لم تجتمع الشعوب الا عليه ولم تطع الا له وانما لم يذكر الزبور لانه لا احكام فيه وداود عليه السلام كان تابعا لموسى عليه السلام والمراد بقوله الحاكم هو موسى عليه السلام كما قلنا لان شريعته جبرية انتقامية والمراد بقوله الراسم او المدبر او المشترع هو عيسى عليه السلام لان شريعته ليست بجبرية ولا انتقامية وقوله الذى له الكل او الذى هو له واليه تجتمع الشعوب تفسير لكلمة شيلو الذى هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وفى ترجمة هذا اللفظ وتفسيره اختلاف فيما بينهم

وان اريد من القضيب السلطنة الدنيوية ومن المدبر او الراسم او المشترع اى المشرع الحاكم الدينى كما فهم من رسائل القسيسين من طائفة البروتستانت ومن بعض تراجمهم فلا يصح ان يراد بشيلو هو مسيح اليهود كما زعموا ولا عيسى عليه السلام كما زعم النصارى اما الاول فظاهر لان السلطنة الدنيوية والحاكم الدينى قد زالا من آل يهوذا قبل ذلك من مدة تزيد على الفى سنة وذلك من عهد بختنصر ولم يسمع الى الآن ذكر لمسيح اليهود واما الثانى فلانها اى السلطنة والحكم الدينى زال كل منهما من آل يهوذا ايضا قبل ظهور عيسى عليه السلام بمقدار ستمائة سنة من عهد بختنصر وهو الذى اجلى بنى يهوذا الى بابل واقاموا فى الجلاء ثلاثا وستين سنة لا سبعين سنة كما قيل ثم وقع عليهم فى عهد انتيوكس ما وقع كما هو مصرح به فى التواريخ فكيف يصدق هذا الخبر على عيسى عليه السلام وان قالوا ان المراد بقاء السلطنة والحكومة امتياز القوم واعتبارهم كما يقول بعضهم الآن قلنا ان هذا الامر كان باقيا الى ظهور محمد صلى الله عليه وسلم وكان اليهود فى اقطار العرب ذوى حصون واملاك غير

مطيعين لاحد مثل يهود خيبر وبنى قريظة وبنى النضير وغيرهم كما هو معلوم ومسطر فى كتب التاريخ وبعد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ضربت عليهم الذلة والمسكنة وصاروا فى كل اقليم مطيعين للغير فتبين من هـذا ان المراد بشيلو هو النبي صلى الله عليه وسلم لا مسيح اليهود ولا عيسى عليه السلام

فصل

﴿ فى البشارة السادسة ﴾

فى الزبور الخامس والاربعين كما نقلها صاحب اظهار الحق هكذا {١} فاض قلبي بكلمة صالحة انا اقول اعمالى للملك لسانى قلم كاتب سريع الكتابة {٢} بهى فى الحسن افضل من بنى البشر انسكبت النعمـة على شفتيك لذلك بار كك الله الى الدهر {٣} تقلد سيفك على فخذك ايها القوى بحسنك وجمالك {٤} استلم وانجح واملك من اجل الحق والدعة والصدق وتهديك بالعجب يمينك {٥} نبلك مسنونة ايها القوى فى قلب اعداء الملك الشعوب تحتك يسقطون {٦} كرسيك يا الله الى دهر الداهرين عصا الاستقامة عصا ملكك {٧} احببت البر وابغضت الاثم لذلك مسحك الله بدهن الفرح افضل من اصحابك {٨} المر والميعة والسليخة من ثيابك من منازلك الشريفة العاج التى ابهجتك {٩} بنات الملوك فى كراماتك قامت الملكة من عن يمينك مشتملة بثوب مذهب موشى {١٠} اسمعى يابنت باذنيك وانظرى وانصتى وانسى شعبك وبنت ابيك {١١} فيشتهى الملك حسنك لانه هو الرب الهك وله تسجدين {١٢} بنات صور يأتينك بالهدايا لوجهك يصلى كل اغنياء الشعب {١٣} كل مجد ابنـة الملك من داخل مشتملة بلباس الذهب الموشى {١٤} يبلغن الى الملك عذارى فى اثرها قريباتها اليك يقدمن {١٥} يبلغن بفرح

وابتهاج يدخلن الى هيكل الملك ﴿١٦﴾ ويكون بنوك عوضا من آبائك وتقيمهم رؤساء على سائر الارض ﴿١٧﴾ ساذكر اسمك فى كل جيل فجيل من اجل ذلك يعترف لك الشعوب الى آخر الدهر والى دهر الداهرين

وفى الترجمة العربية المطبوعة عند البروتستانت سنة ١٨٩١ فى الزبور الخامس والاربعين هكذا ﴿١﴾ فاض قلبى بكلام صالح متكلم انا بانشائى للملك لسانى قلم كاتب ماهر ﴿٢﴾ انت ابرع جمالا من بنى البشر انسكبت النعمة على شفتيك لذلك باركك الله الى الابد ﴿٣﴾ تقلد سيفك على فخذك ايها الجبار جلالك وبهاءك ﴿٤﴾ وبجلالك اقتحم اركب من اجل الحق والدعة والبر فتريك يمينك مخاوف ﴿٥﴾ نبلك المسنونة فى قلب اعداء الملك شعوب تحتك يسقطون ﴿٦﴾ كرسيك ياالله الى دهر الدهور قضيب استقامة قضيب ملكك ﴿٧﴾ احببت البر وابغضت الاثم من اجل ذلك مسحك الله الهك بدهن الابتهاج اكثر رفقائك ﴿٨﴾ كل ثيابك مر وعود وسليخة من قصور العاج سرتك الاوتار ﴿٩﴾ بنات ملوك بين خطياتك جعلت الملكة عن يمينك بذهب اوفير ﴿١٠﴾ اسمعى يابنت وانظرى واميلى اذنك وانسى شعبك ﴿١١﴾ فيشتهى الملك حسنك لانه هو سيدك فاسجدى له ﴿١٢﴾ وبنت صور اغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية ﴿١٣﴾ كلها مجد ابنة الملك فى خدرها منسوجة بذهب ملابسها ﴿١٤﴾ بملابس مطرزة تحضر الى الملك فى اثرها عذارى صاحباتها مقدمات اليك ﴿١٥﴾ يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن الى قصر الملك ﴿١٦﴾ عوضا عن آبائك يكون بنوك تقيمهم رؤساء فى كل الارض ﴿١٧﴾ اذكر اسمك فى كل دور فدور من اجل ذلك تحمدك الشعوب الى الدهر

وفى النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٧٦ عند اليسوعيين الطبعة

الثالثة جاء هذا فى الزبور الرابع والاربعين هكذا ﴿٢﴾ فاض قلبي بكلام صالح انى اقول اعمالى للملك لسانى قلم كاتب سريع ﴿٣﴾ انك ابهى جمالا من بنى آدم وقد انسكبت النعمة على شفتيك فلذلك باركك الله الى الابد ﴿٤﴾ تقلد سيفك على فخذك ايها الجبار جلالك وبهاءك ﴿٥﴾ وببهائك انجح واركب لامر الحق والدعة والبر فتعلمك يمينك المخاوف ﴿٦﴾ نبالك مسنونة وشعوب تحتك يسقطون هى فى قلب اعداء الملك ﴿٧﴾ عرشك يا الله الى الدهر والابد وصولجان ملكك صولجان استقامة ﴿٨﴾ احببت البر وابغضت النفاق لذلك مسحك الهك يا الله بدهن البهجة افضل من شركائك ﴿٩﴾ جميع ثيابك مر وعود وسليخة قصور من هياكل العاج قد اطربتك الاوتار ﴿١٠﴾ بنات الملوك من كرائمك قامت الملكة عن يمينك بذهب اوفير ﴿١١﴾ اسمعى يابنت وانظرى واميلى اذنك انسى شعبك وبيت ابيك ﴿١٢﴾ فيصبو الملك الى حسنك انه هو السيد الهك وله تسجدين ﴿١٣﴾ وبنت صور اغنياء الشعب تستعطف وجهك بالهدايا ﴿١٤﴾ بنت الملك جميع مجدها فى الداخل ولبوسها من نسائج الذهب ﴿١٥﴾ تزف الى الملك فى رياش موشاة وفى اثرها عذارى صواحبها يحضرن اليك ﴿١٦﴾ يزففن بفرح وابتهاج يحضرن فى هيكل الملك ﴿١٧﴾ يكون بنوك عوضا من آبائك تقيمهم رؤساء على جميع الارض ﴿١٨﴾ سأذكر اسمك فى كل جيل فجيل لذلك يعترف لك الشعوب الى الدهر والابد

ملخص ما اشتملت عليه هذه البشارة ان داود عليه السلام بشر فى هذا الزبور بنبي يكون ظهوره بعد زمانه وانه يكون على هذه الصفات التى ذكرها فقال المحققون من علماء الاسلام ان هذا النبي المبشر بظهوره هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لاستجماعه هذه الصفات واشتماله عليها وظهورها فيه

بحيث لا يجهلها حبيب موادد ولا عدو معاند

فعلم مما ذكره عليه السلام ان النبي المبشر به موصوف بهذه الصفات وهي ﴿١﴾ كونه حسنا اى جميل الصورة ﴿٢﴾ كونه افضل البشر ﴿٣﴾ كون النعمة منسكبة على شفتيه ﴿٤﴾ كونه مباركا الى آخر الدهر ﴿٥﴾ متقلدا بالسيف ﴿٦﴾ كونه قويا ﴿٧﴾ كونه ذا حق وامانة وصدق ﴿٨﴾ كون يمينه تهدى ويظهر منها العجب ﴿٩﴾ كون نبله مسنونة ﴿١٠﴾ سقوط الشعب تحته ﴿١١﴾ كونه محبا للبر ومبغضاً للاثم ﴿١٢﴾ كون بنات الملوك تخدمه ﴿١٣﴾ كونه تأتيه الهدايا ﴿١٤﴾ كون اغنياء جميع الشعب ينقادون اليه ﴿١٥﴾ كون ابنائه رؤساء الارض بدل آبائهم ﴿١٦﴾ كون اسمه مذكورا جيلاً فجيلاً ﴿١٧﴾ كونه ممدوحا عند الشعوب الى دهر الداهرين فهذه الاوصاف كلها لا يتوقف العاقل المنصف فى ثبوتها لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ووجودها فيه على اكمل وجه واتمه اما الحسن والجمال فان الله تعالى خصه من ذلك بما لا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب وقد سبق من الكلام عليه ما لا نحتاج معه الى اعادة هنا واما كونه افضل البشر فقد قال الله تعالى فى كتابه المحكم (تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهَ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ) اى فضله على غيره من وجوه متعددة ومراتب فى العلو متباعدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خصه بالدعوة العامة والحجج المتكاثرة والمعجزات المستمرة والايات المتعاقبة بتعاقب الدهر والفضائل العلمية والعملية الفائتة الحصر وبعثه الى الاحمر والاسود الى الناس كافة واحل له الغنائم ولم يحلها لنبي قبله وليس احد من الانبياء اعطى فضيلة او كرامة الا وقد اعطى محمد صلى الله عليه وسلم مثلها والابهام فى قوله ورفع بعضهم درجات لتفخيم شأنه كأنه العلم المتعين لهذا

الوصف المستغنى عن التعين فمن فهم منهم هذا علم ان اليهود ليس لهم هنا دعوى لان الله تعالى اشار الى موسى عليه السلام بقوله منهم من كلم الله فتكليم الله له مسلم عند اهل كل ملة ونحلة وان النصارى كذلك لقوله تعالى بعد قوله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات وايدناه بروح القدس والعطف يقتضى الغيرية فتمحضت الاشارة الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم بعد ان اخبره الله تعالى بتفضيله على البشر (انا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر) اى لا اقول ذلك فخرا بل تحدثا بنعمة الله

واما النعمة التى تنسكب على شفتيه فالمراد بها الوحى المنزل عليه صلى الله عليه وسلم ومنه القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد وقال الله تعالى (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحيٌ يُوحى)

وقد اعطى صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة ما اقر به اهلها وفريقها العارفون باساليبها وبالجملة فقد كان صلى الله عليه وسلم من الفصاحة والبلاغة بالمحل الافضل والموضع الذى لا يجهل براعة منزع وايجاز مقطع ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معانى وقلة تكلف اوتى جوامع الكلم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب مع كثرتها يخاطب كل امة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها فى منزع بلاغتها وكان صلى الله عليه وسلم اصدق الناس لهجة اعترف بصدقه منذ نشأته معادوه ومحاربوه حتى انه كان يعرف فى الجاهلية بالصادق الامين

واما كونه مباركا عليه فقد قال سبحانه وتعالى (إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً) ابان الله تعالى

فى هذه الاية فضل نبيه بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلاة والتسليم عليه فالوف الوف من المؤمنين خلفا عن سلف يصلون عليه ويسلمون فى الصلوات الخمس وعند ذكره صلى الله عليه وسلم بل فى سائر الاوقات والآنات لا يفترون عن اداء ذلك دائما وابدا

واما كونه مقلدا سيفه فقد قال صلى الله عليه وسلم انا رسول الله بالسيف وما برح صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله ويقاتل لاعلاء كلمة الله الى ان لحق بالملاء الاعلى وهذا الامر لشهرته لا يحتاج الى اقامة دليل

واما كونه قويا فقد كانت قوته الجسمانية على غاية الكمال ذكر علماء السير انه صلى الله عليه وسلم لما دعا ركانة القرشى اشد اهل وقته قوة الى الاسلام علق الاجابة الى ما دعاه اليه على غلبه فى المصارعة فصارعه صلى الله عليه وسلم وعاوده ثلاث مرات وفى كل منها يصرعه صلى الله عليه وسلم

واما شجاعته صلى الله عليه وسلم فقد حضر المواقف الصعبة وفرّ الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا يبرح ومقبل على العدو لا يتزحزح وعن ابن عمر رضى الله عنهما انه قال ما رأيت اشجع ولا انجد ولا اجود من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن على بن ابى طالب كرم الله وجهه انه قال انا كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه ولقد رايتنى يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو اقربنا الى العدو وكان اشد الناس يومئذ بأسا واخبار شجاعته صلى الله عليه وسلم مما سار به الركبان وتحدث به غير انسان

واما كونه ذا حق وامانة فانه صلى الله عليه وسلم كان معروفا بهذه الصفات الجليلة منذ نشأ كما قال النضر بن الحارث لقريش (قد كان محمد فيكم

غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم حديثا واعظم امانة حتى اذا رايتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم فيه ما قلتم لا والله ما هو كذلك) والنضر هذا كان من اشد قريش عداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والفضل ما شهدت به الاعداء وسأل هرقل قيصر الروم ابا سفيان عن حال النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا فقال اعرف انه لم يكن ليذر الكذب على الناس قبل ان يظهر رسالته ويكذب على الله تعالى بعد اظهارها

واما كونه موفقا فيما يستعمل فيه يمينه فانه يوم بدر ويوم حنين رمى وحده الكفار بقبضة من تراب فلم يبق مشرك الا امتلأت عيناه بالتراب واشتغل بذلك وبه وقعت الهزيمة فى الكفار وتمكن المسلمون منهم واستأصلوهم قتلا واسرا فامثال هذه الخارقة من عجيب هداية يمينه الى ما اراده ومما أعطيته من التوفيق فى اعمالها وما يراد منها

واما كون نبله مسنونة فانه صلى الله عليه وسلم من سلالة اسماعيل وشهرته وشهرة بنيه برمى السهام والاصابة فى الرمى بها فى وقتهم واتصال ذلك فى ذريتهم وما تناسل منهم غنية عن البيان والرمى بالسهام مما يرغب فيه شرعا وكان صلى الله عليه وسلم يقول ستفتح عليكم بلاد الروم ويكفيكم الله فلا يعجز احدكم ان يلهو بسهامه وقال لجماعة من المسلمين وكانوا يرمون الهدف بالسهام ارموا بنى اسماعيل فان اباكم كان راميا وقال عليه الصلاة والسلام من تعلم الرمى ثم تركه فليس منا الى غير ذلك مما يطول ذكره

واما سقوط الشعب تحته اى اذعانه وخضوعه لاوامره فان معظم الخلق اطاعوه ودخلوا فى دين الله افواجا فى مدة حياته وبعدها وامتد الاسلام فى

اقطار الارض وجهاتها كما اخبر بذلك عليه الصلاة والسلام لاول رسالته فقال زُويت لى الارض فأريتُ مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك امتى الى ما زوى لى منها وكذلك كان امتدت امته فى المشارق والمغارب ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى الاوقيانوس الغربى حيث لا عمارة وراءه وذلك لم تملكه امة من الامم ولم تمتد امة فى الجنوب والشمال مثل امتدادها فى المشرق والمغرب

واما كونه محباً للبر مبغضا للاثم فهو من الامور البديهية التى لا تحتاج الى دليل فانه افضل الانبياء وسيد الاتقياء ومعلم الاخلاق الحميدة والآداب الشريفة التى اثنى الشرع على جميعها وامر بها ووعد السعادة الابدية للتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة قال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق وقد اقر الاعداء المخالفون لامره بوجود هذه الكمالات البشرية فى ذاته صلى الله عليه وسلم فاجتماع الاخلاق الكريمة فى ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم من دلائل النبوة اذ مجموع افرادها لا يحصل الا للانبياء عليهم الصلاة والسلام

واما خدمة بنات الملوك اياه فقد اخبر صلى الله عليه وسلم اصحابه بذلك لاول رسالته وكان الامر كما قال فخدمتهم من بنات فارس والروم عدد غير قليل يطول سرده ومنهن شهربانو بنت يزدجرد كسرى فارس كانت عند الامام سيدنا الحسين رضى الله عنه وكان عند والده علىّ بن ابى طالب كرم الله وجهه تسعة عشر جارية من بنات الفرس والروم يخدمنه

واما اتيان الهدايا اليه فان ممن هاداه منهم هرقل قيصر الروم وكذلك المقوقس ملك القبط والنجاشى اصحمة ملك الحبشة كما هو مفصل فى كتب

السير المحمدية وكتب الحديث النبوى والتواريخ الاسلامية على كثرتها ودان
بطاعته من ملوك العرب منذر بن ساوى ملك البحرين وملك عمان وغيرهما
فكلهم انقادوا واسلموا

واما كون ابنائه رؤساء الارض بدل آبائهم فهذا كذلك غنى عن الدليل
لوضوحه وعموم العلم به واتصل ذلك من الصدر الاول الى الآن وقد نال من
ابناء الحسن والحسين رضى الله عنهما الخلافة الخاصة والامارة العامة فى الممالك
الوف يعسر عدهم الى ان انتهى امر السلطنة والخلافة الى السلاطين العظام
والخلفاء الفخام آل عثمان الكرام وقد ذكر بعض مؤرخى الدولة العلية اتصال
نسبهم ببيت النبوة وهكذا تتصل الخلافة الاسلامية فيهم الى آخر الدهر كما
ذكره جماعة من العلماء واهل الكشف ولم تزل الامارة فى مكة المشرفة
وغيرها موجودة الى الان فى آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم تحت ناظر
صاحب الخلافة العظمى ورعايته وبأمره وعنايته

واما كون اسمه مذكورا جيلاً فجيلاً وكونه ممدوحا عند الشعوب
الى آخر العبارة فهذا يكفى فى الدليل على صحته لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
المشاهدة والتلقى جيلا بعد جيل ولم تزل ولا تزال الوف الوف قرنا فقرنا
ينادون فى اوقات الصلوات الخمس بصوت عال فى اقاليم مختلفة (اشهد ان لا
آله الله واشهد ان محمدا رسول الله) والمدرسون يدرسون حديثه الشريف
والقراء يقرأون كتاب الله المنزل عليه والمفسرون يفسرون كلماته والوعاظ
يبلغون وعظه والعلماء يعلمون الناس سنته وشريعته والملوك يؤيدون دينه
ولقيامهم بخدمته صلى الله عليه وسلم منهم من يصل الى لثم اعتابه بنفسه ومنهم
من يرسل نائبا عنه فى كل سنة كما هو عادة سلاطيننا العظام آل عثمان الفخام

فان السلطان الاعظم فى كل سنة يرسل مع المحمل الشريف نائباً عنه بقصد آداء الحج واداء السلام ومواجب الاجلال والاعظام للحضرة النبوية والوقوف ببابها والتبرك بالروضة الشريفة والدعاء فيها الى غير ذلك من المقاصد السنية مما يطول ذكره ولا يسبر غوره فاذا علمت ما ذكرناه تبين لك ان ما ذكر فى هذا الزبور لا يصدق الا عليه ولا يثبت الا فى حقه صلى الله عليه وسلم

فصل

﴿ فى البشارة السابعة ﴾

فى الزبور التاسع والاربعين بعد المائة كما نقلها صاحب اظهار الحق ونصها {١} سبحوا الرب تسبيحاً جيداً سبحوه فى مجمع الابرار {٢} فليفرح اسرائيل بخالقه وبنو صهيون يبتهجون بملكهم {٣} فليسبحوا اسمه بالمصاف والطبل والمزمار يرتلون له {٤} لان الرب يسر شعبه ويشرف المتواضعين بالخلاص {٥} تفتخر الابرار بالمجد ويبتهجون على مضاجعهم {٦} ترفيع الله فى حلوقهم وسيوف ذات فمين فى ايديهم {٧} ليصنعوا انتقاما فى الامم وتوبيخا فى الشعوب {٨} ليقيدوا ملوكهم بالقيود واشرافهم باغلال من حديد ليضعوا بهم حكما مكتوما {٩} هذا المجد يكون لجميع الابرار

وفى النسخة المطبوعة عند البروتستانت سنة ١٨٩١ هكذا {١} هللويا غنوا ترنيمة جديدة تسبيحة فى جماعة الاتقياء {٢} ليفرح اسرائيل بخالقه ليبتهج بنو صهيون بملكهم {٣} يسبحوا اسمه برقص بدف وعود ليترنموا له {٤} لان الرب راض عن شعبه يجمل الودعاء بالخلاص {٥} ليبتهج الاتقياء بمجد ليرنموا على مضاجعهم {٦} تنويهات الله فى افواههم وسيف ذو حدين فى يدهم {٧} ليصنعوا نعمة فى الامم وتأديبات فى الشعوب {٨} لاسر ملوكهم بقيود

وشرفائهم بكبول من حديد ﴿٩﴾ ليجروا بهم الحكم المكتوب كرامة هذا لجميع اتقيائه هللويا

وفى النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٧٦ عند اليسوعيين الطبعة الثالثة فى المزمور التاسع والاربعين بعد المائة ﴿١﴾ هللويا رنموا الرب ترنيماً جديدا اقيموا تسبيحة فى مجمع الاصفياء ﴿٢﴾ ليفرح اسرائيل لصانعه ليبتهج بنو صهيون بملكهم ﴿٣﴾ يسبحوا اسمه بالرقص لينشدوا له بالدف والكنارة ﴿٤﴾ فان الرب يرضى من شعبه يجمل الودعاء بخلاصته ﴿٥﴾ يبتهج الاصفياء فى المجد يرنمون على اسرتهم ﴿٦﴾ تعظيم الله فى افواههم وبايديهم سيف ذو حدين ﴿٧﴾ لاجراء الانتقام على الامم والتأديب على الشعوب ﴿٨﴾ لايثاق الملوك بالقيود وشرفائهم بكبول من حديد ﴿٩﴾ ليمضوا عليهم القضاء المكتوب هذا فخر يكون لجميع اصفيائه هللويا

لا يخفى ما فى هذه النسخ الثلاثة من التباين والتخالف فى كثير من الفاظ هذه البشارة ونحن نشرح المقصود على حسب النسخ اجمالاً فنقول وملخص ما قد عبر فى هذا الزبور عن المبشر به بالملك وعن مطيعيه بالابرار وذكر من اوصافهم افتخارهم للشعوب واسرهم الملوك والاشراف وقيدهم بالقيود والاغلال من حديد فجميع هذه الاوصاف المذكورة فى هذا الزبور تصدق على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى اصحابه رضى الله عنهم فيتضح للمنصف مما قلناه ان هذه البشارة ليس المراد بها سليمان عليه السلام لانه لم تتسع مملكته على مملكة ابيه على زعم اهل الكتاب ولانه على زعمهم وبهتانهم ارتد وصار عابدا للاصنام فى آخر عمره فتفسير هذه البشارة بالاشارة الى سليمان عليه السلام ينافى اعتقادهم الفاسد فيه ولا تصدق هذه الاوصاف

ايضاً على عيسى عليه السلام فانه يبعد بمراحل عنها وكيف وقد أُسر على زعمهم وصُلب وكذا اسر اكثر حواريه وقيدوا بالقيود وغلوا بالاغلال ثم قتلوا بايدى الملوك الكفار كما هو مذكور فى كتبهم وبناء على ذلك فلا تصدق عليه الاوصاف المذكورة ولا على سليمان عليه السلام ولا على غيرهما ايضا من انبياء بنى اسرائيل فتأمل

فصل

﴿ فى البشارة الثامنة ﴾

فى الباب الثانى والاربعين من كتاب اشعياء كما نقلها صاحب اظهار الحق ونصها ﴿٩﴾ وانا مخبر ايضا بالاحداث قبل ان تحدث واسمعكم اياها ﴿١٠﴾ سبحوا للرب تسبيحة جديدة احمدوه من اقاصى الارض راكبين فى البحر وملأه والجزائر وسكانهن ﴿١١﴾ ترتفع البرية ومدنها فى البيوت بجبل قيدار سبحوا ياسكان الكهف من رؤس الجبال يصيحون ﴿١٢﴾ يجعلون للرب كرامة وحمده يخبرون به فى الجزائر ﴿١٣﴾ الرب كجبار يخرج مثل رجل مقاتل يهوش اى يثير الغيرة يصوت ويصيح على اعدائه بتقوى ﴿١٤﴾ سكت سكتت صمت دهراً صبرت صبرا فاتكلم مثل الطالقة ابدد وابلع معا ﴿١٥﴾ اخرب الجبال والاكام وكل بناتهن اجفف واجعل الانهار جزائر والبحيرات اجففهن ﴿١٦﴾ واقود العمى فى طريق لم يعرفوها ولم يعلموها اسيرهم فيها اصير امامهم الظلمة نورا والعقبة سهلا هذا الكلام صنعته لهم ولم اخذلهم ﴿١٧﴾ ارتدوا الى ورائهم والمتوكلون على المنحوتة القائلون للمسبوكة انكم آلهتنا ليخزون خزيا

وفى النسخة العربية المطبوعة عند البروتستانت فى بيروت سنة ١٨٩١

هكذا ﴿٨﴾ انا الرب هذا اسمى ومجدى لا اعطيه لآخر ولا تسبيحى
للمنحوتات ﴿٩﴾ هوذا الاوليات قد اتت والحديثات انا مخبر بها قبل ان تنبت
اعلمكم بها ﴿١٠﴾ غنوا للرب اغنية جديدة تسبيحة من اقصى الارض بها
المنحدرون فى البحر وملئه والجزائر وسكانها ﴿١١﴾ لتدفع البرية ومدنها صوتها
الديار التى سكنها قيدار لتترنم سكان سالع من رؤس الجبال ليهتفوا ﴿١٢﴾
ليعطوا الرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر ﴿١٣﴾ الرب كالجبار يخرج كرجل
حروب ينهض غيرته يهتف ويصرخ ويقوى على اعدائه ﴿١٤﴾ قد صمت
منذ الدهر سكت تجلدت كالوالدة اصيح وانخر معا ﴿١٥﴾ اخرب الجبال
والآكام واجفف كل عيشها واجعل الانهار يبسا وانشف الآجام ﴿١٦﴾ واسير
العمى فى طريق لم يعرفوها فى مسالك لم يدروها امشيهم اجعل الظلمة امامهم
نورا والمعوجات مستقيمة هذه الامور افعلها ولا اتركها ﴿١٧﴾ قد ارتدوا
الى الوراء اخزو خزيا المتكلون على المنحوتة القائلون للمسبوكات انتن آلهتنا

وفى النسخة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٧١ عند اليسوعيين الطبعة
الثالثة ﴿٩﴾ الاوائل قد اتت فانا اخبركم بالمحدثات واسمعكم بها قبل ان تنبت
﴿١٠﴾ انشدوا للرب نشيدا جديدا تسبيحة له من اقاصى الارض ياهابطى
البحر ويا ملأه ويا ايتها الجزائر وسكانها ﴿١١﴾ لتشد البرية ومدنها والحظائر
التى يسكنها قيدار وليرنم سكان الصخرة وليهتفوا من رؤس الجبال ﴿١٢﴾
ليؤدوا الله ويخبروا بحمده فى الجزائر ﴿١٣﴾ الرب كجبار يبرز وكرجل قتال
يثير غيرته ويهتف ويصرخ ويظفر على اعدائه ﴿١٤﴾ طالما سكت وصمت
وظبطت نفسى فالان اصيح كالتى تلد وانفتح وازفر ﴿١٥﴾ اخرب الجبال
والتلال وايبس كل عيشها واجعل الانهار يبسا واجفف الغدران ﴿١٦﴾ واسير

العمى فى طريق لم يعرفوه واسلكهم مسالك لم يعهدوه واجعل الظلمة نورا امامهم والمتأودات مستقيمة هذه الامور سأصنعها ولا اخذلهم {١٧} قد ارتد الى الوراء المتوكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات انتن آلهتنا وخزو خزيا

هذه البشارة كالبشارات السابقة واللاحقة قد تصرف فيها مترجموها كيف شاؤا وعلى حسب ما قصدوا ونحن نلخص هنا ما ذكره علماؤنا فى تفسيرها على وجه الاجمال . التسبيحة الجديدة عبارة عن العبادة على المنهج الجديد والمقرر فى الشريعة المحمدية وتعميم وجوب ادائها على سكان اقاصى الارض واهل الجزائر واهل المدن والبرارى ففيما ذكر اشارة الى عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وذكر قيدار اقوى اشارة اليه صلى الله عليه وسلم لانه من نسل قيدار بن اسماعيل عليه السلام باتفاق من رفع نسبه الشريف الى اسماعيل لاجماع مؤرخى العرب ونسابهم على ان مضر وربيعة من نسل قيدار بن اسماعيل ومن المعلوم ان قريشا من مضر وان بنى هاشم من قريش وان محمدا صلى الله عليه وسلم من بنى هاشم كما تقدم تقريره عند ذكر النسب الشريف

وقوله من رؤس الجبال يصيحون اشارة الى عبادة الحج التى تؤدى فى ايام الحج فى كل سنة مرة واحدة يجتمع لها الوف الوف من الناس يصيحون لبيك لبيك الخ وقوله بحمده يخبرون فى الجزائر اشارة الى الاذان يذكره ويخبر به الوف الوف من اقطار العالم فى الاوقات الخمسة بالجهر وقوله كجبار يخرج مثل رجل مقاتل يهوش اى يثير الغيرة اشار به الى مضمون الجهاد اشارة حسنة الى جهاده وجهاد تابعيه يكون لله تعالى وبأمره خاليا عن حظوظ الهوى

والنفس ولذلك عبر الله تعالى عن خروج هذا النبي وخروج تابعيه بخروجه هو تعالى وفى هذا غاية التشريف لمحمد صلى الله عليه وسلم وامته وبين فى الآية الرابعة عشر سبب مشروعية الجهاد واشار فى الآية السادسة عشر الى حال العرب لانهم كانوا غير واقفين على احكام الله تعالى بل كانوا يعبدون الاصنام وكانوا مبتلين بالعوائد القبيحة كما قال الله تعالى فى حقهم (وإن كانُوا مِنْ قَبلُ لَفِى ضَلالٍ مُبِين) قوله ولا اخذلهم اشارة الى كون امة هذا النبي الكريم مرحومة فليسوا من المغضوب عليهم ولا من الضالين

وفيه اشارة ايضا الى تأييد شريعته وقوله المتوكلون على المنحوتة القائلون للمسبوكة انكم آلهتنا ليخزون خزيا فوعد الله تعالى بان عبدة الاوثان وعبدة صور القسيسين يحصل لهم الخزى والهزيمة التامة ثم وفىّ تعالى بما وعد فان مشركى العرب وقياصرة الروم واكاسرة الفرس جمعوا حولهم وقوتهم وبذلوا وسعهم فى اطفاء النور المحمدى فما حصلوا على طائل وابى الله الا ان يتممه وكانت عاقبة امر اولئك انهم اهلكوا ولم يبق أثر للشرك فى بلاد العرب ولا لدولة الاكاسرة فى العالم كله ولا لحكومة الرومان فى اقليم الشام وما اليه كالاناضولى وقسم عظيم من الروم ايلى وغيرهما من البلاد الشمالية وانتشر التوحيد واهله شرقا وغربا وتم امر الله على ما وعد به وهو لا يخلف الميعاد ولا معقب لحكمه سبحانه ولا رادّ لقضائه

فصل

﴿ فى البشارة التاسعة ﴾

فى الباب الرابع والخمسين من كتاب اشعيا كما نقلها صاحب اظهار الحق ونصها (١) سبحى ايتها العاقر التى لست تلدين انشدى بالحمد وهللى التى لم تلدى

من اجل ان الكثير من بنى الوحشة افضل من بنى ذات رجل يقول الرب
﴿٢﴾ اوسعى موضع خيمتك وسرادق مضاربك ابسطى لا تشفق طولى
حبالك ثبتى اوتادك ﴿٣﴾ لانك تنفذين يمنة ويسرة وزرعك يرث الامم ويعمر
المدن الخربة لا تخافى لانك لا تخذين ولا تخجلين فانك لا تستحين من اجل
انك خزى صبائك تنسين وعار ترملك لا تذكرين ايضا ﴿٥﴾ فانه متولى عليك
الذى صنعك رب الجنود اسمه وفاديك قدوس اسرائيل آله جميع الارض
يدعى ﴿٦﴾ انما الرب دعاك مثل المرأة المطلقة والحزينة الروح وزوجة منذ
الصبا مرذولة قال آلهك ﴿٧﴾ ساعة قليلة تركتك وبرحمات عظيمة اجمعك
﴿٨﴾ فى ساعة الغضب اخفيت قليلا وجهى عنك وبالرحمة الابدية رحمتك قال
فاديك الرب ﴿٩﴾ مثلما فى ايام نوح لى هذا الذى حلفت له ان لا اصب مياه
نوح على الارض هكذا حلفت ان لا اغضب عليك وان لا اوبخك ﴿١٠﴾
فان الجبال ترجف والتلال تتزلزل ورحمتى لا تزول عنك وعهد سلامى لا
يتحرك قال رحيمك الرب ﴿١١﴾ فقيرة مستأصلة بعاصف بلا تعزية ها انا ذا
ابلط بالرتبة حجارتك واؤسسك بالسفير ﴿١٢﴾ واجعل يسبا محاضك وابوابك
حجارة منقوشة وجميع حدودك لاحجار مشتهية ﴿١٣﴾ جميع بنيك متعلمين من
الرب وكثرة السلام لبنيك ﴿١٤﴾ وبالبر تؤسسين فابتعدى من الظلم لانك
لا تخافين ومن الهيبة لانها لا تقرب منك ﴿١٥﴾ ها يأتى الجار الذى لم يكن
معى والذى قد كان قريبا يقترب اليك ﴿١٦﴾ ها انا اذا خلقت الصائغ الذى
ينفخ فى النار جمرا ويخرج اناء لعمله وانا خلقت قتولا للاهلاك ﴿١٧﴾ كل
اناء مجبول ضدك لا ينجح وكل لسان يخالفك فى القضاء تحكمين عليه هذا
هو ميراث عبيد الرب وعدلهم عندى يقول الرب

وفى الترجمة العربية المطبوعة فى بيروت عند البروتستانت فى سنة ١٨٩١ فى الاصحاح الرابع والخمسين هكذا ﴿١﴾ ترنمى ايتها العاقر التى لم تلد اشيدى بالترنم ايتها التى لم تمخض لان بنى المستوحشة اكثر من بنى ذات البعل قال الرب ﴿٢﴾ اوسعى مكان خيمتك ولتبسط شقق مساكنك لا تُمسكى اطيلى اطنابك وشددى اوتادك ﴿٣﴾ لانك تمتدين الى اليمين والى اليسار ويرث نسلك امما ويعمر مدنا خربة ﴿٤﴾ لا تخافى لانك لا تخزين ولا تخجلى لانك لا تستحين فانك تنسين خزى صباك وعار ترملك لا تذكرينه بعد ﴿٥﴾ لان بعلك هو صانعك رب الجنود اسمه ووليك قدوس اسرائيل اله كل الارض يدعى ﴿٦﴾ لانك كامرأة مهجورة ومحزونة الروح دعاك الرب وكزوجة الصبا اذا رُذلت قال الهك ﴿٧﴾ لحيظة تركتك وبمراحم عظيمة ساجمعك ﴿٨﴾ بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة وباحسان ابدى ارحمك قال وليك الرب ﴿٩﴾ لانه كمياه نوح هذه لى كما حلفت ان لا تعبر بعد مياه نوح على الارض هكذا حلفت ان لا اغضب عليك ولا ازجرك ﴿١٠﴾ فان الجبال تزول والاكام تتزعزع اما احسانى فلا يزول عنك وعهد سلامى لا يتزعزع قال راحمك الرب ﴿١١﴾ ايتها الذليلة المضطربة غير المتعزية ها انا ذا ابنى بالاثمد حجارتك وبالياقوت الازرق أؤسسك ﴿١٢﴾ واجعل شرفك ياقوتا وابوابك حجارة بهرمانية وكل تخومك حجارة كريمة ﴿١٣﴾ وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيرا ﴿١٤﴾ وبالبر تثبتين بعيدة عن الظلم فلا تخافين وعن الارتعاب فلا يدنو منك ﴿١٥﴾ ها انهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندى من اجتمع عليك فاليك يسقط ﴿١٦﴾ ها انا ذا قد خلقت الحداد الذى ينفخ الفحم فى النار ويخرج آلة لعمله وانا خلقت المهلك ليخرب ﴿١٧﴾ كل آلة صورت

ضدك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه هذا هو ميراث عبيد الرب وبرّهم من عندى يقول الرب

وفى النسخة العربيـة المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٧٦ عند اليسوعيين الطبعة الثالثة هكذا {١} رنمى ايتها العاقر التى لم تلد اندفعى بالترنيم واصرخى ايتها التى لم تمخض فان بنى المستوحشة اكثر من بنى ذات البعل قال الرب {٢} وسعى موضع خبائك ولتبسطى شقق مساكنك لا تمسكى طولى اطنابك وثبتى اوتادك {٣} فانك تنبسطين الى اليمين والى الشمال ويرث نسلك الامم ويعمرون المدن الخربة {٤} لا تخافى فانك لا تخزين ولا تخجلى فانك لا تفتضحين لانك ستنسين خزى صبائك ولا تذكرين عار ارمالك من بعد {٥} لان بعلك هو صانعك الذى رب الجنود اسمه وفاديك هو قدوس اسرائيل الذى يدعى اله الارض كلها {٦} وقد دعاك الرب كامرأة مهجورة مكروبة الروح وكزوجة الصباء اذا استرذلت قال الرب {٧} هنيهة هجرتك وبمراحم عظيمة اضمك {٨} فى سورة غضب حجبت وجهى عنك لحظة وبرأفة ابدية ارحمك قال فاديك الرب {٩} فلذلك يكون لدى كايام نوح اذا اقسمت ان لا تعبر مياه نوح على الارض فيما بعد وكذلك اقسمت ان لا اغضب عليك ولا انتهرك {١٠} ان الجبال تزول والتلال تتزعزع اما رافتى فلا تزول عنك وعهد سلامى لا يتزعزع قال راحمك الرب {١١} ايتها البائسة المقلقة الغير المتعزية ها انا ذا ارصص بالاثمد حجارتك وأؤسسك باللازورد {١٢} واجعل شرفك ياقوتا وابوابك حجارة بهرمان وجميع حدودك حجارة انيقة {١٣} وكل بنيك يكونون تلامذة الرب وسلام بنيك يكون عظيما {١٤} تثبتين فى البر وتبعدين عن الجور فانك لا تخافين وعن الهول فانه لا يدنو

منك ﴿١٥﴾ ها انهم يجتمعون اجتماعا لا من عندى فمن اجتمع عليك ينحاز اليك ﴿١٦﴾ ها انى انا خلقت الحداد الذى ينفخ الجمر فى النار ويخرج اداة لعمله وانا خلقت المفسد للتدمير ﴿١٧﴾ كل اداة انشئت عليك لا تنجح وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تدينه مؤثما هذا ميراث عبيد الرب وبرهم منى يقول الرب

المراد بالعاقر مكة المعظمة لانها لم يظهر منها نبى بعد اسماعيل عليه السلام ولم ينزل فيها وحىٌ بخلاف اورشليم وهى بيت المقدس فانها قد ظهر فيها الانبياء الكثيرون وكثر فيها نزول الوحى وبنو الوحشة هم اولاد هاجر لانها كانت بمنزلة المطلقة المخرجة عن البيت ساكنة فى البرية ولذلك وقع فى حق اسماعيل فى وعد الله هاجر ويكون رجلا وحشياً كما هو مصرح به فى الباب السادس عشر من سفر التكوين وبنو ذات رجل عبارة عن اولاد سارة فخاطب الله مكة آمراً لها بالتسبيح والتهليل وانشاء الشكر والترنم به لظهور فضيلتها على غيرها وقد وفىّ تعالى بما وعد فبعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم رسولا افضل البشر وخاتم النبيين من اهلها من اولاد هاجر وهو المراد بالصائغ الذى ينفخ فى النار جمرا وهو القتول الذى خلق لاهلاك المشركين عبدة الاوثان وحصل لمكة السعة والتبسط بواسطة هذا النبى الكريم ولم يحصل ذلك لغيرها من المعابد فى الدنيا اذ لا يوجد فى الدنيا معبد مثل الكعبة من وقت ظهور محمد صلى الله عليه وسلم الى وقتنا هذا والتعظيم الذى يحصل لها من القرابين فى كل سنة من مدة الف وثلاثمائة سنة وعشرين سنة لم يحصل لبيت المقدس الا مرتين مرة فى عهد سليمان عليه السلام لما فرغ من بنائه ومرة فى السنة الثامنة عشر من سلطنة يوشيا ويبقى هذا التعظيم لمكة المكرمة الى آخر الدهر كما وعد تعالى بقوله لا تخافى فانك لا تخزين ولا

تخجلين لانك لا تستحين وبقوله برحمات عظيمة اجمعك وبالرحمة الابدية رحمتك وبقوله حلفت ان لا اغضب عليك وان لا اوبخك وبقوله رحمتى لا تزول عنك وعهد سلامى لا يتحرك ولا يتزعزع وزرعها قد ملك شرقا وغربا وورثوا الامم وعمروا المدن فى مدة قليلة فعمروا البصرة والكوفة وبغداد واستبحر العمران فى المدينة المنورة وفى دمشق وغيرها من الامصار وابتزوا الملك من الفرس ومن ملوك اليمن والبحرين ومن قياصرة الرومان فى بلاد الشام ومن ملوك مصر وافريقيا وغيرها الى غير ذلك مما يطول ذكره ومثل هذا التقدم والنجاح وآثار التأييد الالهى فى مدة قليلة لم يسمع بمثله من عهد آدم عليه السلام الى زمن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لا سيما لمن دعا الناس الى دين جديد وهذا مفاد قوله وزرعك يرث الامم ويعمر المدن الخربة ولم يزل سلاطين الاسلام سلفا وخلفا يجتهدون اجتهادا تاماً فى عمارة الكعبة المشرفة والمسجد الحرام وتزينهما وتمهيد السبل اليهما واتخاذ ما يرتفق به من يؤمها ومن مدة مديدة بل قرون عديدة تعلقت هذه الخدمة الشريفة بالسلاطين العظام والخواقين الفخام من آل عثمان خلد الله سلطنتهم وأيد بالشوكة والسطوة والاقبال خلافتهم فقاموا بها احسن قيام واظهروا فيها من آثار عنايتهم الملوكية ما يذكر مدى الايام لا سيما حضرة مولانا امير المؤمنين السلطان الغازى عبد الحميد خان نصره الله واطال خلافته ونشر فى الخافقين رايته فانه اتى بما لم يأتِ به سواه من الخلفاء العظام والسلاطين الفخام فاوصل الاسلاك البرقية الى مكة المكرمة والمدينة المنورة وفى هذه الايام جعلها مزدوجة لزيادة المواصلات لا سيما ايام ازدحام الحج واقبال الناس اليه من كل فج ومعلوم ان ارادته السنية صدرت بمد السكة الحجازية من الشام الى

الحرمين الشريفين والشغل جار بهمة عظيمة فلا تمض عدة سنين حتى ينجز الخط تماما وهو عبارة عن ١٩٩٩ كيلومترا نسأله تعالى ان يجعل عمل جلالته مقبولا لديه مقرونا بالتوفيق والنجاح ويكفى فى تعظيم سلاطين آل عثمان الكرام للحرمين الشريفين والافتخار بخدمتهما انهم جعلوا لقب خادم الحرمين الشريفين لهم اشرف الالقاب واعزها

ومن شدة تعلق المسلمين بالكعبة المقدسة انهم يحبون المجاورة فى مكة المشرفة ويفضلونها على اوطانهم ومساقط رؤسهم وذلك من زمن ظهور الاسلام الى الان لا سيما فى هذا العصر وفى كل سنة يقصدها من المسلمين الوف الوف من اقاليم مختلفة واقفار بعيدة لاداء ما افترضه الله عليهم من حجها وقصدها تنويهاً بقدرها واظهارا لعظيم شأنها وذلك لاشتمالها على مشاهد الخيرات ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف سيد المرسلين ومنشأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها واول ارض مس جلد المصطفى ترابها

وقد وفى تعالى بوعده فى قوله كل اناء مجبول بضدك لا ينجح فكل من قام من المخالفين بضدها اذله الله كما وقع لاصحاب الفيل وغيرهم وبحسب هذا الوعد لا يدخلها الدجال بل يرجع عنها خائبا مطرودا كما ورد فى الاحاديث الصحيحة

واما ما يعرض فيها من الامراض فلا ينافى ما ذكرناه لانها امراض عادية واوباء عمومية لا تخلو منها مواطن البشر ولا يقع ذلك الا عند اختلاط الحجاج وشدة ازدحامهم واتصال بعضهم ببعض الى غير ذلك من الاسباب العادية وفى بعض السنين يشتد فيها المرض المعروف بالهواء الاصفر المنقول

اليها من الهند وما اليها من البلاد المعروفة به ياتيها مع من يقصدها من الحجاج ومع شدته فيها فى بعض السنين لا يؤثر ذلك فى المسلمين ولا يثربهم ولا يمنعهم من قصدها بل يزداد عددهم فى السنة التى تلى السنة التى يقع فيها زيادة كثيرة وبالجملة فلا يرد المسلمين عن قصدها راد ولا يصدهم عن أداء فريضة الحج صاد وهذا مشاهد ظاهر للعيان وليس بعد العيان بيان

فصل

﴿ فى البشارة العاشرة ﴾

فى الباب الخامس والستين من كتاب اشعيا هكذا ﴿١﴾ طلبنى الذين لم يسألونى قبل ووجدنى الذين لم يطلبونى قلت ها انا ذا الى الامة الذين لم يدعوا باسمى ﴿٢﴾ بسطت يدى طول النهار الى شعب غير مؤمن الذى يسلك فى طريق غير صالح وراء افكارهم ﴿٣﴾ الشعب الذى يغضبنى امام وجهى دائما الذين يذبحون فى البساتين ويذبحون على اللّبن ﴿٤﴾ الذين يسكنون فى القبور وفى مساجد الاوثان يرقدون الذين يأكلون لحم الخنزير والمرق النجس فى آنيتهم ﴿٥﴾ الذين يقولون ابعد عنى لا تقرب منى لانك نجس هؤلاء يكونون دخانا فى رجزى نارا متقدة طول النهار ﴿٦﴾ ها مكتوب قدامى لا اسكت بل ارد واكافى جزاء فى حضنهم هذا نص البشارة العاشرة فى النسخة القديمة كما نقلها صاحب اظهار الحق

وفى النسخة المطبوعة عند البروتستانت سنة ١٨٩١ هكذا ﴿١﴾ اصغيت الى الذين لم يسألوا وُجدتُ من الذين لم يطلبونى قلت ها انا ذا ها انا ذا لامة لم تسم باسمى ﴿٢﴾ بسطت يدىّ طول النهار الى شعب متمرد سائر فى طريق غير صالح وراء افكاره ﴿٣﴾ شعبا يغيظنى بوجهى دائماً يذبح فى الجنّات

وينحر على الآجر يجلس فى القبور ويبيت فى المدافن ياكل لحم الخنزير وفى آنيته مرق لحم نجسة ﴿٥﴾ يقول قف عندك لا تدن منى لانى اقدس منك هؤلاء دخان فى انفى نار متقدة كل النهار ﴿٦﴾ ها قد كتب امامى لا اسكت بل اجازى فى حضنهم

وفى النسخة العربية المطبوعة فى بيروت عند اليسوعيين سنة ١٨٧٦ الطبعة الثالثة ﴿١﴾ انى اعتلنت لمن لم يسألوا عنى ووجدت ممن لم يطلبونى قلت ها انا ذا ها انا ذا لامة لم تدع باسمى ﴿٢﴾ بسطت يدى النهار كله نحو شعب عاص يسلكون طريقا غير صالح وراء افكارهم ﴿٣﴾ شعب يغضبوننى فى وجهى كل حين يذبحون فى الجنان ويقترون على الآجر ﴿٤﴾ يجلسون فى القبور ويبيتون فى المدافن ياكلون لحم الخنزير وفى آنيتهم مرق ادجاس ﴿٥﴾ يقولون قف عندك لا تدن منى فانى اقدس منك اولئك دخان فى انفى نار متقدة كل النهار ﴿٦﴾ هوذا كتب امامى انى لا اصمت بل اجازى اجعل جزائى فى احضانهم

المراد فى قوله الذين لم يسألونى والذين لم يطلبونى العرب لانهم كانوا غير واقفين على معرفة الله ومعرفة صفاته ولا عالمين بشرائعه فما كانوا سائلين عن الله وطالبين اياه كما قال تعالى فى سورة آل عمران (لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَى المُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) ولا يجوز ان يراد بهم اليونانيون كما عرفت فى البشارة الثانية والوصف المذكور فى الآية الثانية والثالثة يصدق على كل واحد من اليهود والنصارى والاوصاف المذكورة فى الآية الرابعة الصق بحال النصارى كما ان الوصف المذكور فى

الخامسة الصق بحال اليهود فردهم البارى تعالى واختار الامة المحمدية

فصل

﴿ فى البشارة الحادية عشرة ﴾

فى الباب الثانى من كتاب دانيال فى حال الرؤيا التى رآها بختنصر ملك بابل ثم بين دانيال عليه السلام بحسب الوحى تلك الرؤيا وتفسيرها وهى فى النسخ القديمة كما نقلها صاحب اظهار الحق هكذا {٣١} فكنت انت الملك ترى واذ تمثال واحد جسيم وكان التمثال عظيما ورفيع القامة واقفا قبالك ومنظره مخوفا {٣٢} رأس هذا التمثال هو من ذهب ابريز والصدر والذراعان من فضة والبطن والفخذان من نحاس {٣٣} والساقان من حديد والقدمان قسم منهما من حديد وقسم منهما من خزف {٣٤} فكنت ترى هكذا حتى انقطع حجر من جبل لا بيدين وضرب التمثال فى قدميه من حديد ومن خزف فسحقهما {٣٥} فانسحق حينئذ معا الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب وصارت كغبار البيدر فى الصيف فذرتها الريح ولم يوجد لها مكان والحجر الذى قد ضرب التمثال صار جبلاً عظيما واملأ الارض باسرها {٣٦} فهذا هو الحلم ونبىء ايضا قدامك يا ايها الملك بتفسيره {٣٧} انت هو ملك الملوك واله السماء اعطاك الملك والقوة والسلطان والمجد {٣٨} وجميع ما يسكن فيه بنو الناس ووحوش الحقل واعطى بيدك طير السماء ايضا وجعل جميع الاشياء تحت سلطانك فانت هو الرأس من الذهب {٣٩} وبعدك تقوم مملكة اخرى اصغر منك من فضة ومملكة ثالثة اخرى من نحاس وتتسلط على جميع الارض {٤٠} والمملكة الرابعة تكون مثل الحديد كما ان الحديد يسحق ويغلب الجميع هكذا هى تسحق وتكسر جميع هذه {٤١} اما فبما رايت قسم القدمين

واصابعهما من الخزف الفاخورى وقسما من حديد تكون المملكة مفترقة وان كان يخرج من نصبة الحديد حسبما رأيت الحديد مختلطا بالخزف من طين ﴿ ٤٢ ﴾ واصابع القدمين قسم من حديد وقسم من خزف فتكون المملكة بقسم صلبة وبقسم مسحوقة ﴿ ٤٣ ﴾ فيما رأيت الحديد مختلطا بالخزف من طين انهم يختلطون بزرع بشرى بل لا يتلاصقون مثل ما ليس بممكن ان يمتزج الحديد بالخزف ﴿ ٤٤ ﴾ فاما فى ايام تلك المملكة يبعث اله السماء مملكة وهى لن تنقضى قط ملكها لا يعطى لشعب اخر وهى تسحق وتفنى جميع هذه الممالك اجمعين وهى تثبت الى الابد ﴿ ٤٥ ﴾ وكما رأيت ان من جبل انقطع حجر لا بيدين وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب فالاله العظيم اظهر للملك ما سيأتى من بعد والحلم هو حقيق وتفسيره صحيح

وفى النسخة المطبوعة عند البروتستانت فى سنة ١٨٩١ فى الاصحاح الثانى من كتاب دانيال ﴿ ٣١ ﴾ انت ايها الملك كنت تنظر واذا بتمثال عظيم هذا التمثال العظيم البهى جدا وقف قبالك ومنظره هائل ﴿ ٣٢ ﴾ رأس هذا التمثال من ذهب جيد صدره وذراعاه من فضة بطنه وفخذاه من نحاس ﴿ ٣٣ ﴾ ساقاه من حديد قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف ﴿ ٣٤ ﴾ كنت تنظر الى ان قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما ﴿ ٣٥ ﴾ فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معاً وصارت كعصافة البيدر فى الصيف فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. اما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملأ الارض كلها ﴿ ٣٦ ﴾ هذا هو الحلم فنخبر بتعبيره قدام الملك ﴿ ٣٧ ﴾ انت ايها الملك ملك ملوك لان اله السماوات اعطاك مملكة واقتدارا وسلطانا وفخرا ﴿ ٣٨ ﴾

وحيثما يسكن بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء دفعها ليدك وسلطك عليها جميعها. فانت هذا الرأس من ذهب ﴿ ٣٩ ﴾ وبعدك تقوم مملكة اخرى اصغر منك ومملكة ثالثة اخرى من نحاس فتتسلط على كل الارض ﴿ ٤٠ ﴾ وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد لان الحديد يدق ويسحق كل شيء وكالحديد الذى يكسر تسحق وتكسر كل هؤلاء ﴿ ٤١ ﴾ وبما رأيت القدمين والاصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث انك رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين ﴿ ٤٢ ﴾ واصابع القدمين بعضها من حديد والبعض من خزف فبعض المملكة يكون قويا صلبا والبعض قصيفا ﴿ ٤٣ ﴾ وبما رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين فانهم يختلطون بنسل الناس ولكن لا يتلاصق هذا بذاك لان الحديد لا يختلط بالخزف ﴿ ٤٤ ﴾ وفى ايام هؤلاء الملوك يقيم اله السماوات مملكة لن تنقرض ابدا وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك وهى تثبت الى الابد ﴿ ٤٥ ﴾ لانك رأيت قد قطع حجر من جبل لا بيدين فسحق الحديد والنحاس والفضة والذهب معاً . الله العظيم قد عرّف الملك ما سيأتى بعد هذا الحلم وتعبيره يقين

وفى النسخة المطبوعة عند اليسوعيين فى بيروت سنة ١٨٧٦ الطبعة الثالثة فى الفصل الثانى من نبوة دانيال ﴿ ٣١ ﴾ انك ايها الملك رأيت فاذا بتمثال عظيم كان هذا التمثال الكبير والكثير البهاء واقفا امامك وكان منظره هائلا ﴿ ٣٢ ﴾ وكان رأس التمثال من ذهب خالص وصدره وذراعاه من فضة وبطنه وفخذاه من نحاس ﴿ ٣٣ ﴾ وساقاه من حديد وقدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف ﴿ ٣٤ ﴾ وفيما انت راءٍ اذا انقطع حجر لا باليدين فضرب التمثال على قدميه

اللتين من حديد وخزف وسحقهما ﴿ ٣٥ ﴾ فانسحق الحديد والخزف والنحاس
والفضة والذهب معا وصارت كعفى البيدر فى الصيف فذهبت بها الريح ولم
يوجد لها مكان . اما الحجر الذى ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا قد ملأ الارض
كلها ﴿ ٣٦ ﴾ هذا هو الحلم . اما تعبيره فنخبر به امام الملك ﴿ ٣٧ ﴾ انت ايها الملك
ملك الملوك لان اله السماء آتاك الملك والقدرة والسلطان والمجد ﴿ ٣٨ ﴾ وكل
ما يسكنه بنو البشر و وحوش البر وطيور السماء جعله فى يدك وسلطك على جميعه
فانت الرأس الذى من ذهب ﴿ ٣٩ ﴾ وبعدك تقوم مملكة اخرى اصغر منك
ثم مملكة ثالثة اخرى من نحاس فتتسلط على جميع الارض ﴿ ٤٠ ﴾ ثم مملكة
رابعة تكون صلبة كالحديد لان الحديد يسحق ويطحن كل شيء فكما ان
الحديد يحطم كذلك هى تسحق وتحطم جميع تلك ﴿ ٤١ ﴾ وما رأيت من ان القدمين
والاصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد فهو ان المملكة تكون
منقسمة ويكون فيها من قوة الحديد فلذلك رأيت الحديد مختلطا بخزف من
الطين ﴿ ٤٢ ﴾ فكما ان اصابع القدمين بعضها من حديد وبعضها من خزف
فكذلك يكون بعض المملكة صلبا والبعض قصفا ﴿ ٤٣ ﴾ وما رأيت من ان
الحديد مختلط بخزف الطين فهو انهم يختلطون بذرارى من البشر ولكن لا
يلتحم هذا بذاك كما ان الحديد لا يختلط بالخزف ﴿ ٤٤ ﴾ وفى ايام هؤلاء الملوك
يقيم اله السماء مملكة لا تنقض الى الابد وملكه لا يترك لشعب آخر فتسحق
وتفنى جميع تلك الممالك وهى تثبت الى الابد ﴿ ٤٥ ﴾ اما ما رأيت من ان حجرا
انقطع من الجبل لا باليدين فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب
فهو ان الاله العظيم اعلم الملك ما سيكون بعد ذلك الحلم حق وتعبيره صدق
ملخص ما وقعت الاشارة اليه فى هذه البشارة هو ان المراد بالمملكة

الاولى سلطنة بختنصر وبالمملكة الثانية سلطنة المادئين الذين تسلطوا بعد قتل بلطشاصر بن بختنصر كما هو مصرح به فى الباب الخامس من الكتاب المذكور وسلطنتهم كانت ضعيفة بالنسبة الى سلطنة الكيانيين لان قورش ملك ايران اى ملك الفرس الذى هو فى زعم القسيسين كيخسرو تسلط على بابل قبل ميلاد المسيح بخمسمائة وست وثلاثين سنة ولما كان الكيانيون على السلطنة القاهرة لوحظوا كأنهم كانوا متسلطين على جميع الارض والمراد بالمملكة الرابعة سلطنة اسكندر بن فيلقوس الرومى الذى تسلط على ديار فارس قبل ميلاد المسيح بثلاثمائة وثلاثين سنة فهذا السلطان كان فى القوة بمنزلة الحديد ثم جعل هذا السلطان سلطنة فارس منقسمة على طوائف الملوك وبقيت هذه السلطنة ضعيفة الى ظهور الدولة الساسانية ثم صارت قوية بعد ظهورهم ثم كانت ضعيفة تارة وقوية اخرى وفى عهد انوشروان منهم ولد رسول الله (محمد صلى الله عليه وسلم) واعطاه الله السلطنة الظاهرة والباطنة واستولى متبعوه فى مدة قليلة على جميع بلاد فارس التى كانت هذه الرؤيا متعلقة بها ثم امتدت الملة المحمدية فى الشرق والغرب واقاصى المعمور وبلغت سطوتها الى حيث لم تبلغه سطوة امة من الامم كما هو معلوم فهذه هى السلطنة المشار اليها فى الرؤيا بانها ابدية لا تنقضى وملكها لا يعطى لشعب آخر والحجر الذى قطع بلا يدين من جبل وسحق الخزف والحديد والنحاس والفضة والذهب وصار جبلا عظيما وملأ الارض باسرها هو خلاصة العباد وانسان عين الوجود محمد صلى الله عليه وسلم وما ظهر للعيان لا يحتاج فى ثبوته الى برهان

فالحمد لله الذى جعل للدولة العلية العثمانية فى هذه السلطنة الابدية

والوراثة المحمدية حظا عظيما ونصيبا قويا وكتب لها الاستمرار فى ذلك حتما وهذا من النعم التى يتعين دوام شكرها ولا يزال المسلمون فى طيب ذكرها

﴿ فصل ﴾

﴿ فى البشارة الثانية عشرة ﴾

نقل يهوذا الحوارى فى رسالة الجبر الذى تكلم به اخنوخ الرسول اى ادريس الذى كان سابعا من آدم عليه السلام ومن عروجه الى ميلاد المسيح مدة ثلاثة آلاف سنة وسبع عشرة سنة على زعم مؤرخيهم ونحن ننقل عبارته من الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٤٤ ﴿١٥﴾ الرب قد جاء فى ربواته المقدسة ليدان الجميع ويبكت جميع المنافقين على كل اعمال نفاقهم التى نافقوا فيها وعلى كل الكلام الصعب الذى تكلم به ضد الله الخطأة المنافقون

وفى النسخة المطبوعة عند البروتستانت سنة ١٨٩١ هكذا هوذا قد جاء الرب فى ربوات قديسية ﴿١٥﴾ ليضع قوته على الجميع ويعاقب فجارهم على جميع اعمال فجورهم التى فجروا بها وعلى جميع الكلمات الصعبة التى تكلم بها عليه خطأة فجار

وفى النسخة المطبوعة عند اليسوعيين فى بيروت الطبعة الثالثة سنة ١٨٧٦ ﴿١٤﴾ وقد تنبأ على هؤلاء ايضا اخنوخ سابع آدم حيث قال هوذا يأتى الرب فى ربوات قديسية ﴿١٥﴾ ليجرى القضاء على جميعهم ويجمع جميع المنافقين منهم على اعمال نفاقهم التى نافقوا بها وعلى جميع الفظاظات التى نطق بها عليك اولئك الخطأة المنافقون

نقول استعمال لفظ الرب هنا بمعنى المخدوم وقد اطلق لفظ الرب والاله وامثالهما فى اكثر من خمسة وعشرين مرة فى العهدين ايضا على المؤمن

الموجود فى الارض اطلاقا شائعا فالمراد هنا بالرب اى بمعنى المخدوم او المالك او النبي هو محمد صلى الله عليه وسلم والمراد بالربوات المقدسة الصحابة الكرام رضى الله عنهم وعبر عن مجيئه بقد جاء لكونه امرا يقينا فجاء محمد صلى الله عليه وسلم فى ربواته المقدسة اى اصحابه الذين هم فى ثباتهم وقوة ايمانهم امثال الربوات والجبال لا يتزحزحون فغلب الكفار وقهرهم حتى دانوا له وانقادوا وبكّت المنافقين والخطأة وقرعهم على اعمال النفاق وعلى اقوالهم السيئة فى حق الله تعالى ورسله عليهم الصلاة والسلام وبكّت المشركين وعنفهم على عدم اقرارهم بالتوحيد لله تعالى والرسالة لرسله مطلقا وبكّت اليهود وقرعهم ووبخهم على تفريطهم فى حق عيسى ومريم عليهما السلام وعلى بعض عقائدهم الواهية وبكّت اهل التثليث اى النصارى على تفريطهم فى توحيد الله تعالى وافراطهم فى حق عيسى عليه السلام وبكّت اكثرهم على بعض عقائدهم التى لا اصل لها

فصل

﴿ فى البشارة الثالثة عشرة ﴾

فى الباب الثالث من انجيل متى ما نصه كما نقلها صاحب اظهار الحق وكما هى فى النسخة المطبوعة عند البروتستانت سنة ١٨٩١ ﴿١﴾ وفى تلك الايام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية ﴿٢﴾ قائلا توبوا لانه قد اقترب ملكوت السماوات

وفى الباب الرابع من انجيل متى هكذا ﴿١٢﴾ ولما سمع يسوع ان يوحنا اسلم انصرف الى الجليل ﴿١٧﴾ من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لانه قد اقترب ملكوت السماوات ﴿٢٢﴾ وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلّم

فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت الخ

وفى الباب السادس من انجيل متى فى بيان الصلاة التى علمها عيسى عليه السلام تلاميذه هكذا قوله (ليأت ملكوتك) ولما ارسل الحواريين الى البلاد الاسرائيلية للدعوة والوعظ وصاهم بوصايا منها هذه الوصية ايضا ﴿٧﴾ وفيما انتم ذاهبون اكرزوا قائلين انه قد اقترب ملكوت السماوات كما هو مصرح به فى الباب العاشر من انجيل متى ووقع فى الباب التاسع من انجيل لوقا هكذا ﴿١﴾ ودعا تلاميذه الاثنى عشر واعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفاء امراض ﴿٢﴾ وارسلهم ليكرزوا بملكوت الله يشفوا المرضى

وفى الباب العاشر من انجيل لوقا ايضا هكذا ﴿١﴾ وبعد ذلك عين الرب سبعين آخرين وارسلهم الخ ﴿٨﴾ واية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا الى شوارعها وقولوا ﴿١١﴾ حتى الغبار الذى لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم ولكن اعلموا انه قد اقترب منكم ملكوت الله

وفى النسخة المطبوعة عند اليسوعيين الطبعة الثالثة سنة ١٨٧٦ هكذا فى الفصل الثالث من انجيل متى ﴿١﴾ فى تلك الايام اقبل يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية ﴿٢﴾ ويقول توبوا فقد اقترب ملكوت السماوات وفى الفصل الرابع من انجيل متى ﴿١٧﴾ من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لانه قد اقترب ملكوت السماوات ﴿٢٣﴾ وكان يسوع يطوف الجليل كله يعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وضعيف فى كل الشعب وفى الصلاة التى علمها عيسى الى الحواريين تلاميذه ﴿١٠﴾ ليأت ملكوتك وفى الفصل التاسع من انجيل لوقا ﴿١﴾ ودعا الاثنى عشر واعطاهم قوة وسلطانا على جميع الشياطين وشفاء الامراض ﴿٢﴾ وارسلهم ليكرزوا

بملكوت الله ويبرؤا المرضى وفى الفصل العاشر من انجيل لوقا ﴿١﴾ وبعد ذلك عين الرب اثنين وسبعين اخرين وارسلهم ﴿٨﴾ واية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا وقولوا ﴿١١﴾ انا ننفض عليكم حتى الغبار الملتصق بنا من مدينتكم ولكن اعلموا هذا انه قد اقترب منكم ملكوت الله

فظهر من هذا ان كلا من يحيى وعيسى عليهما السلام والحواريين والتلاميذ السبعين على مذهب البروتستانت والاثنين والسبعين على مذهب الكاثوليك بشر بملكوت السماوات وبشر عيسى عليه السلام بالالفاظ التى بشر بها يحيى عليه السلام فعلم ان هذا الملكوت كما انه لم يظهر فى عهد يحيى عليه السلام كذلك لم يظهر فى عهد الحواريين والسبعين تلميذا بل كل منهم مبشر به ومخبر عن فضله ومنتظر لمجيئه ولا يصح ان يكون المراد بملكوت السماوات طريقة النجاة التى ظهرت بشريعة عيسى عليه السلام والا لما قاله عيسى عليه السلام والحواريين والسبعون ان ملكوت السماوات قد اقترب ولما علّم التلاميذ ان يقولوا وليأت ملكوتك لان هذه الطريقة قد ظهرت بعد ادعاء عيسى عليه السلام النبوة بشريعته فهو عبارة عن طريقة النجاة التى ظهرت بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهؤلاء كانوا يبشرون بهذه الطريقة الجليلة ولفظ ملكوت السماوات بحسب الظاهر يدل على ان هذا الملكوت يكون فى صورة السلطنة لا فى صورة المسكنة وان المحاربة والجدال فيه مع المخالفين يكونان لاجله وان مبنى قوانينه لا بد ان يكون كتابا سماويا وكل من هذه الامور يصدق على الشريعة المحمدية وما قاله العلماء المسيحيون من ان المراد بهذا الملكوت شيوع الملة المسيحية فى جميع العالم واحاطتها بكل الدنيا وذلك بعد نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان فتأويل يخالف الظاهر

بل ترده التمثيلات المنقولة عن عيسى عليه السلام فى الباب الثالث عشر من انجيل متى منها قوله يشبه ملكوت السماوات انسانا زرع زرعا جيدا فى حقله وقوله يشبه ملكوت السماوات حبة خردل اخذها انسان وزرعها فى حقله وقوله يشبه ملكوت السماوات خميرة اخذتها امرأة وخبأتها فى ثلاث اكيال دقيق حتى اختمر الجميع فشبه عليه السلام ملكوت السماوات بانسان زراع لا بنمو الزراعة وحصادها وكذلك شبهه بحبة خردل لا بصيرورتها شجرة عظيمة وشبهه بخميرة لا باختمار جميع الدقيق

ويرد ذلك التأويل ايضا قول عيسى عليه السلام بعد بيان التمثيل المنقول فى الباب الحادى والعشرين من انجيل متى وهو هكذا (لذلك اقول ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل اثماره) فان هذا القول يدل على ان المراد بملكوت السماوات طريقة النجاة نفسها لا شيوعها فى جميع العالم واحاطتها بكل العالم والا فلا معنى لنزع الشيوع والاحاطة من قوم واعطائهما لقوم آخرين فالحق ان المراد بهذا الملكوت هى المملكة التى اخبر عنها دانيال عليه السلام فى الباب الثانى من كتابه فمصداق هذا الملكوت وتلك المملكة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم

فصل

﴿ فى البشارة الرابعة عشرة ﴾

فى الباب الثالث عشر من انجيل متى هكذا (٣١) قدم لهم مثلا آخر قائلا يشبه ملكوت السماوات حبة خردل اخذها انسان وزرعها فى حقله (٣٢) وهى اصغر جميع البزور ولكن متى نمت فهى اكبر البقول وتصير شجرة حتى ان طيور السماء تأتى وتأوى فى اغصانها

وفى الترجمة المطبوعة عند اليسوعيين الطبعة الثالثة فى بيروت سنة ١٨٧٦ فى الفصل الثالث عشر من انجيل متى هكذا {٣١} وضرب لهم مثلا آخر قائلا يشبه ملكوت السماوات حبة خردل اخذها رجل وزرعها فى حقله {٣٢} فانها اصغر الحبوب كلها فاذا نمت صارت اكبر من جميع البقول ثم تصير شجرة حتى ان طيور السماء تأتى وتستظل فى اغصانها

فلكوت السماء طريقة النجاة التى ظهرت بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم لانه نشأ فى قوم كانوا محتقرين عند اهل الامصار لكونهم اهل بوادى وفى الغالب غير واقفين على العلوم والصناعات بعيدين عن اللذات الجسمانية والتكلفات الدنيويه سيما عند اليهود فانهم يفتخرون بكونهم اولاد ساره ويحتقرون العرب لكونهم اولاد هاجر فبعث الله منهم محمدا صلى الله عليه وسلم فكانت شريعته فى ابتداء الامر بمنزلة حبة خردل يعنى اصغر الشرائع بحسب الظاهر عند اهل الكتاب لكنها لعمومها وقوة مددها نمت فى مدة قليلة وصارت اكبر الشرائع وانتشرت شرقا وغربا حتى ان الذين لم يكونوا مطيعين لشريعة من الشرائع تشبثوا بذيل شريعته صلى الله عليه وسلم

فصل

﴿ فى البشارة الخامسة عشرة ﴾

فى الاصحاح العشرين من انجيل متى ما نصه كما هو بحروفه عند البروتستانت {١} فان ملكوت السماوات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح يستأجر فعلة لكرمه {٢} فاتفق مع العملة على دينار فى اليوم وارسلهم الى كرمه {٣} ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياما فى السوق بطالين {٤} فقال لهم اذهبوا انتم ايضا الى الكرم فاعطيكم ما يحق لكم فمضوا {٥}

وخرج ايضا نحو الساعة السادسة والسابعة وفعل كذلك ﴿٦﴾ ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياما بطالين فقال لهم لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين ﴿٧﴾ فقالوا له لانه لم يستأجرنا احد قال لهم اذهبوا انتم ايضا الى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم ﴿٨﴾ فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله ادع الفعلة واعطهم الاجرة مبتدياً من الاخرين الى الاولين ﴿٩﴾ فجاء اصحاب الساعة الحادية عشرة واخذوا دينارا دينارا ﴿١٠﴾ فلما جاء الاولون ظنوا انهم يأخذون اكثر فاخذوا هم ايضا دينارا دينارا وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت ﴿١٢﴾ قائلين هؤلاء الاخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر ﴿١٣﴾ فاجاب وقال لواحد منهم ياصاحبي ما ظلمتك اما اتفقت معي على دينار ﴿١٤﴾ فخذ الذى لك واذهب فانى اريد ان اعطى هذا الاخير مثلك ﴿١٥﴾ او ما يحل لى ان افعل ما اريد بمالى ام عينك شريرة لانى انا صالح ﴿١٦﴾ هكذا يكون الآخرون اولين والاولون آخرين لان كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون

وفى الترجمة المطبوعة عند اليسوعين فى بيروت سنة ١٨٩١ الطبعة الثالثة هكذا ﴿١﴾ يشبه ملكوت السماوات رجلا رب بيت خرج بالغداة يستأجر عملة لكرمه ﴿٢﴾ فشارط العملة على دينار فى اليوم وارسلهم الى كرمه ﴿٣﴾ ثم خرج فى الساعة الثالثة فرأى آخرين واقفين فى السوق بطالين ﴿٤﴾ فقال لهم امضوا انتم ايضا الى كرمى وانا اعطيكم ما يحق لكم ﴿٥﴾ فمضوا وخرج ايضا نحو الحادية عشرة فوجد آخرين واقفين فقال لهم ما بالكم واقفين ههنا النهار كله بطالين ﴿٧﴾ فقالوا له انه لم يستأجرنا احد فقال لهم امضوا انتم ايضا الى كرمى ﴿٨﴾ فلما كان المساء قال رب الكرم لوكيله ادع

العملة واعطهم الاجرة مبتدئاً من الآخرين الى الاولين {٩} فجاء اصحاب الساعة الحادية عشرة فاخذ كل واحد دينارا {١٠} فلما جاء الاولون ظنوا انهم يأخذون اكثر فاخذوا هم ايضا كل واحد دينار {١١} وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت {١٢} قائلين ان هؤلاء الاخرين عملوا ساعة واحدة فجعلتهم مساوين لنا ونحن حملنا ثقل النهار وحره {١٣} فاجاب وقال لواحد منهم ياصاح ما ظلمتك الم اكن على دينار شرطتك {١٤} خذ مالك وامض فانى اريد ان اعطى هذا الآخر مثلك {١٥} اليس لى ان افعل بمالى ما اريد ام عينك شريرة لانى انا صالح {١٦} فعلى هذا المثل يكون الآخرون اولين والاولون آخرين لان المدعوين كثيرون والمختارين قليلون

فالآخرون امة محمد صلى الله عليه وسلم فهم يقدمون فى الاجر وهم الاخرون الاولون كما قال النبي صلى الله عليه وسلم نحن الاخرون اى باعتبار الوجود الاولون اى فى القيام من القبور ودخول الجنة وفصل القضاء وسنذكر الاحاديث الشريفة الواردة فى ذلك فى بابها

فصل

﴿ فى البشارة السادسة عشرة ﴾

فى الاصحاح الحادى والعشرين من انجيل متى كما هو بحروفه عند البروتستانت {٣٣} اسمعوا مثلا آخر كان انسان رب بيت غرس كرما واحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا وسلمه الى كرامين وسافر {٣٤} ولما قرب وقت الاثمار ارسل عبيده الى الكرامين وسافر ليأخذ اثماره {٣٥} فاخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا بعضا {٣٦} ثم ارسل عبيدا آخرين اكثر من الاولين ففعلوا بهم كذلك {٣٧} فاخيرا ارسل اليهم

ابنه قائلا يهابون ابنى ﴿ ٣٨ ﴾ واما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم هذا
هو الوارث هلموا نقتله ونأخذ ميراثه ﴿ ٣٩ ﴾ فاخذوه واخرجوه خارج الكرم
وقتلوه ﴿ ٤٠ ﴾ فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل باولئك الكرامين ﴿ ٤١ ﴾
قالوا له اولئك الاردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم الى كرامين آخرين
يعطونه الاثمار فى اوقاتها ﴿ ٤٢ ﴾ قال لهم يسوع اما قرأتم قط فى الكتب
والحجر الذى رفضه البناؤن هو قد صار رأس الزاوية من قبل الرب كان هذا
وهو عجيب فى اعيننا ﴿ ٤٣ ﴾ لذلك اقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى
لامة تعمل اثماره ﴿ ٤٤ ﴾ ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو
عليه يسحقه ﴿ ٤٥ ﴾ ولما سمع الكهنة والفريسيون امثاله عرفوا انه تكلم عنهم
﴿ ٤٦ ﴾ واذ كانوا يطلبون ان يمسكوه خافوا من الجميع لانه كان عندهم مثل نبى

وفى النسخة المطبوعة عند اليسوعيين فى بيروت سنة ١٨٩١ الطبعة
الثالثة فى الفصل الحادى والعشرين من انجيل متى هكذا ﴿ ٣٣ ﴾ اسمعوا مثلا
آخر انسان سيد بيت غرس كرما وحوطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى
برجا وسلمه الى عملة وسافر ﴿ ٣٤ ﴾ فلما قرب اوان الثمر ارسل عبيده الى العملة
ليأخذوا ثمره ﴿ ٣٥ ﴾ فاخذ العملة عبيده وجلدوا بعضا وقتلوا بعضا ورجموا
بعضا ﴿ ٣٦ ﴾ فارسل عبيدا آخرين اكثر من الاولين فصنعوا بهم كذلك ﴿ ٣٧ ﴾
وفى الآخر ارسل اليهم ابنه قائلا لعلهم يهابون ابنى ﴿ ٣٨ ﴾ فلما رأى العملة
الابن قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث تعالوا نقتله ونستولى على ميراثه ﴿ ٣٩ ﴾
فاخذوه وطرحوه خارج الكرم وقتلوه ﴿ ٤٠ ﴾ فاذا جاء رب الكرم فماذا
يفعل باولئك العملة ﴿ ٤١ ﴾ فقالوا له انه يميت اولئك الاردياء اردى ميتة ويسلم
الكرم الى عملة آخرين يؤدون اليه الثمر فى اوانه ﴿ ٤٢ ﴾ فقال لهم يسوع اما

قرأتم قط فى الكتب ان الحجر الذى رذله البناؤن هو صار رأسا للزاوية من عند الرب كان ذلك وهو عجيب فى اعيننا {٤٣} لذلك اقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لامة تصنع ثمره {٤٤} ومن سقط على هذا الحجر يتهشم ومن سقط هو عليه يطحنه {٤٥} فلما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون امثاله علموا انه انما تكلم عنهم {٤٦} فهموا ان يمسكوه ولكنهم خافوا من الجموع لانه كان يعد عندهم نبيا

قوله رب بيت اراد به الله تعالى والكرم اراد به الشريعة واحاطته بسياج وحفر المعصرة فيه وبناء البرج كنايات عن بيان المحرمات والمباحات والاوامر والنواهى والمراد بالكرامين اليهود وقد فهم رؤساء الكهنة منهم والفريسيون انه عناهم بكلامه والمراد بالعبيد المرسلين الانبياء عليهم الصلاة والسلام والمراد بالابن عيسى عليه السلام وقد علم انه لا بأس باطلاق هذا اللفظ عليه كما اطلق فى العهدين اكثر من خمس وعشرين مرة لفظ الرب على الملأكين كرب الدار وبعض الانبياء عليهم السلام كرب الامة وقد زعم اليهود انهم قتلوا عيسى عليه السلام والمراد بالحجر الذى رفضه البناؤن محمد صلى الله عليه وسلم وهذا هو الحجر الذى كل من سقط عليه ترضض وكل من سقط هو عليه سحقه وما ادعاه العلماء المسيحيون من ان هذا الحجر عبارة عن عيسى عليه السلام فغير صحيح لوجوه الاول ان داود عليه السلام قال فى الزبور الثامن عشر بعد المائة هكذا الحجر الذى رذله البناؤن هو صار رأسا للزاوية {٢٣} من قبل الرب كانت هذه وهى عجيبة فى اعيننا فلو كان هذا الحجر عبارة عن عيسى عليه السلام ما كان عجبا فى اعين اليهود عموما وفى عين داود عليه السلام خصوصا لان عيسى من اليهود من آل يهوذا من آل داود عليه السلام فكيف يتعجب داود عليه

السلام واليهود من كون عيسى عليه السلام صار رأس الزاوية لاسيما والمسيحيون يزعمون ان داود عليه السلام يعظم عيسى عليه السلام فى مزاميره تعظيما بليغا ويعتقد الالوهية فى حقه فكيف يتعجب من كونه صار رأس الزاوية

اما آل اسماعيل عليه السلام فان اليهود كانوا يحتقرونهم فكان كون احد منهم رأسا للزاوية عجيبا فى اعينهم والثانى انه وقع فى وصف هذا الحجر ان كل من سقط عليه هذا الحجر ترضض وكل من سقط هو عليه سحقه وهذا الوصف لا يصدق على عيسى عليه السلام لانه قال وان سمع احد كلامى ولم يؤمن فانا لا ادينه لانى لم آت لادين العالم بل لاخلص العالم كما هو مذكور فى الباب الثانى عشر من انجيل يوحنا واما صدقه على محمد صلى الله عليه وسلم فغير محتاج الى البيان لانه كان مأمورا بتنبيه الفجار الاشرار فان سقطوا عليه ترضضوا وان سقط هو عليهم سحقهم وطحنهم والثالث ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مثلى ومثل الانبياء كمثل قصر احسن بنيانه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنيانه ويقولون لولا موضع اللبنة فانا تلك اللبنة قد ختم بى البنيان وختم بى الرسل

ولما ثبتت نبوته بالادلة الاخرى كما ذكرت نبذا منها فى المسائل السابقة فلا بأس بان استدل فى هذه البشارة بقوله ايضا

والرابع ان المتبادر الظاهر من كلام المسيح عليه السلام ان هذا الحجر غير الابن

فصل

﴿ فى البشارة السابعة عشرة ﴾

فى الباب الثانى من المشاهدات كما هى عند البروتستانت هكذا ﴿ ٢٦ ﴾

ومن يغلب ويحفظ اعمالى الى النهاية فساعطيه سلطانا على الامم ﴿٢٧﴾ فيرعاهم بقضيب من حديد كما تكسر آنية من خزف كما اخذت ايضا من عند ابى ﴿٢٨﴾ واعطيه كوكب الصبح ﴿٢٩﴾ من له اذن فليسمع ما يقول الروح بالكنايس

وفى النسخة المطبوعة عند اليسوعيين سنة ١٨٩١ الطبعة الثالثة هكذا ﴿٢٦﴾ ومن غلب وحفظ اعمالى الى المنتهى فانى اوتيه سلطانا على الامم ﴿٢٧﴾ فيرعاهم بعصا من حديد وكآنية خزف يتحطمون ﴿٢٨﴾ مثلما اوتيت انا عند ابى واعطيه كوكب الصبح ﴿٢٩﴾ من له اذن فليسمع ما يقوله الروح فى الكنايس

فهذا الغالب المشار اليه الذى اعطى سلطانا وغلبة على الامم ويرعاهم بالقضيب من حديد هو محمد صلى الله عليه وسلم كما جاء فى الانجيل ايضا معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك والمراد بالقضيب السيف لانه صلى الله عليه وسلم ارسل بالسيف وامر بقتال من عصاه ولم يقع لامة ولا نبى ما وقع له صلى الله عليه وسلم ولامته من الجهاد والقتال وايضا فانه ورد فى الكتب القديمة صاحب السيف وصاحب الهراوة وهى العصا الى غير ذلك مما يدل على ان المراد فى هذه البشارة وما فى الانجيل هو محمد صلى الله عليه وسلم وقد قال الله فى حقه وينصرك الله نصرا عزيزا ووفى له ولامته بما وعد سبحانه

فصل

﴿ فى البشارة الثامنة عشرة ﴾

هذه البشارة واقعة فى آخر ابواب انجيل يوحنا نقلا عن التراجم العربية المترجمة فى لندن والمطبوعة فيها سنة ١٨٣١ وسنة ١٨٤٤ كما نقلها صاحب اظهار

الحق ورد فى الباب الرابع عشر من انجيل يوحنا هكذا ﴿ ١٥ ﴾ ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ﴿ ١٦ ﴾ وانا اطلب من الاب فيعطيكم بارقليطا آخر ليثبت معكم الى الابد ﴿ ١٧ ﴾ روح الحق الذى لن يطيق العالم ان يقبله لانه ليس يراه ويعرفه وانتم تعرفونه لانه مقيم عندكم وهو ثابت فيكم ﴿ ٢٦ ﴾ والفارقليط روح القدس الذى يرسله الاب باسمى هو يعلمكم كل شىء وهو يذكركم كل ما قلته لكم ﴿ ٣٠ ﴾ والان قد قلت لكم قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنون به

وفى الباب الخامس عشر من انجيل يوحنا هكذا ﴿ ٢٦ ﴾ فاما اذا جاء الفارقليط الذى ارسله انا اليكم من الاب روح الحق الذى من الاب ينبثق هو يشهد لاجلى ﴿ ٢٧ ﴾ وانتم تشهدون لانكم معى من الابتداء

وفى الباب السادس عشر من انجيل يوحنا ايضا هكذا ﴿ ٧ ﴾ لكننى اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لانى ان لم انطلق لم يأتكم الفارقليط فاما ان انطلقت ارسلته اليكم ﴿ ٨ ﴾ فاذا جاء ذاك فهو يوبخ العالم على خطيئة وعلى بر وعلى حكم ﴿ ٩ ﴾ اما على الخطيئة فلانهم لم يؤمنوا بى ﴿ ١٠ ﴾ واما على البر فلانى منطلق الى الاب ولستم تروننى بعد ﴿ ١١ ﴾ واما على الحكم فان اركون هذا العالم قد دين ﴿ ١٢ ﴾ وان لى كلاما كثيرا اقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الان ﴿ ١٣ ﴾ واذا جاء روح الحق ذاك فهو يعلمكم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما سيأتى ﴿ ١٤ ﴾ وهو يمجدنى لانه يأخذ مما هو لى ويخبركم ﴿ ١٥ ﴾ جميع ما هو للآب فهو لى فمن اجل هذا قلت ان مما هو لى يأخذ ويخبركم

وفى النسخة المطبوعة عند البروتستانت سنة ١٨٩١ هكذا فى الاصحاح

الرابع عشر {١٥} ان كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياى {١٦} وانا اطلب من الاب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الابد {١٧} روح الحق الذى لا يستطيع العالم ان يقبله لانه لا يراه ولا يعرفه واما انتم فتعرفونه لانه ماكث معكم ويكون فيكم {٢٦} واما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الاب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم

وفى الباب الخامس عشر من انجيل يوحنا هكذا {٢٦} ومتى جاء المعزى الذى سأرسله انا اليكم من الاب روح الحق الذى من عند الاب ينبثق فهو يشهد لى {٢٧} وتشهدون انتم ايضا لانكم معى من الابتداء

وفى الاصحاح السادس عشر من انجيل يوحنا هكذا لكنى اقول لكم الحق انه خير لكم ان انطلق لانه ان لم انطلق لا يأتيكم المعزى ولكن ان ذهبت ارسله اليكم {٨} ومتى جاء ذلك يبكت العالم على خطيئة وعلى بر وعلى دينونة {٩} اما على الخطيئة فلانهم لم يؤمنوا بى {١٠} واما على البر فلانى ذاهب الى ابى ولا تروننى ايضا واما على دينونة فلان رئيس هذا العالم قد دين {١٢} ان لى امورا كثيرة ايضا لاقول لكم ولكن لا تستطيعون ان تحتملوا الان {١٣} ومتى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبر بامور آتية {١٤} ذاك يمجدنى لانه يأخذ مما لى ويخبركم الخ

وفى النسخة المطبوعة عند اليسوعيين سنة ١٨٧٦ فى بيروت الطبعة الثالثة هكذا {١٥} ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى {١٦} وانا اسأل الاب فيعطيكم معزيا آخر ليقيم معكم الى الابد {١٧} روح الحق الذى العالم لا يستطيع ان يقبله لانه لم يره ولم يعرفه اما انتم فتعرفونه لانه مقيم عندكم ويكون فيكم

﴿ ٢٦ ﴾ اما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الاب باسمى فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم كل ما قلته لكم ﴿ ٢٩ ﴾ والان قلت لكم قبل ان يكون حتى متى كان تؤمنون

وفى الباب الخامس عشر من انجيل يوحنا هكذا ﴿ ٢٦ ﴾ ومتى جاء المعزى الذى ارسله اليكم من عند الاب روح الحق الذى من الاب ينبثق فهو يشهد لى وانتم تشهدون لانكم معى من الابتداء

وفى الباب السادس عشر من انجيل يوحنا هكذا ﴿ ٧ ﴾ الا انى اقول لكم الحق ان فى انطلاقى خيرا لكم لانى ان لم انطلق لم يأتكم المعزى ولكن اذا مضيت ارسلته اليكم ﴿ ٨ ﴾ ومتى جاء يبكت العالم على الخطيئة وعلى البر وعلى الدينونة ﴿ ٩ ﴾ اما على الخطيئة فلانهم لم يؤمنوا بى ﴿ ١٠ ﴾ واما على البر فلانى منطلق الى الاب ولا ترونني بعد ﴿ ١١ ﴾ واما على الدينونة فلان رئيس هذا العالم قد دين ﴿ ١٢ ﴾ وان عندى كثيرا اقوله لكم ولكنكم لا تطيقون حمله الان ﴿ ١٣ ﴾ ولكن متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لانه لا يتكلم من عنده بل يتكلم بكل ما يسمع ويخبركم بما يأتى ﴿ ١٤ ﴾ هو يمجدنى لانه يأخذ مما لى ويخبركم الخ

الفارقليط اصله بارقليطا بباء مشوبة بفاء وآخره الف مقصورة ثم عرب بالباء والفاء وحذفت الالف من آخره ومعناه روح الحق وهو محمد صلى الله عليه وسلم لانه قائم بالحق عامل به وقال ثعلب الامام المشهور معناه الذى يفرق بين الحق والباطل وقال آخرون معناه الحامد ومن المعلوم اصل الكلام كان عبرانيا ثم ترجموه الى اليونانى بيركلوطوس او باراكلى طوس فان كان الاول فالامر ظاهر وتكون بشارة المسيح فى حق محمد صلى الله عليه

وسلم بلفظ بير كلوطوس الذى هو بمعنى محمدا او احمد وان كان الثانى الذى هو
بارا كلى طوس كما يدعون فيكون بمعنى المعزى والمعين والوكيل فهذا لا ينافى
الاستدلال وهذه المعانى كلها تصدق على محمد صلى الله عليه وسلم والتفاوت
بين اللفظين يسير جدا واللفظ اليونانى متشابه فتبدل پيركلوطوس فى
پارا كلى طوس قريب القياس وعلى كل من اللفظين فمعناهما ثابت لمحمد صلى
الله عليه وسلم فهو المعزى والمعين والوكيل النائب عن الحق وهو محمد واحمد
ولما اشتهر عند علماء الاسلام ان معنى لفظ بارقليط هو محمد صلى الله
عليه وسلم وهو الحق اظهر المخالفون غير ذلك كما هو فى تراجمهم التى طبعت
مؤخرا عند اليسوعيين وعند البروتستانت فرفعوا لفظ بارقليط بالكلية
ووضعوا عوضه لفظ معزيا وهى ترجمة لفظ بارا كلى طوس واما عند الروم
الارثوذكس فان لفظ بارقليط باقية عندهم على اصلها لم تتغير وهذا كما علمت
لا يغير شيئاً فالبارقليط والمعزى والمعين والوكيل هو محمد صلى الله عليه وسلم
وعلى كل حال فنحن نبين وجه الاستدلال بعبارات هذه البشارة الثامنة
عشرة فنقول ان المراد بفارقليط النبي المبشر به هو محمد صلى الله عليه وسلم لا
الروح النازل على تلاميذ عيسى عليه السلام يوم الدار الذى جاء ذكره فى الباب
الثانى من كتاب الاعمال ويدل على ما قلناه امور ﴿١﴾ ان عيسى عليه السلام
قال ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ثم اخبر عن فارقليط فمقصوده عليه
السلام ان يعتقد السامعون بان ما يلقى عليهم يعد ضرورى واجب الرعاية فلو
كان فارقليط عبارة عن الروح النازل يوم الدار لما كانت الحاجة الى هذه
الفقرة لانه لا يظن ان يستبعد الحواريون نزول الروح عليهم مرة اخرى
وكيف وقد كانوا عارفين به من قبل بل لا مجال للاستبعاد لانه اذا نزل على

قلب احد وحل فيه يظهر اثره لا محالة ظهورا بينا فلا يتصور انكار المتأثر منه وبالجملة فهو عبارة عن النبي المبشر به فحقيقة الامر ان المسيح عليه السلام لما نظر بنور النبوة ان الكثير من امته ينكرون النبي المبشر به عند ظهوره اكد اولا بهذه العبارة ثم اخبر بمجيئه ﴿٢﴾ انهم قالوا واعتقدوا ان هذا الروح متحد بالاب مطلقا وبالابن نظرا الى لاهوته اتحادا حقيقيا فبناء على قولهم هذا لا يصدق في حقه فارقليط آخر بخلاف النبي المبشر به فانه يصدق هذا القول في حقه بلا تكلف ان الوكالة والشفاعة من خواص النبوة لا من خواص هذا الروح المتحد بالله على قولهم فلا يصدقان على الروح ويصدقان على النبي المبشر به بلا تكلف ﴿٤﴾ ان عيسى عليه السلام قال هو يذكركم كل ما قلته لكم ولم يثبت في رسالة من رسائل العهد الجديد ان الحواريين كانوا قد نسوا ما قاله عيسى عليه السلام وان هذا الروح النازل يوم الدار ذكرهم اياه ﴿٥﴾ ان عيسى عليه السلام قال والآن قد قلت لكم قبل ان يكون حتى اذا كان تؤمنون وهذا يدل على ان المراد به ليس هو الروح لانك قد عرفت في الامر الاول انه لم يكن عدم الايمان مظنونا منهم وقت نزوله بل لا مجال للاستبعاد ايضا فلا حاجة الى هذا القول وليس من شأن الحكيم العاقل ان يتكلم بكلام فضول لا طائل تحته فضلا عن شأن النبي العظيم الشان فلو قالوا اراد به النبي المبشر لكان هذا الكلام في محله وفي غاية الاستحسان لاجل التاكيد مرة ثانية ﴿٦﴾ ان عيسى عليه السلام قال هو يشهد لاجلي وهذا الروح ما شهد لاجله بين يدي احد لان تلاميذه الذين نزل عليهم ما كانوا محتاجين للشهادة لانهم كانوا يعرفون المسيح حق المعرفة قبل نزوله ايضا فلا فائدة للشهادة بين ايديهم والمنكرون الذين كانوا محتاجين للشهادة لم يعبأ بهم هذا الروح حتى يشهد بين

ايديهم ولم ينقل ذلك بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فانه شهد لاجل المسيح عليه السلام وصدقه وبرأه عن ادعاء الالوهية الذى هو اشد انواع الكفر والضلال وبرأ امه الطاهرة البتول مما اتهمها به اليهود وجاء ذكر براءتهما فى القرآن الكريم فى مواضع متعددة وفى الاحاديث فى ابواب غير محصورة

{٧} ان عيسى عليه السلام قال وانتم تشهدون لانكم معى من الابتداء وهذه الاية فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ هكذا (وتشهدون انتم ايضا لانكم كنتم معى من الابتداء) وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ وتشهدون انتم ايضا لانكم معى من الابتداء فيوجد فى هذه التراجم الثلاث لفظ ايضا وسقطت من التراجم التى نقلت عنها عبارة يوحنا سهوا او قصدا فهذا القول يدل دلالة ظاهرة على ان شهادة الحواريين غير شهادة فارقليط فلو كان المراد به الروح النازل يوم الدار فلا توجد بين الشهادتين مغايرة لان الروح المذكور لم يشهد شهادة مستقلة بل شهادة الحواريين هى شهادته بعينها لان هذا الروح على قولهم واعتقادهم مع كونه الهاً متحدا بالله تعالى فانه نزل مثل ريح عاصفة وظهر فى اشكال السنة منقسمة كانها من نار واستقرت على كل احد منهم يوم الدار فكان حالهم كحال من لابسه جنى فكما ان قول الجنى يكون قوله فى تلك الحالة كذلك كانت شهادة الروح هى شهادة الحواريين فلا يصح هذا القول بخلاف ما اذا كان المراد به النبى المبشر به فان شهادته غير شهادة الحواريين

{٨} ان عيسى عليه السلام قال ان لم انطلق لم يأتكم الفارقليط فاما ان انطلقت ارسلته اليكم فعلق مجيئه بذهابه وهذا الروح عندهم نزل على الحواريين فى حضوره لما ارسلهم الى البلاد الاسرائيلية فنزوله ليس بمشروط بذهابه فلا يكون مرادا بفارقليط بل المراد به شخص آخر يكون مجيئه موقوفاً على ذهاب

عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم كذلك لانه جاء بعد ذهاب عيسى
عليه السلام وكان مجيئه موقوفا على ذهاب عيسى عليه السلام لان وجود
رسولين ذوى شريعتين مستقلتين فى زمان واحد غير جائز ولا واقع بخلاف
ما اذا كان الآخر متبعا لشريعة الاول او يكون كل من الرسولين او الرسل
على شريعة واحدة فانه يجوز فى هذه الصورة وجود اثنين او اكثر فى زمان
واحد كما ثبت وجودهم فيما بين زمان موسى وعيسى عليهما السلام ﴿٩﴾ ان
عيسى عليه السلام قال يوبخ العالم فهذا القول منه عليه السلام بمنزلة النص
الجلى على محمد صلى الله عليه وسلم لانه وبخ العالم لا سيما اليهود فانه وبخهم على
عدم ايمانهم بعيسى عليه السلام توبيخاً وبكتهم تبكيتاً لا يشك فيهما الا معاند
بحتٌ وسيكون سليله الامام المهدى فى معية عيسى عليه السلام بعد نزوله
ويحضر معه قتل الدجال ومتابعيه بخلاف الروح النازل يوم الدار فان توبيخه
لا يصح على اصول ملة من الملل ولم يكن التوبيخ من متعلقات منصب
الحواريين بعد نزوله ايضا لانهم كانوا يدعون الى الملة بالترغيب والوعظ وما
قاله القسيس راتكن فى كتابه المسمى بدافع البهتان الذى هو بلسان أردو فى
رده على خلاصة صولة الضيغم (ان لفظ التوبيخ لا يوجد فى الانجيل ولا فى
ترجمة من التراجم) مردود لا يعتد به وهذا القسيس اما جاهل او مغالط لا
ايمان له بالله تعالى ولا خوف عنده منه او عماه العناد واصمه الالحاد فان لفظ
التوبيخ موجود ومصرح به فى جميع التراجم العربية المذكورة التى نقلنا عنها
عبارة يوحنا وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ فى روميه وعبارة الترجمة
العربية المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٦٠ هكذا (ومتى جاء ذاك يبكت العالم
على خطيئة الخ) وفى التراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٨ وسنة

١٨٤١ يوجد لفظ الالزام ولفظ التبكيت والتبكيت والالزام قريبان من التوبيخ
فى المعنى ولا غرابة فى هذا القول لان مثل هذا معلوم انه من عادة علماء
البروتستانت وشأنهم ولذلك ترى مترجمى الفارسية وأردو لغوا اسم فارقليط
لشهرته عند علماء الاسلام فى حق محمد صلى الله عليه وسلم وأثبتوا اسما آخر فى
محله كما تقدم ذلك

ثم ان مترجم ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٣٩ زاد على اسلافه هؤلاء
فأرجع الى الروح ضمائر المؤنث ليحصل الاشتباه للعوام من المسيحيين ان
مصداق هذا اللفظ مؤنث وليس بمذكر وهذا مما لا يفعله عاقل ولا يقبله
فاضل ولا يستحسنه منصف عادل ﴿ ١٠ ﴾ قال عيسى عليه السلام اما على الخطيئة
فانهم لم يؤمنوا بى وهذا يدل على ان فارقليط يكون منصورا على منكرى
عيسى عليه السلام موبخاً لهم على عدم الأيمان به والروح النازل يوم الدار ما
كان ظاهرا منصورا على الناس موبخاً لهم ﴿ ١١ ﴾ قال عيسى عليه السلام ان
لى كلاما كثيرا اقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الان وهذا ينافى ارادة
الروح النازل يوم الدار لانه لم يزد حكماً ما على احكام عيسى عليه السلام لانه
على زعم اهل التثليث انه عليه السلام كان امر الحواريين بعقيدة التثليث وبدعوة
اهل العالم كله فاى امر حصل لهم زائد على اقواله التى قالها لهم الى زمان
صعوده ثم بعد نزول هذا الروح اسقطوا جميع احكام التوراة التى هى ما عدا
بعض الاحكام العشرة المذكورة فى الباب العشرين من سفر الخروج وحللوا
جميع المحرمات المنصوص عليها فى التوراة وهذا الامر لا يجوز فى حقه ان
يقال انهم ما كانوا يستطيعون حمله لانهم استطاعوا حمل سقوط حكم تعظيم
السبت الذى هو اعظم احكام التوراة الذى كان اليهود ينكرون كون عيسى

عليه السلام مسيحاً موعودا به لاجل عدم مراعاته هذا الحكم فقبول سقوط
جميع الاحكام كان اهون عليهم نعم قبول زيادة الاحكام لاجل ضعف الايمان
وضعف القوة الى زمان صعوده كما يعترف به علماء البروتستانت كان خارجا
عن استطاعتهم

فظهر ان المراد بفارقليط نبي يزاد فى شريعته احكام بالنسبة الى الشريعتين
الموسويه والعيسويه ويثقل حملها على المكلفين الضعفاء وهذا النبي هو محمد
صلى الله عليه وسلم ﴿١٢﴾ قال عيسى عليه السلام ليس ينطق من عنده بل
يتكلم بكل ما يسمع وهذا يدل على ان فارقليط لما يظهر يكذبه بنو اسرائيل
فاحتاج عليه السلام ان يقرر حال صدقه فقال هذا القول ولا مجال لمظنة
التكذيب فى حق الروح النازل يوم الدار على ان هذا الروح عندهم عين الله
تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا فلا معنى لقوله بل يتكلم بما يسمع فتبين من هذا
ان مصداق قوله هو محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان فى حقه مظنة التكذيب
وليس هو عين الله تعالى عن ذلك وكان يتكلم بما يوحى اليه كما قال تعالى (وَمَا
يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) وقال (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى
إِلَيَّ) ﴿١٣﴾ ان عيسى عليه السلام قال (انه يأخذ مما هو لى) وهذا لا يصدق
على الروح لانه عند اهل التثليث قديم وغير مخلوق وقادر مطلق ليس له كمال
منتظر بل كل كمال من كمالاته حاصل له بالفعل فلا بد ان يكون الموعود به من
الجنس الذى يكون له كمال منتظر ولما كان كلامه عليه السلام موهماً ان يكون
هذا النبي متبعا لشريعته دفعه بقوله فيما بعد (جميع ما هو للاب فهو لى فلاجل
هذا قلت مما هو لى يأخذ) يعنى ان كل شىء يحصل لفارقليط هو من الله
فكأنه منى كما اشتهر قول العارفين من كان لله كان الله له وكان له كل شىء

(فلاجل هذا قلت ان مما هو لى يأخذ) ولو كان مراد عيسى عليه السلام فى البارقليط الروح النازل يوم الدار كما زعموه لما عبر عنه بلفظ فارقليط بل كان عبر عنه باسم اعظم من اسم بارقليط او عبر عنه بالروح

تنبيهات

التنبيه الاول

اعلم ان لعلماء النصارى من البروتستانت وغيرهم شبهات فى كون البارقليط هو محمد صلى الله عليه وسلم ذكرها صاحب اظهار الحق وذكر الرد عليها واقتصرنا عن نقلها خوف الاطالة فى هذا الباب وغاية الامر فيما اوردوه فى الشبهة الخامسة ان يوحنا نقل بشارة فارقليط ولم ينقلها الانجيليون الباقون ونقل لوقا موعد نزول الروح يوم الدار ولم ينقله يوحنا ولا باس فى هذا ولا طعن لاحد ومن المعلوم عند علماء كل ملة ان عيسى عليه السلام لم تظهر دعوته فى عصره كل الظهور بل بعده اتفق روساء النصارى على العمل باناجيل متى ويوحنا ومرقس ولوقا الذين دعوا الناس الى اتباع عيسى عليه السلام وتكلم كل واحد منهم بعبارة تلائم الذين اتبعوه وقد يتفق هؤلاء الاربعة فى نقل اشياء لا اهمية لها كركوب عيسى عليه السلام على الحمار وقت الذهاب الى اورشليم فقد اتفق على نقله الاربعة وقد يختلف امرهم فى نقل الاخبار المهمة والمعجزات العظيمة الاترى ان لوقا انفرد بذكر احياء ابن الارملة من الاموات فى نايين وبذكر ارسال عيسى عليه السلام سبعين تلميذا وبذكر ابراء عشرة مرضى بالبرص ولم يذكر هذه المعجزات احد من الانجيليين سواه مع انها من الامور العظيمة وانفرد يوحنا بذكر وليمة العرس فى قانا الجليل وانه ظهر من يسوع فيها معجزة تحويل الماء خمرا على زعمهم وان هذه المعجزة اول

معجزاته وانها سبب ظهور مجده وايمان التلاميذ به عليه السلام ويذكر ابراء السقيم فى بيت صيدا فى اورشليم ويذكر قصة امرأة اخذت فى الزنى ويذكر ابراء الاكمه كما هو مصرح به فى الباب التاسع ويذكر احياء العازار من بين الاموات ولم يذكرها احد من الانجيليين مع انها معجزات عظيمة وهكذا الحال فى انجيلى متى ومرقس فانهما انفردا بذكر بعض المعجزات التى لم يذكرها غيرهما فانفرد احد هؤلاء الاربعة بنقل شىء لا يضر ولا ينبغى لاحد ان يجعله وسيلة للطعن فيما ورد من المعجزات عنهم وابطاله ولا يلزم من عدم الاتفاق على نقله انه كذب والا فما جاز على المثل يجوز على مماثله وهذا يؤدى بصاحبه الى التكذيب بملة المسيح من عين اصلها والى ما لا يقول به عاقل فضلا عمن ينتحل العلم ونقل ابن اسحق عن علماء النصارى مما اثبته يوحنا فى انجيله من البشارات عن عيسى عليه السلام انه قال ما نصه من ابغضنى فقد ابغض الرب ولولا انى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها احد قبلى ما كانت لهم خطيئة ولكن من الان بطروا وظنوا انهم يعزوننى وايضا للرب ولكن لا بد من ان تتم الكلمة التى فى الناموس انهم ابغضونى مجانا اى باطلا فلو قد جاء المنحمنا هذا الذى يرسله الله اليكم وروح الحق هذا الذى من عند الرب خرج فهو شهيد علىّ وانتم ايضا لانكم قديما كنتم على هذا قلت لكم لكى لا تشكوا

ووردت عبارة فى الانجيل المطبوع عند البروتستانت فى بيروت فى آخر الاصحاح الخامس عشر من انجيل يوحنا هكذا بحروفها الذى يبغضنى يبغض ابى ايضا ولو لم اكن عملت بينهم اعمالا لم يعملها احد غيرى لم تكن لهم خطيئة واما الان فقد راوا وابغضونى . لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى

ناموسهم انهم ابغضونى بلا سبب . ومتى جاء المعزى الذى سأرسله انا اليكم من الاب روح الحق الذى من عند الرب ينبثق فهو يشهد لى . وتشهدون انتم ايضا لانكم معى من الابتداء . قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا

ووردت عبارة فى الانجيل المطبوع عند اليسوعيين فى بيروت فى آخر الفصل الخامس عشر من انجيل يوحنا هكذا بحروفها من يبغضنى فانه يبغض ابى ايضا . لو لم اعمل بينهم اعمالا لم يعملها اخر لما كانت لهم خطيئة اما الان فقد راوا وابغضونى انا وابى . لكن ذلك هو لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم انهم ابغضونى بلا سبب . ومتى جاء المعزى الذى ارسله اليكم من عند الاب روح الحق الذى من الاب ينبثق فهو يشهد لى . وانتم تشهدون لانكم معى منذ الابتداء . كلمتكم بهذا كى لا تشكوا

والتعبير بالابن والاب قد تقدم ما يقصد به وعلى كل حال فذكرهما فى هذه العبارة مبنى على اعتقاد الناقلين والمترجمين لها منهم فذكرناها كما هى حتى لا ينسبوا الينا التبديل والتغيير فيما ننقله عنهم مع اعتقاد التنزيه لله تعالى عن ذلك

قال ابن اسحق المنحمنا بالسريانيـة محمد وهو بالرومية البارقليط وقد ترجموه الى العربى بلفظ المعزى كما اشرنا الى ذلك فالمنحمنا والبارقليط والمعزى هو محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم . وقد نقل المتاخرون من المسيحيين عمن قبلهم انقالا تناسب ما ذهبوا اليه فى اعتقادتهم ونسبوها الى الحواريين وهى واهية الاسناد ضعيفة المفاد يلوح عليها الافتراء والكذب كنقلهم عنهم انهم قالوا نحن مأمورون بالتثليث وهذا بهتان عظيم نسبوه الى قوم مؤمنين بالله موحدين اتقياء صالحين لا يفترون على الله الكذب وقوّلوهم ما لم يقولوا

التنبيه الثانى

قد طال الكلام فى هذا الباب فرأينا ان نقتصر على ما ذكرناه من البشارات التى نقلناها عن كتبهم المعتبرة عندهم فى زماننا واما البشارات التى توجد فى كتب اخرى وليست معتبرة عندهم فقد ضربنا عن نقلها صفحا سوى بشارة واحدة دعانا الحال الى ذكرها هنا فنقول نقل القسيس سيل فى مقدمة ترجمته للقرآن المجيد من انجيل برنابا بشارة محمدية نصها اعلم يابرنابا ان الذنب وان كان صغيرا يجزى الله عليه لان الله غير راض عن الذنب ولما احبتنى امى وتلاميذى لاجل الدنيا سخط الله لاجل هذا الامر واراد باقتضاء عدله ان يجزيهم فى هذا العالم على هذه العقيدة الغير اللائقة ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم ولا يكون لهم اذية هناك وانى وان كنت بريا لكن بعض الناس لما قالوا فى حقى انه الله وابن الله كره الله هذا القول واقتضت مشيئته بان لا تضحك الشياطين يوم القيمة علىّ ولا يستهزؤن بى فاستحسن بمقتضى لطفه ورحمته ان يكون الضحك والاستهزاء فى الدنيا بسبب موت يهوذا ويظن كل شخص انى صلبت لكن هذه الاهانة والاستهزاء يبقيان الى ان يجىء محمد رسول الله فاذا جاء فى الدنيا ينبه كل مؤمن على هذا الغلط وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس وهذا الانجيل من الاناجيل القديمة وكان مذكورا فى كتب القرن الثانى والثالث للتاريخ المسيحى فعلى هذا قد كتب هذا الانجيل قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم بمئين من السنين ولا يقدر ان يخبر بمثل هذا على غير طريق الوحى ويظهر هذا الامر قبل وقوعه بمئين من السنين فلا بد ان يكون هذا القول صدر عن عيسى عليه السلام وان قال النصارى ان واحدا من المسلمين حرف هذا الانجيل بعد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم قلنا هذا

الاحتمال بعيد جدا لان المسلمين لم يلتفتوا الى الاناجيل الاربعة فكيف يلتفتون
الى انجيل برنابا وبعد ان يؤثر تحريف واحد من المسلمين فى انجيل برنابا تأثيرا
تتغير به النسخ الموجودة عند المسيحيين وزعموا ايضا ان علماء اهل الكتاب
من اليهود والنصارى الذين اسلموا نقلوا عن كتب العهدين البشارات المحمدية
وحرفوها فعلى زعمهم نقول هولاء العلماء حرفوا ولم يؤثر تحريفهم فى كتبهم
التى كانت موجودة عندهم فى مواضع هذه البشارات فكيف اثر تحريف
واحد من المسلمين من انجيل برنابا فى جميع النسخ التى كانت عندهم فاحتمالهم
هذا واهٍ ضعيف واجب الرد ولا يقبله من اهل الميز منهم احد

وقال الفاضل حيدر على القرشى فى كتابه المسمى بخلاصة المسلمين
الذى هو فى لسان اردو ان القسيس اوسكان الارمنى ترجم كتاب اشعيا
باللسان الارمنى فى سنة ١٦٦٦ وطبعت هذه الترجمة سنة ١٧٣٣ فى مطبعة
انتونى بورتولى ويوجد فى هذه الترجمة فى الباب الثانى والاربعين هذه الفقرة
(سبحوا الله تسبيحا جديدا واثر سلطته على ظهره واسمه احمد) اى علامة
سلطته وحكم نبوته على ظهره والمراد بها خاتم النبوة وهذه الترجمة معتبرة
عندنا غير معتبرة عند علماء النصارى او البروتستانت لانها مخالفة لمشربهم

ومن المعلوم ان من اسلم من علماء اليهود والنصارى فى القرن الاول
شهدوا بوجود البشارات المحمدية فى كتب العهدين مثل عبدالله بن سلام وابنى
سعينة وبنيامين ومخيريق وكعب الاحبار وغيرهم من علماء اليهود ومثل بحيرا
ونسطورا الحبشى وضغاطر وهو الاسقف الذى اسلم على يد دحية الكلبى
وقت الرسالة فقتله النصارى والجارود والنجاشى والمقوقس والرهبان الذين
جاؤا مع جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه من الحبشة وغيرهم من علماء

النصارى الذين آمنوا واسلموا وقد اعترف بصحة نبوته وعموم رسالته جماعة
ولم يومنوا منهم هرقل قيصر الروم ومقوقس صاحب مصر من النصارى
وابن صوريا وحي بن اخطب وابو ياسر بن اخطب من علماء اليهود وغيرهم
ممن حملهم الحسد على البقاء على ما كانوا عليه ولبسوا الحق بالباطل وكتموا
الحق وهم يعلمون

وكذلك وفد نجران من النصارى الى المدينة مع اسقفهم اعترفوا ولم
يومنوا فرضوا باداء الجزية الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ورفضوا ما دعاهم
اليه من المباهلة كما سيأتي تفصيل ذلك في محله وقيل أمن بعضهم بعد ذلك وكل
ميسر لما خلق له

هذا وقد اجتمع في سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من الاخلاق الكريمة
والاوصاف الحميدة والكمالات العلمية والعملية والمحاسن الراجعة الى النفس
والبدن وشرف النسب والوطن ما يجزم العقل الكامل بانه لا يجتمع في غير
نبي وهذه المحاسن والكمالات وان كان يوجد بعضها في غير النبي ايضا فانها
لا تجتمع كلها على الوجه الاكمل الا في الانبياء فاجتماعها كلها وما هو اعظم
منها لذاته صلى الله عليه وسلم من دلائل نبوته بلا توقف وقد اقر المخالفون
بوجود هذه المحاسن في ذاته صلى الله عليه وسلم وهذا اسيان هميس المسيحي
الذي هو اشد اعداء النبي صلى الله عليه وسلم والطاعنين في حقه قد اضطره
الحق الى الاقرار بوجود اكثر هذه الامور المذكورة في ذاته صلى الله عليه
وسلم فقال فيما نقله سيل عنه في مقدمة ترجمة القرآن في الصفحة السادسة من
النسخة المطبوعة سنة ١٠٨٥ ما نصه بحروفه انه يعني النبي صلى الله عليه وسلم
كان حسن الوجه زكيا وكانت طريقته مرضية وكان الاحسان الى المساكين

شيمته وكان يعامل الكل بالخلق الحسن وكان شجاعا على الاعداء وكان يعظم
اسم الله تعظيما عظيما وكان يشدد على المفترين والذين يرمون البراء وعلى الزناة
والقاتلين واهل الفضول والطامعين وشهود الزور تشديدا بليغا وكانت كثرة
وعظه فى الصبر والجود وصلة الرحم والبر والاحسان وتعظيم الابوين والكبار
وتوقيرهم وتكريمهم وكان عابدا مرتاضا فى الغاية

وبلغنى من بعض النصارى انه اطلع على كتاب فى اللغة الايطاليانية
عنوانه محمد وانه وجد فيه من صفة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم انه كان احسن
الخلق وجهاً وابهاهم جمالا الى غير ذلك من عظيم الصفات واكملها

التنبيه الثالث

اعلم ان من نظر الى ما اشتملت عليه الشريعة المحمدية الغراء مما يتعلق
بالاعتقادات والعبادات والمعاملات والسياسات والاداب والحكم علم قطعاً
انها عن وحى سماوى والقاء ربانى وان المبعوث بها لا يكون الا نبياً واعتراضات
المخالفين عليها واهية لا يلتفت اليها منشأها العناد الصرف والاعتساف البحت
لا سيما انه صلى الله عليه وسلم ظهر بين قوم لا كتاب لهم ولا حكمة فيهم
وقال انى بعثت من عند الله بالكتاب المنير والحكمة الباهرة لانور العالم
بالايمان الحق والعمل الصالح وقام بالامر مع ضعف حاله وقلة اعوانه وانصاره
مخالفا لجميع اهل الارض فى وقته آحادهم واوساطهم وسلاطينهم وجبابرتهم
فضلل آرائهم وسفه احلامهم وابطل مللهم وهدم دولهم واظهر دينه على
الاديان كلها فى مدة قليلة شرقا وغربا وزاد على ممر الاعصار وتعاقب الازمان
ولم يقدر الاعداء مع كثرة عددهم وشدة شوكتهم وشكيمتهم وفرط تعصبهم
وحميتهم وبذل غاية جهدهم فى اطفاء نوره واخفاء ظهوره وطمس آثار ملته

فما اتوا فى ذلك بطائل بل منعوا فانقطعوا وهل يكون ذلك الا بعون الهى
وتأييد سماوى ولنعم ما قال غملائيل معلم اليهود فى حق الحواريين (ياايها
الرجال الاسرايليون احترزوا لانفسكم من جهة هولاء الناس فيما انتم
مزمعون ان تفعلوه ﴿٣٦﴾ لانه قبل هذه الايام قام لوداس قائلا عن نفسه انه
الذى التصق به عدد من الرجال ونحو اربعمائة الذين قتلوا وجميع الذين انقادوا
اليه تشتتوا ﴿٣٨﴾ والان اقول لكم تنحوا عن هولاء الناس واتركوهم لانه
ان كان هذا الراى وهذا العمل من الناس فسوف ينتقض ﴿٣٩﴾ وان كان من
الله فلا تقدرون ان تنقضوه لئلا توجدوا محاربين لله ايضا كما هو مصرح فى
الباب الخامس من كتاب الاعمال وفى الزبور الاول لان الرب يعرف طريق
الصديقين وطريق المنافقين تهلك وفى الزبور الخامس ويهلك كل الذين يتكلمون
بالكذب الرجل السافك الدماء والفاحش يرذله الرب وفى الزبور الرابع
والثلاثين (وجه الرب على جميع الذين يعملون المساوى ليبيد من الارض
ذكرهم) وفى الزبور السابع والثلاثين لان سواعد الخطاة تنكر والرب يعضد
الصديقين ﴿٢٠﴾ الخطاة فيهلكون واعداء الرب جميعا اذ يمجدون ويرتفعون
ويبيدون وكالدخان يفنون . فلو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم من الصديقين
لاهلك الرب طريقه ورذله واباد ذكره من الارض وكسر سواعده وافناه
كالدخان لكنه لم يفعل شيئاً منها فكان محمد صلى الله عليه وسلم من الصديقين
ولعمرى ان الساعين فى تكذيب الدين المحمدى محاربون لله ولا يقدرون على
نقضه البتة كما وعد الله فى قوله (يريدون ليطفئوا نور الله) اى دين الاسلام
بافواههم اى باقوالهم الباطلة والله يتم نوره اى مبلغه غايته ولو كره الكافرون
اى المشركون واليهود والنصارى ولنعم ما قيل

الا قل لمن ظل لى حاسدا   اتدرى على من اسأت الادب

اسأت على الله فى فعله   كأنك لم ترض لى ما وهب

وكان ظهوره صلى الله عليه وسلم فى وقت كان الناس فيه محتاجين الى من يهديهم الى الطريق المستقيم ويدعوهم الى الدين القويم ولا يليق بحكمة الملك المبين ان لا يرسل فى هذا الوقت احدا يكون رحمة للعالمين وما ظهر احد يصلح لهذا الشان العظيم ويؤسس هذا البنيان القويم غير سيدنا (محمد بن عبد الله) صلى الله عليه وسلم فازال الرسوم الزائفة والمقالات الفاسدة واشرقت شموس التوحيد واقمار التنزيه وزالت ظلمة الشرك وغيرها . عليه من الصلاة افضلها ومن التحيات اكملها واليه صلى الله عليه وسلم اشار الله تعالى بقوله (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) قال الفخر الرازى قدس سره فى تفسير هذه الآية الفائدة فى بعثة محمد صلى الله عليه وسلم عند فترةٍ من الرسل هى ان التغيير والتحريف قد تطرق الى الشرائع المتقدمة لتقادم عهدها وطول زمانها وبهذا السبب اختلط الحق بالباطل والصدق بالكذب وصار ذلك عذرا ظاهرا فى اعراض الخلق عن العبادة لان لهم ان يقولوا يا آلهنا عرفنا انه لا بد من عبادتك ولكنا ما عرفنا كيف نعبدك فبعث الله تعالى فى هذا الوقت محمدا عليه الصلاة والسلام ازالة لهذا العذر انتهى كلامه بلفظه

التنبيه الرابع

ولما كان الانبياء عليهم السلام اخبروا وبشروا بنبوته عليه الصلاة والسلام وكان القسيسون يغلطون العوام فى هذا الباب تغليطاً ظاهراً ظهر

لى بعدما بينت ما ذكر ان اورد بعض امور تزيد المؤمن بصيرة منها ان الانبياء
عليهم السلام مثل اشعيا وارميا ودانيال وحزقيال وعيسى اخبروا عن الحوادث
الآتية كحادثة بخت نصر وقورش واسكندر وخلفائه وحوادث ارض
الروم ومصر ونينوى وبابل وبعد كل البعد ان لا يخبر احد منهم عن خروج
محمد صلى الله عليه وسلم الذى كان وقت ظهوره كأصغر البقول ثم صار شجرة
عظيمة تاوى طيور السماء الى اغصانها فكسر شوكة الجبابرة والاكاسرة
والقياصرة وغلبهم وبلغ دينه شرقا وغربا وغلب الاديان كلها وامتدت ايامه
واتصلت بحيث مضى على ظهوره الف وثلاثمائة وعشرين سنة الى هذا
الحين ولا يزال على ظهوره وحفظه الى آخر الدهر وقد ظهر فى امته صلى الله
عليه وسلم الوف الوفٍ من العلماء الربانيين والحكماء المتفننين والاولياء
الصالحين ذوى الكرامات والمجاهدات والسلاطين العظام والملوك الفخام
الذين مهدوا البلاد وقاموا بمصالح العباد فهذه الحادثة كانت اعظم الحوادث
فكيف يجوز العقل السليم انهم اخبروا عن الحوادث الضعيفة وتركوا الاخبار
عن هذه الحادثة العظيمة والنبى المتقدم اذا اخبر عن المتأخر لا يشترط فى
اخباره عنه ان يخبر بالتفصيل التام بانه يخرج من القبيلة الفلانية فى البلد الفلانى
وتكون صفته كيت وكيت بل يكتفى بالاشارة اليه ويكون اخباره عنه فى
غالب الاوقات مجهولا عن العوام واما عند الخواص فقد يصير جليا بواسطة
القرائن وقد يبقى خفيا عليهم ايضا لا يعرفون مصداقه الا بعد ادعاء النبى اللاحق
ان النبى المتقدم اخبر ثم يظهر صدق ادعائه بالمعجزات وعلامات النبوة وبعد
الادعاء وظهور صدقه يصير جليا عندهم بلا ريب كما وقع ليحى عليه السلام
مع الحواريين والادعاء ان المسيح خاتم النبيين ولا نبى بعده باطل كما ذكرناه

انهم كانوا منتظرين للنبي المعهود الآخر الذي يكون غير المسيح وايليا عليهما
السلام ولما لم يثبت بالبرهان مجيئه قبل المسيح فهو بعده لا محالة وفي الباب
السابع من انجيل متى احترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان
ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة) قوله الانبياء الكذبة المراد بهم الذين يتنبئون
اى يدعون الاطلاع على الغيب وهم ليسوا من اهل ذلك فالمسيح امر
بالاحتراز من الانبياء الكاذبين في دعواهم لا من الانبياء الصادقين المؤيدين
بالمعجزات والايات البينات ولذلك قيد بالكذبة ثم لو قال احترزوا من كل
نبي يجيء بعدى لكان فيه بحسب الظاهر وجه لتمسك الملحدين المبطلين فيما
ذهبوا اليه من التشغيب بالتكذيب ولكن لم يقل ذلك وعلى كل حال فمقصود
المسيح عليه السلام التحذير من الذين يدعون النبوة وهم كاذبون متقولون لا
من الانبياء الصادقين الذين ظهر صدقهم بالدلائل والبراهين ولذلك قال في
الباب السابع من ثمارهم تعرفونهم هل يجتنون من الشوك عنباً او من الحسك
تيناً ومحمد صلى الله عليه وسلم من الانبياء الصادقين كما يدل عليه ثماره ولا اعتبار
لمطاعن المنكرين وكل شخص يعلم ان اليهود ينكرون عيسى بن مريم عليهما
السلام ويكذبونه وليس عندهم رجل اشر منه من ابتداء العالم الى الآن وكذا
الوف من الحكماء والعلماء الذين هم من ابناء صنف القسيسين وكانوا
مسيحيين ثم خرجوا عن هذه الملة ينكرونه ويستهزؤن به وبملته والفوا رسائل
كثيرة لاثبات آرائهم واشتهرت هذه الرسائل في اكناف العالم ويزيد
متبعوهم كل يوم في ديار اوروبا فكما ان انكار اليهود وهولاء الحكماء
والعلماء في حق عيسى عليه السلام غير مقبول عندنا فكذا انكار اهل التثليث
في حق محمد صلى الله عليه وسلم غير مقبول عندنا والاخبار التي نقلها المسيحيون

فى حق عيسى عليه السلام لا تصدق عليه على تفاسير اليهود وتأويلاتهم ولذلك
هم ينكرونه اشد الانكار والعلماء المسيحيون لا يلتفتون فى هذا الباب الى
تفاسير اولئك وتأويلاتهم بل يفسرونها ويؤلونها بما يوافق ما ذهبوا اليه بحيث
انها تصدق فى زعمهم على عيسى عليه السلام قال صاحب كتاب ميزان الحق فى
الفصل الثالث من الباب الاول فى الصفحة ٤٦ من النسخة الفارسية المطبوعة
سنة ١٨٤٩ (المعلمون القدماء من الملة المسيحية ادعوا هذه الدعوى الصحيحة
غيران اليهود اوّلوا الايات التى كانت اشارة الى يسوع المسيح بتأويلات غير
صحيحة وغير لائقة وبنوها على خلاف الواقع

فقوله ادعوا هذه الدعوى الصحيحة غلط يقينا لان المعلمين القدماء كما
ادعوا هذه الدعوى ادعوا ان اليهود حرفوا الكتب تحريفا لفظيـاً ومع قطع
النظر عن هـذا اقول كما ان تأويلات اليهود فى الايات المذكورة مردودة
غير صحيحة وغير لائقة عند المسيحيين كذلك تأويلات المسيحيين فى الاخبار
التى هى فى حق محمد صلى الله عليه وسلم مردودة غير مقبولة والاخبار التى
نقلنا بعضها ونقلها ايضا فى حق محمد صلى الله عليه وسلم اظهر صدقا من الاخبار
التى نقلها الانجيليون فى حق عيسى عليه السلام ولذلك ينبغى ان لا نلتفت الى
تأويلاتهم الفاسدة وكما ان اليهود ادعوا فى حق بعض الاخبار التى هى فى حق
عيسى عليه السلام على زعم المسيحيين انها فى حق مسيحهم المنتظر لا فى حق
غيره او ليست هى فى حق احد والمسيحيون يدعون انها فى حق عيسى عليه
السلام ولا يبالون بمخالفة اليهود فكذا نحن لا نبالى بمخالفة المسيحيين واليهود
فى حق بعض الاخبار التى هى فى حق محمد صلى الله عليه وسلم ولله در الامام
شرف الدين الابوصيرى رضى الله عنه بما قال فى قصيدته اللامية

جاء المسيح من الاله رسولا | فابى اقل العالمين عقولا

ومنها

ان انكروا فضل النبي فانما | ارخوا على ضوء النهار سدولا
الله اكبر ان دين محمد | وكتابه اقوى واقوم قيلا
طلعت به شمس الهداية للورى | وابى لها وصف الكمال افولا
والحق ابلج فى شريعته التى | جمعت فروعا للهدى واصولا
لاتذكرا الكتب السوالف عنده | طلع الصباح فأطفأ القنديلا
درست معالمها الا فاستخبروا | عنها رسوما قد عفت وطلولا
تخبركم التوراة ان قد بشرت | قدما باحمد ام باسماعيلا
ودعته وحش الناس كل ندية | وعلى الجميع له الايادى الطولى
تجدوا الصحيح من السقيم فطالما | صدق الحبيب هوى الحبيب نحولا
طوبى لموسى حين بشر باسمه | ولسامع من قوله ما قيلا
وجبال فاران الرواسى انها | نالت من الدنيا به التفضيلا
من مثل موسى قد اقيم لاهله | من بين اخوتهم سواه رسولا
اوان اخوتهم بنو العيص الذى | نقلت بكارته لاسرائيلا
تالله ما كان المراد به فتى | موسى ولا عيسى ولا شمويلا
اذ لن يقوم لهم نبى مثله | منهم ولو كان النبى مثيلا
واستخبروا الانجيل عنه وحاذروا | من لفظه التحريف والتبديلا
ان يدعه الانجيل فارقليطه | فلقد دعاه قبل ذلك ايلا
ودعاه روح الحق للوحى الذى | يوحى اليه بكرة واصيلا
فتأمل القول الذى ما احسنت | امم المسيح لحسنه تأويلا

اذ قال لا يأتيكموا الا اذا　　ازمعت عنكم للاله رحيلا
ان انطلق عنكم يكن خيراً لكم　　ليجيئكم من ترتضون بديلا
يأتى على اسم الله منه مبارك　　ما كان وعد قدومه ممطولا
يتلو كتابا بالبيان كتابه　　وترد امثالى به التأويلا
من فند العلماء غير محمد　　منهم وجهل رأيهم تجهيلا
وازاح ملك الله منهم عنوة　　ليبيحه اهل التقى وبنيلا
وكما شهدت له سيشهد لى اذا　　صار العليم بما اتيت جهولا
يبدى الحوادث والغيوب حديثه　　ويسوسكم بالحق جيلا جيلا
هو صخرة ما زوحمت صدمت فلا　　تبغوا لها الا النجوم وعولا
والآخرون الاولون فقومه　　اخذوا على العمل القليل جزيلا
والمنحمنا لا تشكوا ان اتى　　لكم فليس مجيئه مجهولا
وهو الموكل آخرا بالكرم لا　　لا يختار ما الله عنه وكيلا
وهو الذى من بعد يحى جاءهم　　اذ كان يحى للمسيح رسيلا
وسل الزبور فان فيه الان من　　فصل الخطاب عن النبي فصولا
فهو الذى نعت الزبور مقلدا　　ذا شفرتين من السيوف ثقيلا
قرنت شريعته ببأس يمينه　　فاراك اخذ الكافرين وبيلا
فاضت على شفتيه رحمة ربه　　فاستشف من تلك الشفاه عليلا
ولغالب من حمده وبهائه　　ملأ الاعادى زلة وخمولا
فى امة خصت بكل كرامة　　وتفيأت ظل الصلاح ظليلا
وعلى مضاجعهم وكل ثنية　　كل يسر ويعلن التهليلا
رهبان ليل اسد حرب لم تلج　　الا القنا يوم الكريهة غيلا

كم غادروا الملك الجليل مقيدا والقرم من اشرافهم مغلولا
والله منتقم بهم من كل من يبغى عن الحق المبين عدولا
خضعت ملوك الارض طائعة له وغدا بهم قربانهم مقبولا
ما زال للمستضعفين مؤازرا ولمنفيه وذى الصلاح وصولا
لم يدعه ذو حاجة وضرورة الا ونال بجوده المأمولا
ذاك الذى لم يدعه ذو فاقة الا وكان له الزمان منيلا
تبقى الصلاة عليه دائمة فخذ وصف النبي عن الزبور مقولا
وكتاب شعيا مخبر عن ربه فاسمعه يفرح قلبك المتبولا
عبدى الذى سرت به نفسى ومن وحي عليه منزل تنزيلا
لم اعط ما اعطيته احدا من اا فضل العظيم وحسبه تخويلا
يأتى فيظهر فى الورى عدلى ولم يك بالهوى فى حكمه لميلا
ان غض من بصر ومن صوت فما غض التقى والحلم عنه كليلا
فتح العيون العور لكن العدى عن فضله صرفوا عيونا حولا
احيا القلوب الغلف اسمع كل ذى صمم وكم داء ازال دخيلا
يوصى الى الامم الوصايا مثلما يوصى الاب البر الرحيم سليلا
لا تضحك الدنيا له سناً وما لم يؤتَ منه عده تنويلا
من غير احمد جاء يحمد ربه حمدا جديدا بالمزيد كفيلا
وكتابه ما ليس يطفأ نوره والحق منقاد اليه ذليلا
خصم العباد بحجة الله التى اضحى بها عذر العدى متبولا
فرحت به البرية القصوى ومن فيها وفاضلت الوعور سهولا
وزهت وضاهت حسن لبنان الذى لولا كرامة احمد ما نيلا

ملئت مساكن آل قيدار به | عزًا وطابت منزلا ونزولا
جعلوا الكرامة للاله فاكرموا | والله يجزى بالجميل جميلا
وليته الحرم الحرام طريقه | تتلو رعيل المخلصين رعيلا
لاتخطر الارجاس فيه ولا يرى | لخطاهم فى ارضهم تنقيلا
كتفاه بينهما علامة ملكه | لله ملكا لا يزال أثيلا
من كان من حزب الاله فلم يزل | منه بحسن عناية مشمولا
هو راكب الجمل الذى سقطت به | اصنام بابل قد اتاك دليلا
والغرس فى البدو المشار لفضله | ان كنت تجهله فسل حزقيلا
غرست بارض البدو منه دوحة | لم تخش من حر الفلاة ذبولا
فاتتك فاضلة الغصون واخرجت | نارًا لما غرس اليهود اكولا
ذهبت بكرمة قوم سؤ ذللت | بيد الغرور قطوفها تذليلا
وسلوا الملائكة الذى قد ايدت | قيدار تبدى العلة المعلولا
وسلن حبقوق المصرح باسمه | وبوصفه وكفى به مسئولا
اذ وصّل القول الصريح بذكره | للسامعين فاحسن التوصيلا
فالارض من تحميد احمد اصبحت | وبنوره عرضاً تضيء وطولا
رويت سهام محمد بقسيه | وغدا بها من ناضلت منضولا
واسمع رؤيا بختنصر والتمس | من دانيال لها اذا تأويلا
وسلوه كم تمتد دعوة باطل | لتزيح علة مبطل وتزيلا
وارم العدا ببشائر عن ارميا | نقلت وكان حديثه المعقولا
اذ قال قد قدسته وعصمته | وجعلت للاجناس منه رسولا
وحديث مكة قد رواه مطولا | شعيا فخذه وجانب التطويلا

اذ راح بالقول الصريح مبشرا　　بالنسل منها عاقرا معضولا
وتشرفت باسم جديد فادعها　　حرم الاله بلغت منه السولا
فتنبهت بعد الخمول وكللت　　ابوابها وسقوفها تكليلا
ونأت عن الظلم الذى لا تتق　　لخضابه شيب الزمان نصولا
حرم على حمل السلاح محرم　　فكانما يسق السيوف فلولا
وتخال من تحريم حرمته العدا　　عزلا وقد حملوا السلاح وميلا
لم يتخذ بيت سواه قبلة　　فارد بذاك لما اقول قبولا
جمعت بها اغنام قيدار الذى　　قد كان منها ذبح اسماعيلا
فنمت وأمن خوفها وعدوها　　قد بات منها خائفا مهزولا
وكتاب شمعون النبى كلامه　　لكلام موسى قد اتى تذييلا
وجميع كتبهم على علاتها　　نطقت بذكر محمد تعليلا
لم يجهلوه غير ان سيوفه　　ابقت حقودا عندهم وزحولا
فاسمع كلامهم ولا تحمل على　　ما حرفوا من كتبهم تعويلا
لولا استحالتهم لما الفيتنى　　لك بالدليل على الغريم محيلا
او قد جهلت من الحديث رواية　　ام قد نسيت من الكتاب نزولا
فاترك جدال اخى الضلال ولا تكن　　بمراء من لا يهتدى مشغولا
ما لى اجادل فيك كل اخى عمىً　　كيا اقيم على النهار دليلا
فاعدل الى مدح النبى محمد　　قولا غدا عن غيره معدولا

ستأتى البقية فى الجزء الرابع



التنبيه الخامس

حسب المطالع المنصف ان ما ذكرناه من هذه البشارات وما لخصناه من كلام علمائنا المحققين في توضيح ما اشتملت عليه من الاشارات الى ما نقلناه عن الكتب القديمة وما ورد عن السنة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من ذكر اسمائه وصفاته وصفات اصحابه وامته وذكر شرفه وشرف بلده التي ينشأ فيها ويبعث منها وذكر البلدة التي يهاجر اليها ويكون منها ظهوره على اعدائه واستفحال امره وانتشار ملته في المشارق والمغارب لم تقصد به التعرض لرد تأويل المخالفين وما ذهبوا اليه في ذلك لان امرهم مفروغ منه وما قادتهم اليه افكارهم لا يردهم عنه راد ولا يصدهم عنه صاد وانما ذكرناه لاهل ملتنا المحمدية ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ويكون لهم زيادة في اعمالهم ووسيلة لصلاح احوالهم وليعلموا ما اظهره الله تعالى لانبيائه عليهم الصلاة والسلام من كرامة نبيه محمد عليه ومكانته لديه وعنايته به وليقفوا على ما كان عليه الانبياء عليهم السلام ونقله عنهم المؤمنون بهم من اممهم من عظيم تنويههم بعلى قدره صلى الله عليه وسلم واشادة ذكره

فالمؤمنون بالانبياء قد نقلوا ما ذكرناه عن الانبياء والانبياء اخذوه عن الله تعالى (اذ لا ينطقون عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) فقول الانبياء حق لا شبهة فيه وجميع ما نقله المؤمنون بهم عنهم في اصله صدق لا توقف في صحته وانما طرأ عليه بعد ذلك من تأويل اهل الاهواء وتصرفهم فيه بالنقص والزياده والتغيير والتحريف ما اعتل به واختل وصار داعياً لتفرقهم فيه الى فرق ونحل والله تعالى يمهل ولا يهمل

ومما يدل على سعادة امة الاجابة المحمدية ان جميع افرادها مؤمنون مصدقون بنبوة كل نبي لله ورسالة كل رسول لله مفطورون على تعظيم الجميع ومحبة الكل ويعتقدون اعتقادا جازما يدينون الله به أن جميع الانبياء معصومون قبل النبوة وبعدها من سائر الذنوب صغيرها وكبيرها منزهون عن جميع النقائص قليلها وكثيرها مبرؤن من كل ما يؤدى الى ازالة الحشمة او يسقط المرؤة ويوجب الازراء مطهرون من كل عيب وبناء على ذلك فجميع اقوالهم وافعالهم وحركاتهم وسكناتهم طاعة وقربة يجب على اممهم العمل بها ويتعين عليهم الاقتداء بهم فيها

وما نقله جهلة المؤرخين المولعون بنقل ما فى الاسرائيليات من القصص والخرافات فى حق اهل هذا المنصب العظيم والمقام النبوى الكريم فهو كذب محض وبهتان بحت واختلاق صرف فالمؤمن العاقل لا يوهن عزمه ويؤثر فى قوة اعتقاده قول اخرق منحل عرى الدين ولا يلتفت الى سخافة ضال يلقى الشك على جهلة المسلمين بل يجب عليه ان ينبذ سخفه بالعراء ويرغم انفه بتنزيه جميع الانبياء ويعرض عن قول من نقل ذلك من جهلة المفسرين المتعجرفين الذين ينقلون فى كتبهم الغث والسمين وما لا يقول به مسلم فالحذر الحذر منهم فان كل ما نقلوه عن اهل الملل والنحل فى ذلك قد قامت الدلائل الواضحة والبراهين القاطعة على بطلانه واجتثاثه من اصله

وبالجملة فجميع الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام معصومون لا يصدر عنهم ذنب اصلا ولا يقع منهم خلف مطلقا لا عمدا ولا سهوا ولا قصدا ولا خطأ ولا بوجه من الوجوه وجميع الصفات البهية من كمال الخلق وحسن الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن ثابتة لكل فرد فرد منهم

صلوات الله وسلامه عليهم فالكمال البشرى لهم وهم اهله اذ رتبهم اشرف الرتب ودرجتهم ارفع الدرجات

ومن المعلوم ان الله تعالى اختار الانبياء والرسل من خلقه واصطفاهم من عباده فقال عز وجل (ولقد اخترناهم على علم على العالمين) ثم فضل بعضهم على بعض وهذا التفضيل لا يتصور فى النبوة فان الانبياء فيها على حد واحد وانما التفاضل بامور زائدة عليها ولذلك منهم رسل ومنهم اولو عزم ومنهم من رفع مكاناً علياً ومنهم من أوتى الحكم صبياً ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات بان فضله على غيره من وجوه عديدة وهو محمد صلى الله عليه وسلم فانه خصه بالرسالة العامة والحجج الباهرة والبراهين القاطعة والآيات البينات الساطعة والفضائل العلمية والعملية وليس احد من الانبياء اعطى معجزة او فضيلة او كرامة الا وقد اعطى محمد مثلها او ما هو اعظم منها ومن فضيلته وبر الله به ان الله تعالى خاطب الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يانوح ياابراهيم ياموسى ياداود ياعيسى يازكريا يايحيي وخاطبه هو بياايها النبي ياايها الرسول ياايها المزمل ياايها المدثر وارسل الله كل واحد من الرسل الى قومه وارسله هو الى الناس كافة فقال تعالى (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا) وقال فى حق غيره من الرسل (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه) ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل امة من العرب بلسانها ويحاورها بلغتها وذلك ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدثهم بما يفهمون

ومن فضيلته وعناية الله به انه اخذ له الميثاق على كل نبي بعثه قبله بالايمان به والتصديق له ونصره على من خالفه واخذ عليهم ان يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم فادوه على اكمل وجه واتمه

قال تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي) اى ثقل ما حملتكم من عهدى (قالوا أقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين) فاخذ الله ميثاق النبيين جميعا بالتصديق له والنصر على من خالفه وادوا ذلك الى من آمن بهم وصدقهم من اهل هذين الكتابين وهما التوراة والانجيل

والكلام فى هذا الباب طويل الذيل مديد السيل وفى هذا القدر كفاية لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد

باب

﴿ فى ذكر بعثته صلى الله عليه وسلم وبدء الوحى وفيه فصول ﴾

﴿ الفصل الاول فى ابتداء امره صلى الله عليه وسلم واولية بعثته ﴾

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم من العمر اربعين سنة فى ربيع الاول نبىء وذلك لاحدى واربعين سنة للفيل وعشرين سنة لملك كسرى ابرويز بن هرمز ملك الفرس وكان ابتداء نبوته صلى الله عليه وسلم بالرؤيا الصادقة مدة ستة اشهر وانما ابتدىء صلى الله عليه وسلم بالرؤيا لئلا يفجأه الملك وهو جبريل عليه السلام بالرسالة فلا تتحملها القوى البشرية لان القوى البشرية لا تتحمل رؤية الملك وان لم يكن اى الملك على صورته التى خلقه الله عليها ولا قدرة له على سماع صوته ولا على ما يخبر به لاسيما الرسالة فكانت الرؤيا تأنيساً له صلى الله عليه وسلم وعن علقمة بن قيس اول ما يؤتى به الانبياء الرؤيا فى المنام حتى تهدأ قلوبهم ثم ينزل الوحى فى اليقظة ورؤيا الانبياء وحى لا اضغاث احلام وتخيل اذ لا

سبيل للشيطان عليهم لان قلوبهم نورانية فما يرونه فى المنام له حكم اليقظة فجميع ما ينطبع فى عالم مثالهم لا يكون الا حقا قال صلى الله عليه وسلم (نحن معاشر الانبياء تنام اعيننا ولا تنام قلوبنا) وفى يوم الاثنين لاربع وعشرين من رمضان من السنة المذكورة بعثه الله رحمة للعالمين ورسولا الى كافة الثقلين اجمعين وابتدىء فيه بانزال القرآن قال تعالى (شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن) وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان القرآن انزل جملة واحدة فى ليلة القدر الى بيت العزة فى سماء الدنيا ثم نزل نجوماً اى اجزاءً متفرقة على حسب الوقائع فنزول القرآن دفعة كان فى رمضان وابتداء نزوله على النبى صلى الله عليه وسلم كان فى رمضان والآية الشريفة صادقة على هذا وهذا وجميع الكتب المنزلة انزلت فى رمضان والله اعلم

وروى الامام احمد بن حنبل والطبرانى والبيهقى عن واثلة بن الاسقع قال نزلت صحف ابراهيم عليه السلام فى اول ليلة من رمضان اى الى بيت العزة وانزلت التوراة لست مضين منه وانزل الزبور لثلاث عشرة منه وانزل الانجيل لثمان عشرة منه وانزل القرآن لاربع وعشرين منه قال الحافظ فى الفتح هذا الحديث مطابق لقوله تعالى شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن ولقوله انا انزلناه فى ليلة القدر فتكون ليلة القدر فى تلك السنة ليلة اربع وعشرين فانزل فيها جملة الى سماء الدنيا والله اعلم ثم انزل فى صبيحتها اعنى اليوم الرابع والعشرين الى الارض اول سورة (اقرأ باسم ربك) ثم استمر نزوله نجوما على حسب الوقائع فى ثلاث وعشرين سنة لانه صلى الله عليه وسلم بعث لاربعين سنة وعاش ثلاث وستين وروى البخارى فى صحيحه حديث عائشة رضى الله عنها الذى سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابتداء امره ونصه اول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم

الرؤيا الصادقة او الصالحة روايتان فى النوم فكان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح وكان يأتى حراء فيتحنث اى يتعبد فيه والتحنث التعبد الليالى ذوات العدد وكان يتزود لذلك ثم يرجع الى خديجة فتزوده لمثلها حتى فجئه الحق (اى الوحى) وهو فى غار حراء فجاء الملك فيه فقال اقرأ قالت عائشة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما انا بقارىء اى لست ممن يعرف القراءة فاخذنى فغطنى (ضمنى) حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ فقلت ما انا بقارىء فاخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال اقرأ فقلت ما انا بقارىء فاخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد ثم ارسلنى فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) قالت عائشة فرجع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال زملونى زملونى اى (غطونى) فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسى فقالت خديجة كلا اى لا خوف عليك ابشر والله ما يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم اى تعطى ما لا يوجد عند غيرك وتقرى الضيف اى تهيء له الطعام وتعين على نوائب حوادث الحق لا الباطل فانطلقت به خديجة حتى اتت به ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزى بن عم خديجة تجتمع معه فى اسد وكان امرأ تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ماشاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة يابن عم اسمع من ابن اخيك قالته احتراما له على طريقة العرب فى التخاطب فقال له ورقة يابن اخى ماذا ترى فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى فقال له ورقة (هذا الناموس) اى صاحب

سر الوحي وهو جبريل عليه السلام الذي ازل على موسى ياليتني فيها اى مدة النبوة جذعا ليتني اكون حياً اذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اومخرجي هم قال نعم لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به الا عودى وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزراً وروى ابن اسحق عن عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ان ورقة بن نوفل قال للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني بما رأيت وسمعت فاخبره فقال له والذي نفسي بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذي جاء موسى ولتكذبن ولتؤذين ولتخرجن ولتقاتلن ولئن انا ادركت ذلك اليوم لانصرن الله بأتباعك نصرا يعلم ثم ادنى رأسه منه وقبل ما بين عينيه وقال ورقة ابياتا في زمن فترة الوحي اشار فيها الى ما قدمناه عنه وهي

ووصف من خديجة بعد وصف	فقد طال انتظاري ياخديجا
بما اخبرته من قول قس	من الرهبان يكره ان يعوجا
بان محمدا سيسود قوماً	ويخصم من يكون له حجيجا
ويظهر في البلاد ضياء نور	يقيم به البرية ان تموجا
الا ياليتني ان كان ذاكم	شهدت وكنت اولهم ولوجا
ولوجاً في الذي كرهت قريش	ولو عجت بمكتها عجيجا

وقال في ابيات اخرى

ياللرجال لصرف الدهر والقدر	وما لشيء قضاه الله من غير
حتى خديجة تدعوني لاخبرها	امراً اراه سيأتي الناس عن اثر
فخبرتني بامر قد سمعت به	فيما مضى من قديم الناس والعصر
بان احمد يأتيه فيخبره	جبريل انك مبعوث الى البشر

فقلت ان الذى ترجين ينجزه لك الاله فرجى الخير وانتظرى
وارسليه الينا كى نسائله عن امره مايرى فى النوم والسهر
فقال حين اتانا منطقا عجبا يقف منه اعالى الجلد والشعر
انى رايت امين الله واجهنى فى صورة كملت فى اهيب الصور
ثم استمر وكاد الخوف يذعرنى مما يسلم ما حولى من الحجر

ثم لم ينشب ورقة ان توفى وفتر الوحى واخذ صلى الله عليه وسلم يتردد الى حراء ويتعرض لما يأتيه من عند الله وعن جابر بن عبدالله الانصارى فى حديث فترة الوحى انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حديثه بينما انا امشى اى راجعا من حراء اذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصرى فاذا الملك الذى جاءنى بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض فرعبت منه فرجعت فقلت دثرونى دثرونى فانزل الله (يا ايها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر) فحمى الوحى وتتابع

وعن عبيد بن عمر بن قتادة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خرجت يعنى من حراء حتى اذا كنت فى وسط من الجبل سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسى فاذا جبريل فى صورة رجل صافاً قدميه فى افق السماء يقول يا محمد انت رسول الله وانا جبريل فوقفت انظر اليه فما اتقدم وما اتأخر وجعلت اصرف وجهى عنه فى آفاق السماء فلا انظر فى ناحية منها الا رأيته كذلك فما زلت واقفا لا اتقدم امامى ولا ارجع ورائى ثم انصرف عنى وانصرفت راجعا الى اهلى وحدثت خديجة بالذى رايت فقالت ابشر يا ابن عمى واثبت فوالذى نفس خديجة بيده انى لا ارجو ان تكون نبى هذه الامة

وغار حراء له فضل زائد على غيره من جبال مكة المشرفة فانه مفرد

جامع لكل خير وبركة لتحنثه صلى الله عليه وسلم وتعبده فيه وكان للنبي صلى الله عليه وسلم فيه اجتماع ثلاث عبادات الخلوة والتحنث والنظر الى البيت الحرام وغيره من جبال مكة ليست فيه هذه الثلاث وناهيك بالخلوة من عبادة عظيمة لان فيها فراغ القلب والانقطاع عن الخلق والراحة من اشغال الدنيا والتفرغ لله فيكون فيه صلى الله عليه وسلم متمكنا من قبول الوحى وحفظه

ولله در الامام المرجانى عبدالله بن محمد القرشى قدس الله سره حيث قال فى فضائل حراء وما اختصه الله به

تأمل حراء فى جمال محياه ... فكم من اناس من حلى حسنه تاهوا
فما حوى من جا لعلياه زائرا ... يفرج عنه الهم فى حال مرقاه
به خلوة الهادى الشفيع محمد ... وفيه له غار له كان يرقاه
وقبله للقدس كانت بغاره ... وفيه اتاه الوحى فى حال صبراه
وفيه تجلى الروح فى الموقف الذى ... به الله فى وقت البداء سواه
وتحت تخوم الارض فى السبع اصله ... ومن بعد هذا اهتز بالسفل اعلاه
ولما تجلى الله قدس ذكره ... لطور تشظى فهو احدى شظاياه
ومنها ثبير ثم ثور بمكة ... كذا قد اتى فى نقل تاريخ مبداه
وفى طيبة ايضا ثلاث فعدها ... فرضوى وورقانا واحد رويناه
ويقبل فيه ساعة الظهر من دعا ... به وينادى من دعانا اجبناه
وفى احد الاقوال فى عقبة حرا ... اتى ثم قابيل لهابيل غشاه
ومما حوى سرا حوته صخوره ... من التبر اكسيرا بقام سمعناه
سمعت به تسبيحها غير مرة ... واسمعته جمعا فقالوا سمعناه
به مركز النور الالهى مثبتا ... فلله ما احلى مقاما بأعلاه

فصل

﴿ فى ذكر اسلام خديجة بنت خويلد ام المومنين ﴾
﴿ رضى الله عنها ﴾

لما بعث صلى الله عليه وسلم اخفى امره وجعل يدعو الى الله سرا قال الامام الطبرى واول من اسلم مطلقا خديجة رضى الله عنها لم يتقدمها الى الدخول فى الاسلام رجل ولا امرأة باجماع المسلمين فهى اول من آمن بالله عز وجل وبرسوله صلى الله عليه وسلم وصدق بما جاء به من عند الله فخفف الله بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اثقالا وازال عنه اوجالا فلا يسمع شيئا يكرهه من رد عليه وتكذيب به فيحزنه ذلك الا فرج الله عنه بها فكان صلى الله عليه وسلم اذا رجع اليها تثبته وتخفف عليه وتدافع عنه وتهون عليه امر الناس رضى الله عنها

وقد روى ابن اسحق من حديث هشام بن عروة عن عبدالله بن جعفر ابن ابى طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت ان ابشر خديجة ببيت فى الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب والقصب اللولوء المجوف وروى ايضا عن هشام ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرأ خديجة السلام من ربها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك فقالت خديجة الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام

فصل

﴿ فى ذكر ابتداء فرض الوضوء وفرض الصلاة ﴾

ولاول ما اوحى الله اليه صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل وهو بحراء فعلمه

الوضوء قال فى المواهب ان جبريل بدا للنبى صلى الله عليه وسلم فى احسن صورة واطيب رائحة فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام ويقول لك انت رسولى الى الانس والجن فادعهم الى قول ﴿ لا اله الا الله محمد رسول الله ﴾ ثم ضرب برجله الارض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيف الوضوء للصلاة ثم امره ان يتوضأ كما رآه يتوضأ فلما فرغ صلى الله عليه وسلم من الوضوء قام جبريل يصلى وامر النبى صلى الله عليه وسلم يصلى معه فصلى به ركعتين نحو الكعبة فعلمه الوضوء والصلاة ثم عرج الى السماء ورجع صلى الله عليه وسلم لا يمر بحجر ولا شجر الا وهو يقول السلام عليك يارسول الله وعند ما اتى بيته اخبر خديجة فاغمى عليها من الفرح ثم امرها فتوضأت وصلى بها ركعتين كما صلى به جبريل فكان اول فرض الصلاة ركعتين قال مقاتل بن سليمان البلخى فى تفسيره كانت الصلاة اول فرض بعد فرض الوضوء وكانت ركعتين بالغداة وهى اول النهار قبل طلوع الشمس وركعتين بالعشى وهى قبل غروب الشمس وكان صلى الله عليه وسلم يقرأ فيها بما انزل عليه من سورة اقرأ قال فى فتح البارى والحجة فيه قوله تعالى ﴿ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ﴾ ثم فرضت ليلة الاسراء خمس صلوات فى خمسة اوقات قال الزرقانى فى شرح الموطا فرضت الصلاة ليلة الاسراء ركعتين الا المغرب ثم زيدت بعد الهجرة الا الصبح ثم بعد ان استقر فرض الرباعية بعد الهجرة خففت منها فى السفر عند نزول قوله تعالى ﴿ فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة ﴾ وروى عتبة بن مسلم عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل فصلى به الظهر حين مالت الشمس ثم صلى به العصر حين كان

ظله مثله ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ثم صلى به الصبح حين طلوع الفجر ثم صلى به الظهر فى اليوم الثانى حين كان ظله مثله ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالامس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الاول ثم صلى به الصبح مسفرا غير مشرق ثم قال يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالامس واول ما وجب الانذار والدعاء الى التوحيد ثم فرض الله على نبيه من قيام الليل ما ذكره فى اول سورة المزمل وهو قوله تعالى (قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه) ثم نسخه تعالى بما فى آخر السورة من قوله (فاقرأوا ما تيسر منه) اذ المراد صلوا ما تيسر لكم ثم نسخ وجوب قيام الليل على الامة بايجاب الصلوات الخمس ليلة الاسراء بمكة فتبين مما ذكرناه ان نبوته صلى الله عليه وسلم كانت مقارنة لرسالته بدليل ان الوضوء والصلاة كان اول الوحى مع نزول سورة اقرأ باسم ربك ولم يأمر النبى صلى الله عليه وسلم خديجة بالوضوء والصلاة الا بعد الوحى اليه بذلك وهذا عين الرسالة وتأخر اظهارها اى الرسالة لا يضر لجواز انه صلى الله عليه وسلم امر بالتبليغ حالا لمن علم اجابته وعدم اباءه كما كان يصلى مختفياً

فصل

﴿ فى ذكر اسلام على بن ابى طالب رضى الله عنه وذكر من اسلم معه على الترتيب الاول فالاول ﴾

اول ذكر من الناس مطلقا آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه وصدق بما جاء به من عند الله على بن ابى طالب بن عبد المطلب بن هاشم رضى الله عنه وهو يومئذ ابن عشر سنين فكان صلى الله عليه وسلم اذا حضرت

الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه على بن ابى طالب مستخفياً من ابيه
ابى طالب ومن جميع اعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها فاذا امسيا
رجعا وفى بعض الايام عثر عليهما ابو طالب وهما يصليان فقال لرسول الله صلى
الله عليه وسلم يا ابن اخى ما هذا الدين الذى اراك تدين به قال اى نعم هذا دين
الله الذى عليه ملائكته ورسله بعثنى الله به رسولا الى العباد وانت اى عم
احق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى واحق من اجابنى واعانى عليه
فقال ابو طالب يا ابن اخى لا استطيع ان افارق دين آبائى وما كانوا عليه ولكن
والله لا يخلص اليك بشىء تكرهه ما بقيت فى الدنيا ثم اجتمع ابو طالب بولده
على رضى الله عنه فقال له اى بنى ما هذا الدين الذى انت عليه قال يا ابت آمنت
برسول الله وصدقته فيما جاء به وصليت معه لله واتبعته فقال له اما انه لم يدعوك
الا الى خير فالزمه وفى اسبقية على بن ابى طالب رضى الله عنه الحقيقية يقول
كعب بن زهير من قصيدة يمدحه بها

ان علياً لميمون نقيبته ... بالصالحات من الافعال مشهور
صهر النبي وخير الناس مفتخرا ... فكل من رامه بالفخر مفخور
صلى الصلاة مع الامى اولهم ... قبل المعاد ورب الناس مكفور

روى الطبرانى عن ابى رافع رضى الله عنه انه قال صلى النبي صلى الله عليه
وسلم اول يوم من البعثة وهو يوم الاثنين اول النهار وصلت خديجة آخره
وصلى على يوم الثلاثا وفى المستدرك نبىء النبي صلى الله عليه وسلم اى بعث يوم
الاثنين ودخل على بن ابى طالب فى الاسلام يوم الثلاثا وروى الامام ابن عبد
البر ان محمد بن كعب القرظى سئل عن اولهما اى ابى بكر او على اسلاما فقال
على بن ابى طالب اولهما اسلاما وانما اشتبه على الناس حيث ان علياً اخفى

اسلامه عن ابيه وابا بكر اظهره كما قال على كرم الله وجهه

محمد النبي اخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي يضحي ويمسي ... يطير مع الملائكة ابن امي

وبنت محمد سكني وعرسي ... مشوب لحمها بدمي ولحمي

وسبطا احمد ابناي منها ... فمن منكم له سهم كسهمي

سبقتكم الى الاسلام طرًا ... صغيرًا ما بلغت اوان حلمي

وعن سلمان الفارسي رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اول هذه الامة ورودا على الحوض اولها اسلاما على بن ابي طالب ولما زوجه النبي صلى الله عليه وسلم فاطمه قال لها زوجتك سيدا فى الدنيا والاخرة وانه لاول اصحابي اسلاماً واكثرهم علماً واعظمهم حلماً وانشد المرزبان لخزيمة فى على رضى الله عنه

أليس اول من صلى لقبلتكم ... واعلم الناس بالقرآن والسنن

وفى اسد الغابة ان ابا طالب رأى النبي صلى الله عليه وسلم وعليا يصليان وعلى عن يمينه صلى الله عليه وسلم فقال لولده جعفر صل جناح ابن عمك يعنى النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم وصلى عن يساره وكان اسلام جعفر بعد اسلام اخيه على بقليل

فصل

﴿فى ذكر اسلام زيد بن حارثة﴾

ثم اسلم زيد بن حارثة بن شرحيل مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اول ذكر من الموالى اسلم وصلى بعد على بن ابي طالب رضى الله عنهما

قال ابن هشام فيما حدث به عن امر زيد كان حكيم بن حزام بن خويلد وجماعة من قريش قدموا من الشام برقيق اختطفوهم منها فيهم زيد بن حارثة ولاً ول وصولهم دخلت على حزام عمته خديجة بنت خويلد وهى يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها اختارى ياعمة اى هؤلاء الغلمان شئت فهو لك فاختارت زيدا فاخذته فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه وتبناه وذلك قبل ان يبعث رسولا فكان يقال له زيد بن محمد وكان حارثة ابو زيد وهو من موالى عرب غسان بالشام قد جزع عليه جزعا شديدا وبكى عليه حين فقده فقال

بكيت على زيد ولم ادر ما فعل ... احىٌّ فيرجى ام اتى دونه الاجل
فوالله ما ادرى وانى لسائل ... أغالك بعدى السهل ام غالك الجبل
ويا ليت شعرى هل لك الدهر اوبة ... فحسبي من الدنيا رجوعك لى بجل
تذكرنيه الشمس عند طلوعها ... وتعرض ذكراه اذا نورها افل
وان هبت الارياح هيجن ذكره ... فيا طول ما حزنى عليه وما وجل
ساعمل نص العيس فى الارض جاهداً ... ولا أسأم التطواف او تسأم الابل
حياتى او تأتى علىَّ منيتى ... فكل امرئ فانٍ وان غره الامل

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له صلى الله عليه وسلم ان شئت فاقم عندى وان شئت فانطلق مع ابيك فقال بل اقيم عندك فى خدمتك فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله رسولا الى خلقه فصدقه واسلم وصلى معه ولما انزل الله ادعوهم لاباءهم قال انا زيد بن حارثة

فصل

﴿ فى ذكر اسلام ابى بكر الصديق رضى الله عنه ﴾

ثم اسلم ابو بكر عبدالله بن ابى قحافة عثمان فكان اول رجل شريف قرشى بالغ اسلم واظهر اسلامه ودعا الى الله عز وجل والى رسوله قال ابن هشام كان ابو بكر رجلا مألفاً لقومه محبباً سهلاً وكان أنسب قريش لقريش واعلم قريش بما فى قريش من خير او شر وكان رجلا تاجرا ذا خلق حسن ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل رضى الله عنه يدعو الى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه ثم كان رضى الله عنه ثانيا للنبى صلى الله عليه وسلم فى الغار تابعاً له فى العلانية والاسرار باذلا نفسه مفارقاً اهله وماله ورياسته على قومه فى طاعة الله ورسوله جاعلا نفسه وقاية للنبى صلى الله عليه وسلم من المضار الى غير ذلك من مناقبه وخصاله الحميدة قال صلى الله عليه وسلم ان من أمن الناس علىّ فى صحبته وماله ابا بكر وقال صلى الله عليه وسلم ما احد اعظم عندى يدا من ابى بكر واسانى بنفسه وماله ثم اسلم بعده بلال بن رباح رضى الله عنه فكان اول من اسلم من العبيد المملوكين

وفى نسبة الاسبقية الاضافية لابى بكر رضى الله عنه الى الاسلام يقول حسّان بن ثابت رضى الله عنه

اذا تذكرت شجوا من اخى ثقة	فاذكر اخاك ابا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها واعدلها	بعد النبى واوفاها بما حملا
والثانى التالى المحمود مشهده	واول الناس قدما صدق الرسلا

فصل

﴿ فى ذكر من اسلم من الصحابة بدعوة ابى بكر ﴾ ﴿ رضى الله عنه ﴾

اسلم بدعوته عثمان بن عفان والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن ابى وقاص وطلحة بن عبيد الله فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابو اله فاسلموا وصلوا معه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت عنده فيه كبوة ونظر وتردد الا ما كان من ابى بكر فانه ما عكم اى تلبث عنه حين ذكرته له وما تردد فيه

ثم اسلم ابو عبيدة بن الجراح وابو سلمة والارقم بن ابى الارقم عبد مناف بن اسد وعثمان بن مظعون واخوه قدامة وعبدالله وعبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف وسعد بن زيد بن عمر بن نفيل احد العشرة وامراته ابنة الخطاب فهى ثانية لخديجة فى النساء اسلاما ثم سمية والدة عمار بن ياسر وام ايمن واسماء بنت ابى بكر وخباب بن الارث حليف بنى زهرة وعمير بن ابى وقاص اخو سعد بن ابى وقاص وعبدالله بن مسعود ومسعود بن القارى وسليط بن عمرو بن عبد شمس واخوه حاطب بن عمرو وعياش بن ربيعة بن المغيرة وامراته اسماء بنت سلامه التميمية وخنيس بن حذافة وعامر بن ربيعة وحاطب بن الحارث ومعمر بن الحارث والسائب بن عثمان والمطلب بن ازهر وعامر بن فهيرة مولى ابى بكر وحاطب بن عمرو بن عبد شمس وواقد بن عبدالله وعمار بن ياسر وصهيب بن سنان الرومى فى اخرين يطول ذكرهم ثم دخل الناس بعد ذلك ارسالا من النساء والرجال حتى فشا ذكر

الاسلام بمكة وما اليها من البلاد وتحدث الناس به فى الجهات

فصل

فى ذكر خلاف قريش وعدوانهم للنبي صلى الله عليه وسلم واذاهم له ولمن اسلم معه

ثم ان الله تعالى امر نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم بان يصدع بما جاء به من الحق ويخاطب به المشركين على وجه العموم فلا يخص بعضا دون بعض لانه صلى الله عليه وسلم بلغ ما امر به اولا لمن ظن اجابته دون مبالغة فى التعميم فامن به من مرّ ذكرهم مع كثيرين ثم امر بالمبالغة فى اظهار الدعوة بقوله تعالى (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين) وبقوله (وانذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) وبقوله (انى انا النذير المبين قال ابو عبيدة وعبدالله بن مسعود ما زال النبي صلى الله عليه وسلم مستخفيا فى دار الارقم حتى نزلت آية فاصدع بما تؤمر فجهر حينئذ هو واصحابه قال البيضاوى فى تفسيره فاصدع اى فاجهر بما تؤمر مأخوذ من صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا وفرق بين الحق والباطل لان الصدع هو الفرق بين الشيئين فالصدع بالحجة يفرق كلمة من ظهرت عليه وقهر بها وكان نزول اية فاصدع بما تؤمر بعد ثلاث سنين من النبوة وهى المدة التى اخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها امره الى ان امره الله تعالى باظهاره فنادى قومه بالاسلام وجاهرهم به ولم يقتصر صلى الله عليه وسلم على مجرد المجاهرة بالدعوة بل كرر ذلك واكده وبالغ فى اظهار الحجة حتى كانه صدع قلوبهم وذلك لما اورده عليهم من الحجج والبراهين التى عجزوا عن دفعها كما امره الله تعالى ومع ذلك فلم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه بل كانوا كما

قال الزهري غير منكرين لما يقول وكان اذا مر عليهم في مجالسهم يقولون هذا ابن عبد المطلب يكلم من السماء واستمر على ذلك حتى ذكر الهتهم وعابها حين دخل المسجد فوجدهم يسجدون للاصنام فنهاهم وقال ابطلتم دين ابيكم ابراهيم عليه السلام فقالوا انما نسجد لها لتقربنا الى الله فلم يرض بذلك منهم وعاب صنعهم وكان ذلك في السنة الرابعة من البعثة كما قاله العتبي فاعظموا ذلك منه وانكروه واجمعوا على خلافه وعداوته الاّ من عصمه الله منهم بالاسلام وحدب عليه عمه ابو طالب ومنعه وقام دونه فاشتد الامر وتضارب القوم كما جاء في كتب السير ان سعد بن ابي وقاص كان في نفر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون في بعض شعاب مكة فظهر عليهم نفر من المشركين من قريش فعابوا عليهم ما يصنعون وناكروهم حتى قاتلوهم . فضرب سعد رجلاً منهم بلحي بعير فشجه فكان اول دم اهريق في الاسلام واظهر بعضهم لبعض العداوة وتذامرت قريش وتناصرت على من اسلم منهم يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم بعمه ابي طالب وبني هاشم ما عدا ابا لهب وبني المطلب اخي هاشم بن عبد مناف بطلب من ابي طالب لذلك منهم لما رأى ما صنعوا بالمسلمين فاجتمعوا اليه وقاموا معه

فلما رأت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شيء انكروه عليه من فراقه وعيب الهتهم ورأوا ان عمه ابا طالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم مشى رجال من اشرافهم الى ابي طالب فقالوا يا ابا طالب ان ابن اخيك قد سب الهتنا وضلل اباءنا فاما ان تكفه عنا واما ان تخلي بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه فقال لهم قولا رقيقا

وردهم رداً جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ماهو عليه يظهر دين الله ويدعو اليه ثم شرى الامر وتقاقم بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا واكثرت قريش من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها فتذامروا فيه بعضهم بعضاً ثم انهم مشوا الى ابى طالب مرة اخرى فقالوا له يا ابا طالب ان لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا وانا قد استنهيناك من ابن اخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم ابائنا وتسفيه احلامنا وسب الهتنا حتى تكفه عنا او ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك احد الفريقين ثم انصرفوا عنه فعظم على ابى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا باسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ولا لخذلانه فبعث الى رسول الله صلى الله عليه فقال له يا ابن اخى ان قومك قد جاؤنى فقالوا لى كذا وكذا للذى قالوا له فابق علىّ وعلى نفسك ولا تحملنى من الامر مالا اطيق فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد بدا لعمه فيه مابدا وانه خاذله ومسلمه وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه فقال له ياعم والله لو وضعوا الشمس عن يمينى والقمر عن يسارى على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيه ماتركته ثم قام فلما ولىّ ناداه ابو طالب فقال اقبل يا ابن اخى على شانك وقل ما احببت فوالله لا أسلمك لاحد ابدا ثم قال له

والله لن يصلوا اليك بجمعهم	حتى اوسد فى التراب دفينا
فاصدع بامرك ماعليك غضاضة	وابشر وقرّ بذاك منك عيونا
ودعوتنى وذكرت انك ناصحى	ولقد صدقت وكنت ثمّ امينا
اظهرت ديناً لا محالة انه	من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذارى سبة	لوجدتنى سمحاً بذاك مبينا

قال ابن اسحق ثم ان قريشا لما عرفوا ان ابا طالب قد ابى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماعه لفراقهم فى ذلك وعداوتهم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة من بنى اعيانهم واحسن شبانهم فقالو له يا ابا طالب هذا عمارة بن الوليد انهد فتى فى قريش فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك واسلم الينا ابن اخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك وفرّق جماعة قومك وسفه احلامهم فنقتله فانما هو رجل كرجل فقال لبئس ما تسوموننى أتعطوننى ابنكم اغذوه لكم واعطيكم ابنى تقتلونه هذا والله ما لا يكون ابداً ثم قال لهم حين تروح الابل فان حنت ناقة الى غير فصيلها دفعته اليكم وهذا منه تعليق على محال على طريق الزامهم انها لا تحن الى غير فصيلها مع كونها عجماء فكيف انا مع كونى من ذوى الالباب فقال له مطعم بن عدى والله يا ابا طالب لقد انصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكره فما اراك تريد ان تقبل منهم شيئاً فقال له ابو طالب والله ما انصفونى ولكنك قد اجمعت على خذلانى ومظاهرة القوم علىّ فاصنع ما بدا لك فحقب الامر بعد هذا وحميت الحرب وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضاً بالبغضاء فقال ابو طالب عند ذلك يعرض بمطعم بن عدى ويعم من خذله من بنى عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سألوه وما تباعد من امرهم

الا قل لعمرو والوليد ومطعم ... الا ليت حظى من حياطتكم بكر
من الخور حبحاب كثير رغاؤه ... يرش على الساقين من بوله قطر
تخلف خلف الورد ليس بلاحق ... اذا ما على الفيفاء قيل له وبر
ارى اخوينا من ابينا وامنا ... اذا سئلا قالا الى غيرنا الامر
بلى لهما امر ولكن تجرجما ... كما جرجمت من رأس ذى علق صخر

اخص خصوصا عبد شمس ونوفلا　　هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر
هما اغمزا للقوم فى اخويهما　　فقد اصبحا منهم اكفهما صفر
هما اشركا فى المجد من لا أباله　　من الناس الا ان يرس له ذكر
وتيم ومخزوم وزهرة منهم　　وكانوا لنا مولى اذا بغى النصر
فوالله لا تنفك منا عداوة　　ولا منهم ما كان من نسلنا شفر

ولما رأى ابو طالب من قومه بنى هاشم وبنى المطلب ما سره فى جدهم معه وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم ويذكر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانه ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على امره فقال

اذا اجتمعت يوماً قريش لمفخر　　فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت اشراف عبد منافها　　ففى هاشم اشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا　　هو المصطفى سر الورى وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها　　علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لا نقر ظلامة　　اذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمى حماها كل يوم كريهة　　ونضرب عن احجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وانما　　باكنافنا تندى وتنمى ارومها

ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر موسم الحج فقال لهم يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بامر صاحبكم (يعنى النبى صلى الله عليه وسلم) فاجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا ويرد بعضكم قول بعض فقالو فانت يا ابا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقول به قال بل انتم قولوا فاسمع قالوا نقول كاهن قال لا والله ماهو بكاهن لقد رأينا

الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه قالوا فنقول مجنون قال ماهو بمجنون
لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا فنقول
شاعر قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه
ومقبوضه ومبسوطه فما هو بشاعر قالوا نقول ساحر قال ماهو بساحر لقد
رأينا السحر واهله فما هو بنفثه ولا عقده قالوا فما نقول قال لقد سمعت منه
قولا والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان اعلاه لمثمر
ما يقول هذا بشر وما انتم بقائلين فى هذا شيئاً الا اعرف انه باطل وان اقرب
القول فيه ان تقولوا ساحر جاء بسحر يفرق بين المرء وأبيه والمرء واخيه
وتفرقوا عنه بذلك وجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لايمر بهم
احد الاحذروه منه وذكروا له امره فانزل الله فى الوليد بن المغيرة هذا
قوله ﴿ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت
له تمهيدا ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر
وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر
واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر﴾ وانزل عز وجل
فى النفر الذين كانوا معه يصنفون القول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفيما جاء به من الله تعالى ﴿كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين﴾ اى
اصنافاً ﴿فوربك لنسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون﴾ قال ابن اسحق فجعل
اولئك النفر يقولون ما اتفقوا عليه فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقوه
من الناس وصدرت العرب الى اوطانها من ذلك الموسم بخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره فى بلاد العرب كلها وما اليها من النواحى
والاقطار

فصل

فى ذكر شعر ابى طالب بن عبد المطلب فى استعطاف قريش

ولما خشى ابو طالب دهماء العرب ان يركبوه مع قومه قال قصيدته التى تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودّد فيها لاشراف قريش وهو على ذلك يخبرهم هم وغيرهم من العرب فى شعره انه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تاركه ابدا حتى يهلك دونه فقال

خليلى ما اذنى لاول عاذل ... بصغواء فى حق ولا عند باطل

خليلى ان الراى ليس بشركة ... ولا نهنهٍ عند الامور البلابل

ولما رأيت القوم لا ود عندهم ... وقد قطعوا كل العرا والوسائل

وقد صارحونا بالعداوة والاذى ... وقد طاوعوا امر العدوّ المزايل

وقد حالفوا قوما علينا اظنة ... يعضون غيظاً خلفنا بالانامل

صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة ... وابيض عضب من تراث المقاول

واحضرت عند البيت رهطى واخوتى ... وامسكت من اثوابه بالوصائل

قياما معا مستقبلين رتاجه ... لدى حيث يقضى خلفه كل نافل

وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم ... بمفضى سيولٍ من اساف ونائل

موسمة الاعضاد او قصراتها ... مخيسة بين السديس وبازل

ترى الودع فيها والرخام وزينة ... باعناقها معقودة كالعثا كل

اعوذ برب الناس من كل طاعن ... علينا بسوء أو ملح بباطل

ومن كاشح يسعى لنا بمعيبة ... ومن ملحق فى الدين ما لم نحاول

وثورٍ ومن أرسى ثبيرا مكانه ... وراق لبرٍ فى حراء ونازل

وباليت حق اليت من بطن مكة　　وبالله ان الله ليس بغافل
وبالحجر المسودّ اذ يمسحونه　　اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل
وموطىء ابراهيم فى الصخر رطبة　　على قدميه حافيا غير ناعل
واشواط بين المروتين الى الصفا　　وما فيهما من صورة وتماثل
ومن حج بيت الله من كل راكب　　ومن كل ذى نذر ومن كل راجل
وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له　　الالٌ الى مفضى الشراج القوابل
وتوقافهم فوق الجبال عشية　　يقيمون بالايدى صدور الرواحل
وليلة جمع والمنازل من منى　　وهل فوقها من حرمة ومنازل
وجمع اذا ما المقربات أجزنه　　سراعا كما يخرجن من وقع وابل
وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها　　يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وكندة اذ هم بالحصاب عشية　　تجيز بهم حجاج بكر بن وائل
حليفان شدا عقد ما احتلفا به　　وردا عليه عاطفات الوسائل
وحطمهم سمر الرماح وسرحه　　وشبرقه وخد النعام الجوافل
فهل بعد هذا من معاذٍ لعائذ　　وهل من معيذ يتقى الله عادل
يطاعُ بنا العدى وودوا لو اننا　　تسد بنا ابواب عجم وكابل
كذبتم وبيت الله نترك مكة　　ونظعن الا امركم فى بلابل
كذبتم وبيت الله نبزى محمدا　　ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع حوله　　ونذهل عن ابنائنا والحلائل
وينهض قوم فى الحديد اليكم　　نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل
وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعه　　من الطعن فعل الانكب المتحامل
وانا لعمر الله ان جد ما أرى　　لتلتبسن أسيافنا بالاماثل

بكفى فتى مثل الشهاب سميدع ... اخى ثقة حامى الحقيقة باسل
شهورا واياماً وحولا محرماً ... علينا وتأتى حجة بعد قابل
وما ترك قوم لا أبالك سيدا ... يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وابيض يستسقى الغمام بوجهه ... ثمال اليتامى عصمة للارامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم ... فهم عنده فى رحمة وفواضل
لعمرى لقد اجرى اسيد وبكره ... الى بغضنا او جزآءنا لآكل
وعثمان لم يرجع علينا وقنفذ ... ولكن اطاعا أمر تلك القبائل
أطاعا ابيا وابن عبد يغوثهم ... ولم يرقبا فينا مقالة قائل
كما قد لقينا من سبيع ونوفل ... وكل تولى معرضا لم يجامل
فان يلقيا او يمكن الله منهما ... نكل لهما صاعا بصاع المكايل
وذاك ابو عمرو أبى غير بغضنا ... ليطعننا فى اهل شاء وجامل
يناجى بنا فى كل ممسى ومصبح ... فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل
ويؤلى لنا بالله ما ان يغشنا ... بلى قد نراه جهرة غير حائل
أضاق عليه بغضنا كل تلعة ... من الارض حتى أخشب فجادل
وسائل ابا الوليد ماذا حبوتنا ... بسعيك فينا معرضاً كالمخاتل
وكنت امرءا ممن يعاش برأيه ... ورحمته فينا ولست بجاهل
فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح ... حسود كذوب مبغض ذى دغائل
ومرّ ابو سفيان عنىَ معرضاً ... كانه قيل من عظام المقاول
يفر الى نجد وبرد مياهه ... ويزعم انى لست عنكم بغافل
ويخبرنا فعل المناصح انه ... شفيق ويخفى عاديات الدواخل
أمطعم لم اخذلك فى يوم نجدة ... ولا معظم عند الامور الجلائل

ولا يوم خصم اذ أتوك اشدة اولى جدل عند الخصوم المساجل
امطعم ان القوم ساموك خطة وانى متى أوكل فلست بواكل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير اجل
بميزان قسط لا يخس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل
لقد سفهت احلام قوم تبدلوا بنى خلف غيظاً بنا والغياطل
ونحن الصميم من ذؤابة هاشم وآل قصى فى الخطوب الاوائل
وسهم ومخزوم تمالوا والبوا علينا العدى من كل طمل وخامل
فعبد مناف انتم خير قومكم فلا تشركوا فى امركم كل واغل
لعمرى لقد وهنتم وجزعتم وجئتم بأمر مخطىء للمفاصل
وكنتم حديثاً حطب قدر فانتم الى الان حطب اقدر ومراجل
ليهنأ بنى عبد مناف عقوقنا وخذلاننا او تركنا فى المعاقل
فان نك قوما نتئر ما صنعتم وتحتلبوها لقحة غير باهل
وسائط كانت فى لؤى بن غالب نفاهم الينا كل صقر حلاحل
ورهط نفيل شر من وطئ الحصى وألأم حاف من معد وناعل
فابلغ قصياً ان سينشر امرنا وبشر قصياً بعدنا بالتخاذل
ولو طرقت ليلا قصياً عظيمة اذا ما لجأنا دونهم فى المداخل
ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم لكنا أسى عند النساء المطافل
وكل صديق وابن اخت نعده لعمرى وجدنا غبه غير طائل
سوى ان رهطاً من كلاب بن مرة براء الينا من معقة خاذل
وهنالهم حتى تبدد جمعهم ويحسر عنا كل باغ وجاهل
وكان لنا حوض السقاية فيهم ونحن الكدى من غالب والكواهل

شباب من المطيبين وهاشم — كبيض سيوف بين ايدى الصياقل
فما ادركوا ذحلا ولا سفكوا دما — ولا خالفوا الأشرار القبائل
بضرب ترى القتيان فيه كأنهم — ضوارى أسود فوق لحم خرادل
بنى امة محبوبة هندكية — بنى جمح عبيد قيس بن عاقل
ولكننا نسل كرام لسادة — بهم نُعى الاقوام عند البواطل
ونعم ابن اخت القوم غير مكذب — زهير حساما مفردا من حمائل
اشم من الشم البها ليل ينتمى — الى حسب فى حومة المجد فاضل
لعمرى لقد كلفت وجدا باحمد — واخوته داب المحب المواصل
فلا زال فى الدنيا جمالا لاهلها — وزينا لمن والاه رب المشاكل
فمن مثله فى الناس اى مؤمل — اذا قاسه الحكام عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش — يوالى الهاً ليس عنه بغافل
فوالله لولا ان اجىء بسبة — تجر على اشياخنا فى المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة — من الدهر جدا غير قول التهازل
لقد علموا ان ابننا لا مكذب — لدينا ولا يعنى بقول الاباطل
فأصبح فينا احمد فى ارومة — تقصر عنها سورة المتطاول
حدبت بنفسى دونه وحميته — ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
فأيده رب العباد بنصره — واظهر دينا حقه غير باطل
رجال كرام غير ميل نماهم — الى الخير آباء كرام المحاصل
فان تك كعب من لوى صقيبة — فلا بد يوما مرة من تزايل

ولما انتشر خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العرب وبلغ البلدان ذكر بالمدينة ولم يك حى من العرب اعلم بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم

حين ذكر وقبل ان يذكر من هذا الحى من الاوس والخزرج وذلك لما كانوا يسمعونه من احبار اليهود من صفاته ونعوته واخباره المتعلقة بوقت ظهوره وعلامات ذلك وكانوا لهم حلفاء ومعهم فى بلادهم فلما وقع ذكره فى المدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال ابو قيس ابن الاسلت اخو بنى واقف من الاوس قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشا فيها عن الحرب ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه الفيل وكيد اهله عنهم وكان هذا من ابى قيس وهو على شركه وقبل ان يسلم اهل المدينة فقال

يا راكبا اما عرضت فبلغا ... مغلغلة عنى لؤى بن غالب

رسول امرئ قدراعه ذات بينكم ... على النائى محزون بذلك ناصب

وقد كان عندى للهموم معرس ... ولم اقض منها حاجتى ومأربى

نبيتكم سرجين كل قبيلة ... لها أزمل من بين مذك وحاطب

اعيذكم بالله من شر صنعكم ... وشر تباغيكم ودس العقارب

واظهار اخلاق ونجوى سقيمة ... كوخز الاثافى وقعها حق صائب

فذكرهم بالله اول وهلة ... واحلال احرام الظباء الشوازب

وقل لهم والله يحكم حكمه ... ذروا الحرب تذهب عنكم فى المراحب

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة ... هى الغول للاقصين او للاقارب

تقطع ارحاما وتهلك امة ... وتبرى سديفا من سنام وغارب

وتستبدلوا بالاتحمية بعدها ... شليلا واصداء ثياب المحارب

وبالمسك والكافور غبرا سوابغا ... كأن قتيريها عيون الجنادب

فاياكم والحرب لا تعلقنكم ... وحوضا وخيم الماء مر المشارب

تزين للاقوام ثم يرونها	بعاقبة اذ بينت ام صاحب
تحرق لا تشوى ضعيفاً وتنتحى	ذوى العز منكم بالحتوف الصوائب
الم تعلموا ما كان من حرب داحس	فتعتبروا او كان من حرب حاطب
وكم قد اصابت من شريف مسود	طويل عمادٍ ضيفه غير خائب
عظيم رماد النار يحمد امره	وذى شيمة محض كريم المضارب
وماء هريق فى الضلال كانما	اذاعت به ريح الصبا والجنائب
يخبركم عنها امرؤ حق عالم	بايامها والعلم علم التجارب
فبيعوا الحراب مل محارب واذكروا	حسابكم والله خير محاسب
ولىّ امرئ فاختار دينا فلا يكن	عليكم رقيب غير رب الثواقب
اقيموا لنا دينا حنيفا فانتمو	لنا غاية قد يهتدى بالذوائب
وانتم لهذا الناس نور وعصمة	تؤمون والاحلام غير عوازب
وانتم اذا ما حصل الناس جوهر	لكم سرة البطحاء شم الارانب
تصونون اجسادا كراماً عتيقة	مهذبة الأنساب غير أشائب
يرى طالب الحاجات نحو بيوتكم	عصائب هلكى تهتدى بعصائب
لقد علم الاقوام ان سراتكم	على كل حال خير اهل الجباجب
وأفضله رأيا واعلاه سنة	وأقوله للحق وسط المواكب
فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا	بأركان هذا البيت بين الاخاشب
فعندكم منه بلاء ومصدق	غداة ابى يكسوم هادى الكتائب
كتيبته بالسهل تمشى ورجله	على القاذفات فى رؤس المناقب
فلما اتاكم نصر ذى العرش ردهم	جنود مليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب	الى اهله مل جيش غير عصائب

فان تهلكوا نهلك وتهلك مواسم　　يعاش بها قول امرئ غير كاذب

فصل

فى ذكر شدة اذى قريش للنبى صلى الله عليه وسلم واستهزائهم به

واشتد اذى قريش للنبى صلى الله عليه وسلم وكان منهم جماعة يستهزؤن به اشدهم عليه فى ذلك خمسة منهم وهم الوليد بن المغيرة وهو رئيسهم والعاص بن وائل السهمى والحارث بن قيس والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب وكانوا يبالغون فى ايذائه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء به فكان جبريل عليه السلام مع النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم فمروا بهما واحدا بعد واحدٍ فشكاهم الى جبريل فقال جبريل أمرت ان أكفيكهم فأوما الى ساق الوليد فمر لعنه الله بنبال يريش نبله فتعلق بثوبه سهم قال البغوى فعرضت شظية من ذلك النبل فلم ينعطف لاخذه تعاظما واستكبارا فاصاب عرقاً فى عقبه فمرض فمات كافرا واومأ الى اخمص العاص فدخلت فيه شوكة من رطب الضريع فانتفخت رجله حتى صارت كالرحى فمات واشار الى انف الحارث فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل والعياذ بالله ينطح برأسه الشجرة ويضرب وجهه بالشوك حتى مات واشار الى عينى الاسود بن عبد المطلب فعمى بصره كما عميت بصيرته ثم وجعته عينه فضرب برأسه الجدار حتى هلك وهو يقول قتلنى رب محمد والى هولاء الخمسة ألانجاس اشار صاحب الهمزية بقوله

وكفاه المستهزئين وكم ساً　　نبياً من قومه استهزاء

خمسة كلهم اصيبوا بداء　　والردى من جنوده الأدواء

فدهى الاسود بن مطلب أى عمى ميت به الاحياء
ودهى الاسود بن عبد يغوث ان سقاه كاس الردى استسقاد
واصاب الوليد شظية سهم قصرت عنها الحية الرقطاء
وقضت شوكة على مهجة العا ص فلله نقعة شوكاء
وعلا الحارث القيوح وقدسا ل بها رأسه وساء الوعاء
خمسة طهرت بقطعهم الارض فكف الاذى بهم شلاء

وقد انزل الله تعالى فى هؤلاء المستهزئين على النبى صلى الله عليه وسلم قوله (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله آلها اخر فسوف يعلمون ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) وقد سلاه سبحانه وتعالى بقوله (ولقد استهزى برسل من قبلك) الآية وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه انه من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله من كفار الامم الذين يستهزؤن برسل الله ولا يخفى ما فى هذا كله من الاكرام وحسن المعاملة منه تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ان المستهزئين كانوا ثمانية وصححه فى الغرر فزادوا ابا لهب فهلك بالعدسة وهى ميتة شنيعة وعقبة بن ابى معيط فقتل صبرا بعد انصرافه صلى الله عليه وسلم من بدر والحكم بن العاص بن امية فنجا من الهلاك بأسلامه قال العراقى فى الفيته

ثامنهم اسلم وهو الحكم فقد كفاه شره اذ يسلم

وكان صلى الله عليه وسلم فى اول امره يطوف على الناس فى منازلهم يقول ان الله يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وابو لهب عمه وراءه يقول يا ايها الناس ان هذا يأمركم ان تتركوا دين ابائكم وذلك عار عليكم

فانظر ايها العاقل هذا الابتلاء فى الله فلو كان من غير قريب لكان اسهل على النفس لان العرب كانت تقول قوم الرجل اعلم به ولذا قال صلى الله عليه وسلم ما أوذى احد بمثل ما أوذيت ولما تكرر اذاهم له صلى الله عليه وسلم دعا عليهم كما هو فى صحيح البخارى عن عبدالله بن مسعود فقال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات اى باهلاك كفارهم ثم سمى وعين فى دعائه فقال اللهم عليك بعمرو بن هشام وهو ابو جهل وعتبة بن ربيعة واخيه شيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وامية بن خلف وعقبة بن ابى معيط وعمارة بن الوليد قال عبدالله بن مسعود فوالله لقد رايتهم اى اكثرهم صرعى يوم بدر ثم سحبوا الى القليب قليب بدر ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (واتبع اصحاب القليب لعنة) فكما انهم مقتولون فى الدنيا فهم مطرودون فى الاخرة مبعدون عن رحمة الله وقول ابن مسعود انه رآهم صرعى فى القليب محمول على الاكثر لان عقبة بن ابى معيط لم يقتل ببدر بل اسر ثم قتل بامر النبى صلى الله عليه وسلم صبرا بعد ان رحلوا عن بدر مرحلة بمحل يقال له عين الظبية وامية بن خلف لم يطرح فى القليب كما هو بكامل بدنه بل طرح مقطعا اربا اربا فى حفرة وطرح التراب عليه

قال ابن اسحق فحدثنى يحيى بن عروة بن الزبير عن ابيه عروة بن الزبير عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال قلت له ما اكثر ما رايت قريشا اصابوا من رسول الله فيما كانوا يظهرون من عداوته قال حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم يوما فى الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من امر هذا الرجل قط سفه احلامنا وشتم اباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب الهتنا لقد صبرنا منه على امر عظيم او كما قالوا فبينما هم فى ذلك اذ طلع

رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم فاقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم
طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك فى وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها
فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر بهم الثالثة فغمزوه
بمثلها فوقف ثم قال اتسمعون يامعشر قريش اما والذى نفسى بيده لقد جئتكم
بالذبح قال فاخذت بالقوم كلمته مأخذاً عظيماً حتى ما منهم رجل الا كانما على
راسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وطأة قبل ذلك ليرفؤه باحسن ما يجد
من القول وحتى انه ليقول انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولا
قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان الغد اجتمعوا فى
الحجر وانا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا
باداكم بما تكرهون تركتموه فبينما هم فى ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد واحاطوا به يقولون انت الذى
تقول كذا وكذا لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم نعم انا الذى اقول ذلك قال فلقد رأيت رجالا منهم اخذوا بمجمع
ردائه فقام ابو بكر رضى الله عنه دونه وهو يدافع عنه ويقول اتقتلون رجلا
ان يقول ربى الله ثم حماه الله منهم وانصرفوا عنه قال ذلك اشد ما رايت
قريشا نالوا منه صلى الله عليه وسلم وقال ابن اسحاق وحدثنى بعض
آل ام كلثوم ابنة ابى بكر انها قالت رجع ابو بكر يومئذ وقد صدعوا
فرق راسه اى حلوا ضفائر راسه من كثرة ما جبذوه بايديهم وكان رجلا
كثير شعر الراس قال ابن هشام حدثنى بعض اهل العلم ان اشد ما لقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش انه خرج يوماً فلم يلقه احد من

الناس يعنى من اهل مكة الا كذبه وآذاه فرجع رسول الله صلى الله عليه
وسلم الى منزله فتدثر من شدة ما اصابه فانزل الله تعالى عليه (يا ايها المدثر قم
فانذر) وهذه الاية نزلت فى اول الرسالة عندما امر صلى الله عليه وسلم
بالتبليغ فهى من آيات الكتاب التى تكرر نزولها قال ابن اسحق حدثنى رجل
من قبيلة اسلم كان واعية اى حافظاً لما يراه ويسمعه ان ابا جهل لعنه الله مر
برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فآذاه وشتمه كما هو شأن الكفار
مع الرسل عليهم الصلاة والسلام من العيب لدينهم والتضعيف لامرهم
فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم انصرف عدو الله عنه الى ناس
من قريش عند الكعبة فجلس معهم فكان ذلك سببا لاسلام حمزة عم رسول
الله صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل ﴾

﴿ فى ذكر اسلام حمزة رضى الله عنه ﴾

ثم بعد اسلام من تقدم ذكرهم اسلم حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء
اسد الله واسد رسوله خير اعمام المصطفى صلى الله عليه وسلم واخوه من
الرضاعة ارضعته ثويبة قبل ولادة النبى صلى الله عليه بسنتين فهو اسن من
النبى صلى الله عليه وسلم وسبب اسلامه ان مولاة اخته صفية بنت عبد المطلب
اخبرته وكان راجعاً من صيده وقالت له يا ابا عمارة لو رايت ما لقى ابن اخيك
محمد آنفا من الحكم بن هشام وهو ابو جهل لعنه الله وجده هاهنا جالسا
فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد فقال لها حمزة
انتِ رايت وسمعت هذا الذى تقولين قالت نعم وكان من عادة حمزة اذا رجع
من قنصه لا يدخل الى اهله الا بعد ان يطوف بالبيت فاحتمل حمزة الغضب

لما اراده الله به من كرامته فقصد المسجد يسعى ولم يقف على احد مستعدا لابى جهل اذا لقيه ان يوقع به فلما دخل المسجد نظر اليه جالسا فى القوم فاقبل نحوه حتى اذا قام على راسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتم ابن اخى وانا على دينه اقول كما يقول فرد عليّ ذلك ان استطعت وروى اهل السير لما قام حمزة على رأس ابى جهل جعل يتضرع اليه ويقول ان ابن اخيك سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف ابائنا فضربه حمزة وقال له ذاك من اسفهِ وحنقه عليكم انكم تعبدون الحجارة من دون الله اشهد ان لا آله الاالله واشهد ان محمدا رسول الله فقام رجال من بنى مخزوم وهم عشيرة ابى جهل لينصروا اخاهم اباجهل وقالوا ياحمزة مانراك الاّ قدصبأت (اى خرجت عن دينك) فقال وما يمنعنى وقد استبان لى من ابن اخى ما جعلنى اشهد انه رسول الله وان الذى يقوله حق والله لاأنزع فامنعونى ان كنتم صادقين وكثر الشغب بين حمزة والقوم فقام ابو جهل الى قومه وقال لهم دعوا أبا عمارة فانى والله لقد سببت ابن اخيه سباً قبيحاً وتم حمزة على اسلامه ولما اصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره باسلامه وقال له اشهد انك لصادق فأظهر يا ابن اخى دينك قال ابن سيد الناس اليعمرى فى سيرته قال ابن عباس رضى الله عنهما ان هذه الواقعة كانت سبب نزول قوله تعالى (اومن كان ميتا فاحييناه وجعلناله نورا يمشى به فى الناس) يعنى حمزة (كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) يعنى ابا جهل وسرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلام حمزة لانه كان اعزُ فتى فى قريش وأشده شكيمة وقد كبرُ على قريش وعظم فى صدورهم اسلام حمزة وعلموا أنه يمنع النبى صلى الله عليه وسلم منهم وأيد حمزة اسلامه بقوله

حمدت الله حين هدى فؤادى ... الى الاسلام والدين الحنيف
لدين جآء من رب عزيز ... خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسآئله علينا ... تحدّر دمع ذى اللبّ الحصيف
رسائل جآء احمد من هداها ... بايات مبينة الحروف
واحمد مصطفى فينا مطاع ... فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسامه لقوم ... ولما نقضى فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع ... عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرتُ ما صنعت ثقيف ... به فجزى القبائل من ثقيف
الهُ الناس شر جزاء قوم ... ولا اسقاهم صوب الخريف

فصل

﴿ فى ذكر شدة اذى قريش للمستضعفين من اصحابه صلى الله عليه وسلم ﴾

ولما اسلم حمزة وسمعت قريش قوله عرفوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وعز وامتنع وان حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ماكانوا ينالون منه واقبلوا على اصحابه بالاذى سيما المستضعفين منهم الذين لا جوار لهم ولا ناصر يدفع عنهم وغدت كل قبيلة على من اسلم منها تعذّبه وتفتنه عن دينه بالحبس والضرب والجوع والعطش وغير ذلك من انواع التعذيب وكان ابو جهل لعنه الله يحرضهم على ذلك وكان اذا سمع باحد اسلم وله شرف ومنعة جآء اليه ووبخه وقال له ليغلبنَ رأيك وليضعفن شرفك وان كان تاجرا قال له لتكسدن تجارتك ويهلك مالك وان كان ضعيفا اغرى به السفهاء حتى ان منهم من فتن عن دينه ورجع الى الشرك كالحارث بن ربيعه بن الاسود

وابى قيس بن الوليد بن المغيرة وعلى بن امية بن خلف والعاص بن منبه بن الحجاج و كل هؤلاء قتلوا على كفرهم يوم بدر (ومن يضلل الله فلا هادى له) وممن فتن عن دينه وثبت عليه بلال بن رباح رضى الله عنه وكان مملوكا لأمية بن خلف فكان امية يجعل فى عنقه حبلا ويدفعه الى الصبيان يلعبون به وهو يقول احد احد وعن ابن اسحق ان امية كان يخرج بلالا اذا حميت الظهيرة بعد ان يجيعه ويعطشه يوما وليلة فيطرحه على ظهره فى الرمضاء اى الرمل اذا اشتدت حرارته ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على بطنه ثم يقول له لا تزال على هذا حتى تموت او تكفر بمحمد فيقول احد احد وبالجملة فان الكفار بلغوا فى ايذاء المسلمين ما تكل عن وصفه الالسن والاقلام

فصل

﴿ فى ذكر ما دار بين صناديد قريش والنبى صلى الله عليه وسلم ﴾

ولما رأت قريش ان الصحابة رضى الله عنهم يزيدون يوما فيوما ولا ينقصون اجتمع من صناديدهم فى دار الندوة جماعة والنبى صلى الله عليه وسلم جالس فى المسجد وحده فقال عتبة بن ربيعة يامعشر قريش ألا اقوم الى محمد فاكلمه واعرض عليه امورا لعله يقبل بعضها فنعطيه اياها ان شاء ويكف عنا فقالوا بلى يا ابا الوليد قم اليه فكلمه فقام عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن اخى انك منا حيث قد علمت من الاتحاد فى نجار اى أصل العشيرة والمكان فى النسب وانك قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم و كفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك امورا تنظر فيها لعلك تقبل منا بعضها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا ابا الوليد اسمع قال يا ابن اخى ان

كنت تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من اموالنا حتى
تكون اكثرنا مالاً وان كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا (اى جعلناك
سيداً علينا) حتى لا نقطع امراً دونك وان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا
وان كان هذا الذى يأتيك رئياً تراه (اى تابعا من الجن) لاتستطيع ردّه عن
نفسك طلبنا لك طباً وبذلنا فيه اموالنا نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على
الرجل حتى يداوى منه ولا زال عتبة يتكلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمع منه الى ان فرغ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قد فرغتَ يا ابا
الوليد قال نعم قال فاسمع منى قال افعل قال (بسم الله الرحمن الرحيم * حمٓ تنزيل
من الرحمن الرحيم * كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون * بشيرا ونذيرا
فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون * وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى
آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون * قل انما انا بشر مثلكم
يوحى الىّ انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين *
الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالاخرة هم كافرون * ان الذين آمنوا وعملوا
الصالحات لهم اجر غير ممنون * قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى
يومين وتجعلون له اندادا ذلك رب العالمين * وجعل فيها رواسى من فوقها
وبارك فيها وقدر فيها اقواتها فى اربعة ايام سواء للسائلين * ثم استوى الى السماء
وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين * فقضاهن
سبع سموات فى يومين واوحى فى كل سماء امرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح
وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم * فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة
عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين ايديهم ومن خلفهم الا تعبدوا الا الله قالوا
لو شاء ربنا لانزل ملئكة فانا بما ارسلتم به كافرون * فاما عاد فاستكبروا فى الارض

بغير الحق وقالوا من اشد منا قوة اولم يروا ان الله الذى خلقهم هو اشد منهم
قوة وكانوا باياتنا يجحدون * فارسلنا عليهم ريحاً صرصراً فى ايام نحسات لنذيقهم
عذاب الخزى فى الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون * واما
ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فاخذتهم صاعقة العذاب الهون
بما كانوا يكسبون * ونجينا الذين امنوا وكانوا يتقون * ويوم يحشر اعداء الله الى
النار فهم يوزعون * حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وابصارهم
وجلودهم بما كانوا يعملون * وقالوا لجلودهم لمَ شهدتم علينا قالوا انطقنا الله
الذى انطق كل شىء وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون * وما كنتم
تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم ان
الله لا يعلم كثيرا مما تعملون * وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم ارداكم فاصبحتم
من الخاسرين * فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين *
وقيضنا لهم قرناء (اى شياطين) فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم وحق
عليهم القول (العذاب) فى امم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا
خاسرين * وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون *
فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون * ذلك
جزاء اعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما كانوا باياتنا يجحدون * وقال
الذين كفروا ربنا أرنا اللذين اضلانا (اى شيطانىَ النوعين الحاملين
على الضلالة والعصيان) من الجن والانس نجعلهما تحت اقدامنا ليكونا من
الاسفلين * (اى من الاذلين) ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم
الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون * (يعنى فى الدنيا
على لسان الرسل) نحن اولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الاخرة ولكم فيها ما

تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون* (اى تتمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو اعمّ من الاول)* نزلا من غفور رحيم* ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انى من المسلمين* ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم* (اى هذه السجية وهى مقابلة الاساآة بالاحسان) وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم* (من الخير وكمال النفس) واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه هو السميع العليم. ومن اياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر (لانهما مخلوقان مأموران مثلكم) واسجدوا لله الذى خلقهن (اى خلق الاربعة المذكورة) ان كنتم اياه تعبدون* الى اخر السورة

ولما وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى فانذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود وضع عتبة يده على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يقول له ناشدتك الله الرحم

ولم يزل عتبة ملقيا يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يستمع من النبى صلى الله عليه سلم وهو يقرؤ ولما بلغ صلى الله عليه وسلم الى قوله تعالى واسجدوا لله الذى خلقهن ان كنتم اياه تعبدون سجد ثم قال قد سمعت يا ابا الوليد ما سمعت فانت وذاك فقام عتبة الى اصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا ابا الوليد قال ورآئى انى قد سمعت قولا والله ما سمعت بمثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يامعشر قريش اطيعونى واجعلوها بى خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعته منه نبأ عظيم فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان

يظهر على العرب فلكه ملككم وعزه عزكم وكنتم اسعد الناس به قالوا سحرك والله يا ابا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا انتم ما بدالكم

وروى ابن اسحق عن سعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهم انه قال ثم اجتمع اعيان قريش منهم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابو سفيان بن حرب والنضر بن الحارث اخو بنى عبد الدار وابو البحترى بن هشام والوليد بن المغيرة وابو جهل وامية بن خلف فى اخرين وذلك بعد غروب الشمس عند الكعبة ثم قال بعضهم ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان اشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فأتهم فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن ان قد بدالهم فيما كلمهم فيه بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم ولما جلس اليهم اعادوا عليه ما تكلم به معه عتبة بن ربيعة من الترغيب فى الدنيا والعدول عما هو عليه من الدعوة الى الحق وترك الباطل وقالوا له يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب ادخل على قومه ما ادخلت على قومك لقد شتمت الاباء وعبت الدين وسببت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة فما بقى امر ذميم الا قد جئته فيما بيننا وبينك فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون اكثرنا مالا وان كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا وان كان هذ الذى يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك (وكانوا يسمون التابع من الجن رئياً) فربما نبذل اموالنا فى طلب الطب لك حتى نبريك منه او نعذر فيك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مابى ما تقولون وماجئت بما جئتكم به اطلب اموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثنى اليكم رسولا وأنزل علىّ كتاباً

وامرنى ان اكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربى ونصحت لكم
فان تقبلوا منى ما جئتكم به فهو حظكم فى الدنيا والاخرة وان تردوه علىّ
اصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم او كما قال صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد
فان كنت غير قابل منا شيئاً مما عرضناه عليك فانك قد علمت انه ليس من
الناس احد اضيق بلدا ولا اقل ماءً ولا اشد عيشا منا فسلْ لنا ربك الذى
بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التى ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا
وليخرق لنا فيها انهارا كما فى الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من اباءنا
وليكون فيمن يبعث لنا منهم قصى فانه كان شيخ صدق فنسأله ونسألهم عما
تقول احق هو ام باطل فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا
به منزلتك من الله وانه بعثك رسولا كما تقول فقال لهم صلوات الله وسلامه
عليه ما بهذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله بما بعثنى به وقد بلغتكم ما ارسلت
به اليكم فان تقبلوه فهو خير لكم فى الدنيا والاخرة وان لم تقبلوه اصبر لامر
الله حتى يحكم الله بينى وبينكم قالوا فاذ لم تفعل هذا فسلْ لنا ربك ان يبعث ملكاً
يصدقك فيما تقول ويراجعنا عنك واسأله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا
من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغى فانك تقوم بالاسواق وتلتمس اسباب
المعاش من تجارة وغيرها كما نلتمسه نحن بها فسله يعطيك ما قلناه لك حتى
نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولاً فقال لهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما انا بفاعل وما أنا بالذى يسأل ربه هذا وما بعثت اليكم
بهذا ولكنّ الله بعثنى بشيرا ونذيرا فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم فى
الدنيا والاخرة وان تردوه علىّ اصبر لامر الله حتى يحكم الله بينى وبينكم
قالوا فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت ان ربك ان شاء فعل فانا لن نؤمن

لك الا أن تفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الى الله ان شاء ان يفعله بكم فعل قالوا يا محمد قد اعتذرنا اليك وانا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك او تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملئكة وهي بنات الله وقال آخر لن نؤمن لك حتى تاتي بالله والملئكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول صلى الله عليه وسلم قام عنهم وقام معه ابن عمته عاتكة عبدالله بن ابي امية بن المغيرة فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم امورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سألوك ان تأخذ لنفسك مايعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل فوالله لا أؤمن بك ابدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترق وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك معه اربعة من الملئكة يشهدون لك انك كما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك ما ظننت انى اصدقك ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اهله آسفاً لما فاته مما كان يطمع فيه من قومه حين دعوه

وما اقترحه هؤلاء الكفار على رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجيزا وتعنتاً بعد ما لزمتهم الحجة قد اشار اليه تعالى فى كتابه العزيز بقوله (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تأتي بالله والملئكة قبيلا (اى كفيلا بما تدعيه اى شاهدا على صحته ضامنا لدركه) او يكون لك بيت من زخرف (اى ذهب) او ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه (وكان فيه تصديقك) قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) قال تعالى قل سبحان ربي تعجبا من اقتراحهم

او تنزيه الله من ان يأتي او يتحكم عليه او يشاركه احد في القدرة وقوله (هل كنت الا بشرا اى كسائر البشر (رسولا) كسائر الرسل وكان هولاء لا يأتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم على ما يلائم حال قومهم ولم يكن امر الايات اليهم ولا لهم ان يتحكموا على الله حتى تتخيروها على اثم ونزل فيما سألوه لانفسهم من تسيير الجبال وتقطع الارض وبعث من مضى من آبائهم قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى بل لله الامر جميعاً) اى لا اصنع من ذلك الا ما شئته

ونزل في قولهم خذ لنفسك فانك تمش في الاسواق وتلتمس اسباب المعاش فليجعل لك ربك جنانا وقصورا وكنوزا ويبعث معك ملكا يصدقك فيما تقول ويرد عنك قوله تعالى (وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى في الاسواق لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك (اى من ان تمشى في الاسواق وتلتمس المعاش) جنات تجرى من تحتها الانهار ويجعل لك قصورا)

ونزل في ذلك ايضا (وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا) اى جعلنا بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ولو شئت ان اجعل الدنيا مع رسلي فلا يخالفوا لفعلت

ونزل فيما عرضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من اموالهم حين قالوا له ان كنت انما جئت بهذا تطالب به مالا جمعنا لك من اموالنا حتى تكون

اكثرنا ملا قوله تعالى ﴿قل ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجرى الا على الله
وهو على كل شيء شهيد﴾

وبعد ان قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وتركهم من غير ان يحصلوا من
كلامهم معه على طائل اشتد غضب عدو الله ابى جهل وقال يامعشر قريش
ان محمدا أبى الا ما ترون وتسمعون من عيب ديننا وشتم آبائنا وتسفيه احلامنا
وسب آلهتنا وانى اعاهدكم لاجلسنّ له غدا بحجر ما اطيق حمله فاذا سجد فى
صلاته فضخت به رأسه فاسلمونى عند ذلك او امنعونى فليصنع بى بعد ذلك
بنو عبد مناف ما بدا لهم قالوا والله لانسلمك ابدا لشيء فامض لما تريد فلما
اصبح اخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى
المسجد ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو الى المسجد
وقام يصلى وقد غدت قريش فجلسوا فى انديتهم ينتظرون ما ابو جهل فاعل
فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل ابو جهل الحجر واقبل نحوه
حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره
وقامت اليه رجال قريش فقالوا له ما بالك يا ابا الحكم قال قمت اليه لافعل ما
قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل والله ما
رأيت مثل هامته ولا مثل انيابه قط فهم بى ان ياكلنى فرجعت القهقرى
وحصل لى ما رأيتم

ونزل فيما قال له ابو جهل وما هم به قوله تعالى ﴿أرأيت الذى ينهى عبدا اذا
صلى * ارايت ان كان على الهدى او أمر بالتقوى * ارايت ان كذب وتولى *
الم يعلم بان الله يرى﴾ والمعنى اخبرنى عن من ينهى بعض عباد الله عن صلاته
ان كان ذلك الناهى على هدى فيما ينهى عنه او أمرا بالتقوى فيما يامر به من

عبادة الاوثان كما يعتقده او ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الصواب كما تقول ﴿الم يعلم بان الله يرى﴾ ويطلع على احواله من هداه وضلاله وقال بعضهم المعنى ارايت الذى ينهى عبدا يصلى والمنهى على الهدى آمر بالتقوى والناهى مكذب متولٍ فما اعجب من هذا ﴿كلا﴾ ردع للناهى ﴿لئن لم ينته﴾ عما هو فيه ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ لنأخذن بناصيته ونسحبه بها الى النار اى نأمر الملئكة تفعل به ذلك ﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ بدل من الناصية ووصفها بالكذب والخطاء وهما لصاحبها على الاسناد المجازى للمبالغة ﴿فليدع ناديه﴾ اى اهل ناديه ليعينوه روى ان اباجهل لعنه الله مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال الم أنهك فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الجواب اى خوفه من الله وهدده بعقابه فقال اتهددنى وانا اكثر اهل الوادى ناديا فنزلت ﴿سندع الزبانية﴾ ليجروه الى النار ﴿كلا﴾ ردع ايضاً للناهى ﴿لا تطعه﴾ اى اثبت أنت على طاعتك ﴿واسجد﴾ ودم على سجودك ﴿واقترب﴾ اى وتقرب الى ربك

وكان النضر بن الحارث حاضرا حين قال ابو جهل ما قال فقام فيهم وقال يامعشر قريش انه والله قد نزل بكم امر ما اتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم وأصدقكم حديثا واعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر لا والله ماهو بساحر قد راينا السحرة نفثهم وعقدهم اى راينا نفث السحرة وعقدهم وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر لقد راينا الشعر وسمعنا اصنافه كلها هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ماهو بمجنون لقد راينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه

يامعشر قريش فانظروا فى شأنكم فانه والله لقد نزل بكم امر عظيم وكان النضر بن الحارث من شياطين قريش وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له اشراك العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها احاديث ملوك الفرس كاحاديث رستم الشديد واسبنديار فكان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلساً فذكر فيه بالله تعالى وحذر قومه بما اصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله خلفه فى مجلسه بعد قيامه ثم قال انا والله يامعشر قريش احسن حديثا منه فهلم أحدثكم باحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك الفرس ورستم واسبنديار ثم يقول بماذا محمد احسن منى قال هشام وهذا النضر هو الذى حكى الله عنه انه قال سانزل مثل ما انزل الله قال ابن اسحق وكان ابن عباس رضى الله عنهما يقول نزل فى النضر بن الحارث المذكور قوله تعالى ﴿ويل يومئذ للمكذبين * الذين يكذبون بيوم الدين * وما يكذب به الا كل معتد اثيم﴾ اى منهمك فى الشهوات المخدجة بحيث انها شغلة عما وراءها وحملة على الانكار لما عداها ﴿اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير الاولين﴾ اى من فرط جهله واعراضه عن الحق فلا تنفعه شواهد النقل كما لا تنفعه دلائل العقل ﴿كلا﴾ ردع عن هذا القول ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ هذا رد لما قالوا وبيان لما ادى بهم الى هذا القول بان غلب عليهم حب المعاصى بالانهماك فيها حتى صار ذلك صدأه على قلوبهم فعمى عليهم ادراك الحق والباطل فان كثرة الافعال الخبيثة سبب لحصول الملكات كما قال صلى الله عليه وسلم ان العبد كلما اذنب ذنبا حصل فى قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه والران الصدأ ﴿كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ اى عن رحمة ربهم ﴿ثم انهم لصالوا الجحيم﴾ اى ليدخلوا النار ويصلون بها اى يحترقون بها

﴿ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون﴾ قال ابن عباس وكل ما ذكر فيه الاساطير من القرآن فقد نزل فى النضر المذكور

ولما قال النضر لهم ماقال تشاور رؤساهم وقر رأيهم على سوال احبار اليهود عن شأن النبي صلى الله عليه وسلم فبعثوه وبعثوا معه عقبة بن ابى معيط الى احبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم من علوم الانبياء ما ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينة فاجتمعا باحبار اليهود وسألاهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم امره واخبراهم ببعض قوله وقالا لهم انكم اهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقال لهم الاحبار سلوه عن ثلاث فان اخبركم بهن فهو نبى مرسل وان لم يفعل فهو رجل متقول فتروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الاول ما كان امرهم فانه قد كان لهم حديث عجب وسلوه عن ذى القرنين الطواف الذى بلغ مشارق الارض ومغاربها وسلوه عن الروح فاذا اخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبى وان لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا فى امره ما بدا لكم فاقبل النضر بن الحارث وعقبة بن ابى معيط حتى قدما مكة فقالا يامعشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد قد امرنا احبار يهود ان نساله عن اشياء وقالوا ان اخبركم عنها فهو نبى وان لم يفعل فهو رجل متقول فروا فيه رأيكم ثم جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يامحمد اخبرنا عن فتية قد كانت لهم قصة عجب وعن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها واخبرنا عن الروح فقال عليه الصلاة والسلام ساخبركم عن ذلك غدا ولم يقل ان شاء الله تعالى فتأخر الوحى اياما ثم نزل فيما سألوه عن الفتية قوله تعالى كما فى سورة الكهف

ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من اياتنا عجبا * اذ اوى الفتية
الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من امرنا رشدا * فضربنا
على اذانهم فى الكهف سنين عددا * ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين احصى لما
لبثوا احدا * نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية امنوا بربهم وزدناهم
هدى * وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والارض لن
ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا * هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة
لولا ياتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا * واذ اعتزلتموهم
وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم
من امركم مرفقا * وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين
واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله من
يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا * وتحسبهم ايقاظا
وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد
لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا * وكذلك بعثناهم ليتسألوا
بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم
فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم برزق
منه وليتلطف ولا يشعرنّ بكم احدا * انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او
يعيدوكم فى ملتهم ولن تفلحوا اذاً ابدا * وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله
حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون امرهم بينهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا
ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا * سيقولون ثلثة
رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة
وثامنهم كلبهم قل ربى اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل * فلا تمار فيهم الامراء

ظاهر اولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تقولن لشيء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله) هذا عتاب حيث قال ساخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله (واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا ولبثوا فى كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا قل الله اعلم بما لبثوا له غيب السماوات والارض ابصر به واسمع مالهم من دونه من ولىّ ولا يشرك فى حكمه احدا)

وهؤلاء الفتية الذين سالوه عنهم هم فتية من اشراف الروم ارادهم الملك فى زمانهم واسمه دقيانوس على الشرك فابوا وهربوا الى الكهف وسنأتى على ذكرهم وقصتهم فى القسم الثانى من الكتاب بعد ذكر الانبياء عليهم السلام

ونزل فيما سألوه عن الرجل الطواف كما فى سورة الكهف قوله تعالى (ويسألونك عن ذى القرنين قل ساتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا ياذا القرنين اما ان تعذب واما تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا واما من امن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربى خير فاعينونى بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما آتونى زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا

جعله نارا قال آتونى افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا * قال هذه رحمة من ربى فاذا جاء وعد ربى جعله دكا وكان وعد ربى حقا *

وهذا المسئول عنه هو ذو القرنين وكان الخضر عليه السلام مرافقا له على مقدمة عسكره وسنأتى على ذكر خبر كل منهما مفصلا فى القسم الثانى من الكتاب

ونزل فيما سألوه عن الروح قوله تعالى ﴿ ويسألونك عن الروح ﴾ الذى يحى البدن ويدبره ﴿ قل ﴾ يا محمد ﴿ الروح من امر ربى وما اوتيتم من العلم الا قليلا ﴾ اى من الابداعيات الكائنة بكن من غير مادة ولا تولد من اصل اى وجد بامر ربى وحدث بتكوينه على ان السؤال عن قدمه وحدوثه وذهب بعضهم الى ان من فى قوله من امر ربى بيانية اى هى أمر ربى فالروح لطيفة تقرب من نور المكاشفة فى طهارتها ولطافتها وهى مخلوقة قبل الاجساد وقبل ان أدركها التكليف كان للروح صفاء التسبيح وضياء المواصلة ويمن التعريف فى الحق وذكر البيضاوى فى انوار التنزيل ان احبار اليهود قالوا لقريش سلوا محمدا عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس نبى وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبى فبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التوراة

فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدثهم به وتحققوا نبوته فيما جاءهم به من علم الغيب حين سألوا عما سألوه عنه حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه فعتوا وتركوا

امره عيانا ولجوا فيما هم عليه من الكفر ﴿ وجحدوا بها ﴾ اى النبوة ﴿ واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ﴾ فقال قائلهم ﴿ لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ﴾ ثم جعلوا اذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو يصلى يتفرقون عنه ويأبون ان يستمعوا له ثم غلبهم الحال فى الميل الى سماع القرآن فكان الرجل منهم اذا اراد ان يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلوه من القرآن وهو يصلى أتى خفية واستمع منه خوفا من الباقين فان رأى انهم قد عرفوا انه يستمع منه انقطع عن ذلك خشية اذاهم

قال ابن اسحق حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزُّهرى ان اباسفيان بن حرب واباجهل بن هشام والاخنس بن شريق خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى من الليل فى بيته فاخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه وكلٌّ منهم لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لاوقعتم فى نفسه شيئاً ثم انصرفوا حتى اذ كانت الليلة الثانية عاد كل رجل الى مجلسه يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض ما قالوه اول مرة ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثالثة اخذ كل منهم مجلسه ليستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد ألا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما اصبح الاخنس بن شريق اخذ عصاه ثم خرج حتى اتى اباسفيان فى بيته فقال اخبرنى يا ابا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال يا ابا ثعلبة والله لقد سمعت اشياء اعرفها واعرف ما

يراد بها وسمعت اشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال وانا والذى حلفت به كذلك ثم خرج من عنده حتى اتى ابا جهل فدخل عليه بيته فقال يا ابا الحكم ما رأيك فيما سمعتَ من محمد قال ماذا سمعت تُنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف اطعموا فاطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فاعطينا حتى اذا تجاثينا على الركب وكنا كفرسى رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحى من السماء فتى ندرك مثل هذا والله لانؤمن به ابدا ولا نصدقه فقام عنه الاخنس وتركه ومن يضلل الله فلا هادى له

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلا عليهم القرآن ودعاهم الى الله قالوا على وجه الهزء قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه لا نفقه ما تقول وفى آذاننا وقر لانسمع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب حال بيننا وبينك فاعمل بما انت عليه انا عاملون بما نحن عليه فانزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فى ذلك ﴿ واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ۞ وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا ۞ واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا ۞ نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا ۞ انظر كيف ضربوا لك الامثال ﴾ اى مثلوك بالشاعر والساحر والكاهن والمجنون ﴿ فضلوا ﴾ عن الحق فى جميع ذلك ﴿ فلا يستطيعون سبيلا ﴾ اى طريقا الى الطعن بوجه من الوجوه بل يتهافتون ويخبطون كالمتحير فى امره لا يدرى ما يصنع

ولما حيل بينهم وبين ما ارادوه من البطش به صلى الله عليه وسلم جعلوا يستهزئون به ويخاصمونه وجعل القرآن ينزل فيهم باحداثهم وفيمن نصب

لعداوته منهم فنهم من سماه لنا وهو ابو لهب وامرأته حمالة الحطب ومنهم من نزل فيه القرآن فى عامة من ذكر الله من الكفار

ومن اولئك الكفرة منهم ابولهب بن عبد المطلب فانه كان اشد قريش عداوة للنبي صلى الله عليه وسلم واكثرهم أذى له قولا وفعلا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لما نزل قوله تعالى *(وانذر عشيرتك الاقربين) صعد صلى الله عليه وسلم الصفا وجعل ينادى يا بنى هاشم يا بنى عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا عنده فجاء ابولهب بن عبد المطلب فقال صلى الله عليه وسلم ارأيتم لو اخبرتكم ان العدوّ مصبحكم او ممسيكم اما كنتم تصدقون قالوا بلى (قال فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد) فقال ابو لهب تبّاً لك لهذا دعوتنا جميعا واخذ حجرا ليرميه بها فقشلت يده عنه وفى ذلك انزل الله تعالى﴿تبت يدا ابى لهب﴾ اى هلكت وخسرت والتباب الخسران المؤدى الى الهلاك والمعنى هلكت يداه والمراد جملة بدنه فهو كقولهم خسرت يده وكسبت يده فاضيفت الافعال الى اليد وذلك على عادة العرب فى التعبير ببعض الشىء عن كله وجميعه ﴿وتب﴾ اخبار بعد دعاء والتعبير بالماضى لتحقيق وقوعه ﴿ما اغنى عنه ماله﴾ نفى لاغناء المال عنه حين نزل به التباب او استفهام انكارى له ومحله النصب ﴿وما كسب﴾ اى كسبه بماله من النتائج والارباح والوجاهة او عمله الذى ظن انه ينفعه او ما كسبه من الولد والعز بالعشيرة التى كان يؤذى بها النبى صلى الله عليه وسلم وكان ابنه عتبة شديد الاذى للنبى صلى الله عليه وسلم فدعا عليه فقال اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فكان ابو لهب يعرف ان هذه الدعوة لابد ان تدرك ولده المذكور فسافر فى عير لقريش الى الشام فاوصى به الرفاق ليحموه من هذه الدعوة ويحافظوا عليه

فكانوا يحدقون به عند النوم ليكون وسطهم والحمول كلها محيطة به وهم
محيطون بها والابل محيطة بهم فلم ينفعه ذلك بل جاء الاسد فجعل يشم الناس
وهم رقود حتى وصل اليه فاقتلع رأسه وهلك فى الهالكين ﴿سيصلى نارا﴾
اى عن قريب بوعد لاخلف فيه يندس فى النار وتنعطف عليه وتحيط به
﴿ذات لهب﴾ اى اشتعال اى لاتسكن ولاتخمد ابدا وهلك بالعدسة بعد وقعة
بدر بايام معدودة وترك ميتا ثلاثا حتى انتن ثم استأجر اهله بعض العبيد
الارقاء حتى دفنوه فهو اخبار عن الغيب طابقه وقوعه ولما اخبر تعالى عنه
بكمال التباب الذى هو نهاية الخسارة زاده تحقيرا بذكر امرأته بازرى
صورة واشنعها فقال ﴿ وامرأته﴾ وهو عطف على ضمير سيصلى سوغه
الفعل بالمفعول وصفته وامرأته هى ام جميل اخت ابى سفيان بن حرب اى
مثل زوجها فى التباب والصلى من غير ان يغنى عنها شيئاً كما انه لم يغن عنها
مال ولا حسب ولا نسب وعدل عن ذكرها بكنيتها لان صفتها القباحة وهى
ضد كنيتها قال العلامة البقاعى ومن هنا يؤخذ عدم جواز التلقيب بناصر
الدين وعز الدين وبدر الدين ونحو ذلك لمن ليس متصفا بما دل عليه لقبه
﴿ حمالة الحطب﴾ قال قتادة كانت مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها
لشدة بخلها فعيرت بالبخل وقال ابن زيد كانت تحمل العضاة والشوك تلقيه
بالليل فى طريق النبى صلى الله عليه وسلم فكان النبى صلى الله عليه وسلم يطوه
كما يطأ التراب الطرى وذهب بعضهم الى انها كانت تمشى بالنميمة ورمى
الفتن بين الناس ويقال لمن يفعل ذلك يحمل الحطب اى يوقد نار الفتنة ويثير
الشر ﴿فى جيدها حبل من مسد﴾ اى مما مسد اى فتل ومنه رجل ممسود
الخلق اى مجدوله وهو تصوير لها بصورة حطابة تحمل الحزمة وتربطها فى

جيدها تحقيرا لشأنها او هو بيان لحالها فى جهنم حيث يكون على ظهرها حزمة شجرة الزقوم والضريع وفى جيدها سلسلة من النار واشار الامام الابوصيرى الى امرها فى همزيته فقال

واعدت حمالة الحطب الفهـ ـر وجاءت كانها الورقاء
يوم جاءت غضبى تقول انى مثـ ـلى من احمد يقال الهجاء
وتولت وما راته ومن ايـ ـن ترى الشمس مقلة عمياء

وذلك انها لما بلغها ما انزل فيها وفى زوجها جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى المسجد وابو بكر عنده وفى يدها حجر مرادها ترميه به فلم تره فقالت يا ابابكر اين صاحبك بلغنى انه يهجونى فوالله لو وجدته لضربته بهذا الحجر ثم انصرفت فقال ابو بكر يارسول الله لم لم تَرَك قال قد اخذ الله ببصرها عنى وفى ابى لهب وامثاله الأخباث المستهزئين نزلت ايات كثيرة ذكرناها فى هذا القسم على حسب المناسبة

ومنهم امية بن خلف الجمحى كان لعنه الله اذا راى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه فانزل الله تعالى فيه ﴿ ويل لكل همزة لمزة ٭ الذى جمع مالا وعدده ٭ يحسب ان ماله اخلده ٭ كلا لينبذن فى الحطمة وما ادراك ما الحطمة ٭ نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة انها عليهم موصدة فى عمد ممدده ﴾ قال ابن هشام والهمزة الذى يشتم الرجل علانية ويكسر عينه عليه ويغمز به واللمزة الذى يعيب الناس او يوذيهم باى وجه كان

ومنهم العاص بن وائل السهمى قال ابن اسحاق كان خباب بن الارث رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قينا بمكة اى حدادا يعمل السيوف وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له حتى اذا كان

له عليه مال جاءه يتقاضاه فقال له ياخباب اليس يزعم محمد صاحبك هذا الذى
انت على دينه ان فى الجنة ما يبتغى اهلها من ذهب وفضة او ثياب اوخدم
قال خباب بلى قال فانظرنى الى يوم القيامة ياخباب حتى ارجع الى تلك الدار
فاقضيك هنالك حقك فوالله لا تكون انت واصحابك ياخباب اثر عند الله
منى ولا اعظم حظاً فى ذلك فانزل الله تعالى فيه ﴿ افرأيت الذى كفر باياتنا
وقال لاوتين مالا وولدا * اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا * كلا سنكتب
مايقول ونمد له من العذاب مداً * ونرثه ما يقول ويأتينا فردا ﴾

ومنهم النضر بن الحارث كان كما سبق ذكر طرف من اخباره اذا جلس
رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فدعا فيه الى الله تعالى وتلا فيه القرآن
وحذر قريشا ما أصاب الأمم الخالية خلفه فى مجلسه اذا قام فيحدثهم عن
اخبار ملوك الفرس ثم يقول بماذا محمد احسن حديثا منى وما حديثه الا اساطير
الاولين اكتتبها كما اكتتبها فانزل الله فيه ﴿ اذا تتلى عليه آياتنا قال اساطير
الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا ﴾ ونزل فيه ﴿ ويل لكل افاك
أثيم * يستمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى
اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم ﴾ قال ابن هشام الافاك الكذاب وذكر ابن
اسحق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يوما مع الوليد بن المغيرة فى
المسجد فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم فى المجلس وفى المجلس غير
واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعارضه النضر
بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه حتى افحمه ثم تلا
عليه وعليهم قوله تعالى ﴿ انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم انتم لها
واردون * لوكان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون * لهم فيها زفير

وهم فيها لا يسمعون ﴾ قال ابن اسحاق ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
واقبل عبدالله بن الزبعرى السهمى حتى جلس فقال له الوليد بن المغيرة والله
ما قام النضر بن الحرث لابن عبد المطلب يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم
آنفا ولا قعد يعنى انه الخمه وقد زعم انا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب
جهنم فقال ابن الزبعرى اما والله لو وجدته لخصمته اى غلبته فى الخصومة
فسلوا محمدا هل كل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده فنحن نعبد
الملائكة واليهود يعبدون عزيراً والنصارى يعبدون عيسى بن مريم فعجب
الوليد ومن كان معه من قريش فى المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى
ورأوا انه احتج وغلب فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كل
من احب ان يعبد من دون الله فهو مع من عبده انهم انما يعبدون الشياطين
ومن امرهم بعبادتهم وعيسى وعزير والملائكة لم يأمروا احدا بعبادتهم فانهم
عباد مكرمون عند الله تعالى وقوله واليهود يعبدون عزيرا المراد بهم طائفة
من اليهود قالوا عزير بن الله كما اخبر تعالى عنهم وهذه الطائفة قد بادت
وهلكت ولم يبق لها اثر فى العالم كله وعن ابن عباس ان ابن الزبعرى لما قال
ما قال سكت رسول الله لينتظر الوحى فانزل عليه قوله تعالى ﴿ ولما ضرب
بن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون * وقالوا آلهتنا خير ام هو ما ضربوه
لك الا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾ ونزل فى عيسى وعزير والملائكة ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى ﴾ اى الخصلة الحسنى وهى السعادة او التوفيق للطاعة
او البشرى بالجنة وقال بعضهم أى الحكم بالموعدة البالغة الغاية فى الحسن
فى الازل ﴿ اولئك عنها مبعدون ﴾ اى عن جهنم لانهم احسنوا فى العبادة
واتقوا وهل جزاء الاحسان الا الاحسان ﴿ لا يسمعون حسيسها ﴾ اى

ايديهم ولم ينقل ذلك بخلاف محمد صلى الله عليه وسلم فانه شهد لاجل المسيح عليه السلام وصدقه وبرأه عن ادعاء الالوهية الذى هو اشد انواع الكفر والضلال وبرأ امه الطاهرة البتول مما اتهمها به اليهود وجاء ذكر براءتهما فى القرآن الكريم فى مواضع متعددة وفى الاحاديث فى ابواب غير محصورة ﴿٧﴾ ان عيسى عليه السلام قال وانتم تشهدون لانكم معى من الابتداء وهذه الاية فى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨١٦ هكذا (وتشهدون انتم ايضا لانكم كنتم معى من الابتداء) وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٨٦٠ وتشهدون انتم ايضا لانكم معى من الابتداء فيوجد فى هذه التراجم الثلاث لفظ ايضا وسقطت من التراجم التى نقلت عنها عبارة يوحنا سهوا او قصدا فهذا القول يدل دلالة ظاهرة على ان شهادة الحواريين غير شهادة فارقليط فلو كان المراد به الروح النازل يوم الدار فلا توجد بين الشهادتين مغايرة لان الروح المذكور لم يشهد شهادة مستقلة بل شهادة الحواريين هى شهادته بعينها لان هذا الروح على قولهم واعتقادهم مع كونه الهاً متحدا بالله تعالى فانه نزل مثل ريح عاصفة وظهر فى اشكال السنة منقسمة كانها من نار واستقرت على كل احد منهم يوم الدار فكان حالهم كحال من لابسه جنى فكما ان قول الجنى يكون قوله فى تلك الحالة كذلك كانت شهادة الروح هى شهادة الحواريين فلا يصح هذا القول بخلاف ما اذا كان المراد به النبي المبشر به فان شهادته غير شهادة الحواريين ﴿٨﴾ ان عيسى عليه السلام قال ان لم انطلق لم يأتكم الفارقليط فاما ان انطلقت ارسلته اليكم فعلق مجيئه بذهابه وهذا الروح عندهم نزل على الحواريين فى حضوره لما ارسلهم الى البلاد الاسرائيلية فنزوله ليس بمشروط بذهابه فلا يكون مرادا بفارقليط بل المراد به شخص آخر يكون مجيئه موقوفا على ذهاب

عيسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم كذلك لانه جاء بعد ذهاب عيسى
عليه السلام وكان مجيئه موقوفا على ذهاب عيسى عليه السلام لان وجود
رسولين ذوى شريعتين مستقلتين فى زمان واحد غير جائز ولا واقع بخلاف
ما اذا كان الآخر متبعا لشريعة الاول او يكون كل من الرسولين او الرسل
على شريعة واحدة فانه يجوز فى هذه الصورة وجود اثنين او اكثر فى زمان
واحد كما ثبت وجودهم فيما بين زمان موسى وعيسى عليهما السلام ﴿٩﴾ ان
عيسى عليه السلام قال يوبخ العالم فهذا القول منه عليه السلام بمنزلة النص
الجلى على محمد صلى الله عليه وسلم لانه وبخ العالم لا سيما اليهود فانه وبخهم على
عدم ايمانهم بعيسى عليه السلام توبيخاً وبكتهم تبكيتاً لا يشك فيهما الا معاند
بحت وسيكون سليله الامام المهدى فى معية عيسى عليه السلام بعد نزوله
ويحضر معه قتل الدجال ومتابعيه بخلاف الروح النازل يوم الدار فان توبيخه
لا يصح على اصول ملة من الملل ولم يكن التوبيخ من متعلقات منصب
الحواريين بعد نزوله ايضا لانهم كانوا يدعون الى الملة بالترغيب والوعظ وما
قاله القسيس راتكن فى كتابه المسمى بدافع البهتان الذى هو بلسان أردو فى
رده على خلاصة صولة الضيغم (ان لفظ التوبيخ لا يوجد فى الانجيل ولا فى
ترجمة من التراجم) مردود لا يعتد به وهذا القسيس اما جاهل او مغالط لا
ايمان له بالله تعالى ولا خوف عنده منه او عماه العناد واصمه الالحاد فان لفظ
التوبيخ موجود ومصرح به فى جميع التراجم العربية المذكورة التى نقلنا عنها
عبارة يوحنا وفى الترجمة العربية المطبوعة سنة ١٦٧١ فى روميه وعبارة الترجمة
العربية المطبوعة فى بيروت سنة ١٨٦٠ هكذا (ومتى جاء ذاك يبكت العالم
على خطيئة الخ) وفى التراجم الفارسية المطبوعة سنة ١٨١٦ وسنة ١٨٢٨ وسنة

١٨٤١ يوجد لفظ الالزام ولفظ التبكيت والتبكيت والالزام قريبان من التوبيخ في المعنى ولا غرابة في هذا القول لان مثل هذا معلوم انه من عادة علماء البروتستانت وشأنهم ولذلك ترى مترجمي الفارسية وأردو لغوا اسم فارقليط لشهرته عند علماء الاسلام في حق محمد صلى الله عليه وسلم واثبتوا اسما آخر في محله كما تقدم ذلك

ثم ان مترجم ترجمة أردو المطبوعة سنة ١٨٣٩ زاد على اسلافه هؤلاء فأرجع الى الروح ضمائر المؤنث ليحصل الاشتباه للعوام من المسيحيين ان مصداق هذا اللفظ مؤنث وليس بمذكر وهذا مما لا يفعله عاقل ولا يقبله فاضل ولا يستحسنه منصف عادل ﴿١٠﴾ قال عيسى عليه السلام اما على الخطيئة فانهم لم يؤمنوا بي وهذا يدل على ان فارقليط يكون منصورا على منكري عيسى عليه السلام موبخاً لهم على عدم الايمان به والروح النازل يوم الدار ما كان ظاهرا منصورا على الناس موبخاً لهم ﴿١١﴾ قال عيسى عليه السلام ان لي كلاما كثيرا اقوله لكم ولكنكم لستم تطيقون حمله الان وهذا ينافي ارادة الروح النازل يوم الدار لانه لم يزد حكماً ما على احكام عيسى عليه السلام لانه على زعم اهل التثليث انه عليه السلام كان امر الحواريين بعقيدة التثليث وبدعوة اهل العالم كله فاى امر حصل لهم زائد على اقواله التي قالها لهم الى زمان صعوده نعم بعد نزول هذا الروح اسقطوا جميع احكام التوراة التي هي ما عدا بعض الاحكام العشرة المذكورة في الباب العشرين من سفر الخروج وحللوا جميع المحرمات المنصوص عليها في التوراة وهذا الامر لا يجوز في حقه ان يقال انهم ما كانوا يستطيعون حمله لانهم استطاعوا حمل سقوط حكم تعظيم السبت الذي هو اعظم احكام التوراة الذي كان اليهود ينكرون كون عيسى

عليه السلام مسيحاً موعودا به لاجل عدم مراعاته هذا الحكم فقبول سقوط
جميع الاحكام كان اهون عليهم نعم قبول زيادة الاحكام لاجل ضعف الايمان
وضعف القوة الى زمان صعوده كما يعترف به علماء البروتستانت كان خارجا
عن استطاعتهم

فظهر ان المراد بفارقليط نبي يزاد في شريعته احكام بالنسبة الى الشريعتين
الموسويه والعيسويه ويثقل حملها على المكلفين الضعفاء وهذا النبي هو محمد
صلى الله عليه وسلم ﴿١٢﴾ قال عيسى عليه السلام ليس ينطق من عنده بل
يتكلم بكل ما يسمع وهذا يدل على ان فارقليط لما يظهر يكذبه بنو اسرائيل
فاحتاج عليه السلام ان يقرر حال صدقه فقال هذا القول ولا مجال لمظنة
التكذيب في حق الروح النازل يوم الدار على ان هذا الروح عندهم عين الله
تعالى الله عن ذلك علواً كبيرا فلا معنى لقوله بل يتكلم بما يسمع فتبين من هذا
ان مصداق قوله هو محمد صلى الله عليه وسلم فانه كان في حقه مظنة التكذيب
وليس هو عين الله تعالى عن ذلك وكان يتكلم بما يوحى اليه كما قال تعالى (وَمَا
يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى) وقال (إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى
إِلَيَّ) ﴿١٣﴾ ان عيسى عليه السلام قال (انه يأخذ مما هو لي) وهذا لا يصدق
على الروح لانه عند اهل التثليث قديم وغير مخلوق وقادر مطلق ليس له كمال
منتظر بل كل كمال من كمالاته حاصل له بالفعل فلا بد ان يكون الموعود به من
الجنس الذي يكون له كمال منتظر ولما كان كلامه عليه السلام موهماً ان يكون
هذا النبي متبعا لشريعته دفعه بقوله فيما بعد (جميع ما هو للاب فهو لي فلاجل
هذا قلت مما هو لي يأخذ) يعني ان كل شيء يحصل لفارقليط هو من الله
فكأنه مني كما اشتهر قول العارفين من كان لله كان الله له وكان له كل شيء

(فلاجل هذا قلت ان مما هو لى يأخذ) ولو كان مراد عيسى عليه السلام فى البارقليط الروح النازل يوم الدار كما زعموه لما عبر عنه بلفظ فارقليط بل كان عبر عنه باسم اعظم من اسم بارقليط او عبر عنه بالروح

تنبيهات

التنبيه الاول

اعلم ان لعلماء النصارى من البروتستانت وغيرهم شبهات فى كون البارقليط هو محمد صلى الله عليه وسلم ذكرها صاحب اظهار الحق وذكر الرد عليها واقتصرنا عن نقلها خوف الاطالة فى هذا الباب وغاية الامر فيما اوردوه فى الشبهة الخامسة ان يوحنا نقل بشارة فارقليط ولم ينقلها الانجيليون الباقون ونقل لوقا موعد نزول الروح يوم الدار ولم ينقله يوحنا ولا باس فى هذا ولا طعن لاحد ومن المعلوم عند علماء كل ملة ان عيسى عليه السلام لم تظهر دعوته فى عصره كل الظهور بل بعده اتفق روساء النصارى على العمل باناجيل متى ويوحنا ومرقس ولوقا الذين دعوا الناس الى اتباع عيسى عليه السلام وتكلم كل واحد منهم بعبارة تلامذ الذين اتبعوه وقد يتفق هؤلاء الاربعة فى نقل اشياء لا اهمية لها كركوب عيسى عليه السلام على الحمار وقت الذهاب الى اورشليم فقد اتفق على نقله الاربعة وقد يختلف امرهم فى نقل الاخبار المهمة والمعجزات العظيمة الا ترى ان لوقا انفرد بذكر احياء ابن الارملة من الاموات فى نايين وبذكر ارسال عيسى عليه السلام سبعين تلميذا وبذكر ابراء عشرة مرضى بالبرص ولم يذكر هذه المعجزات احد من الانجيليين سواه مع انها من الامور العظيمة وانفرد يوحنا بذكر وليمة العرس فى قانا الجليل وانه ظهر من يسوع فيها معجزة تحويل الماء خمرا على زعمهم وان هذه المعجزة اول

معجزاته وانها سبب ظهور مجده وايمان التلاميذ به عليه السلام ويذكر ابراء السقيم فى بيت صيدا فى اورشليم ويذكر قصة امرأة اخذت فى الزنى ويذكر ابراء الاكمه كما هو مصرح به فى الباب التاسع ويذكر احياء العاذار من بين الاموات ولم يذكرها احد من الانجيليين مع انها معجزات عظيمة وهكذا الحال فى انجيلى متى ومرقس فانهما انفردا بذكر بعض المعجزات التى لم يذكرها غيرهما فانفراد احد هؤلاء الاربعة بنقل شىء لا يضر ولا ينبغى لاحد ان يجعله وسيلة للطعن فيما ورد من المعجزات عنهم وابطاله ولا يلزم من عدم الاتفاق على نقله انه كذب والا فما جاز على المثل يجوز على مماثله وهذا يؤدى بصاحبه الى التكذيب بملة المسيح من عين اصلها والى ما لا يقول به عاقل فضلا عمن ينتحل العلم ونقل ابن اسحق عن علماء النصارى مما اثبته يوحنا فى انجيله من البشارات عن عيسى عليه السلام انه قال ما نصه من ابغضنى فقد ابغض الرب ولولا انى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها احد قبلى ما كانت لهم خطيئة ولكن من الان بطروا وظنوا انهم يعزوننى وايضا للرب ولكن لا بد من ان تتم الكلمة التى فى الناموس انهم ابغضونى مجانا اى باطلا فلو قد جاء المنحمنا هذا الذى يرسله الله اليكم وروح الحق هذا الذى من عند الرب خرج فهو شهيد علىّ وانتم ايضا لانكم قديما كنتم على هذا قلت لكم لكى لا تشكوا

ووردت عبارة فى الانجيل المطبوع عند البروتستانت فى بيروت فى آخر الاصحاح الخامس عشر من انجيل يوحنا هكذا بحروفها الذى يبغضنى يبغض ابى ايضا ولو لم اكن عملت بينهم اعمالا لم يعملها احد غيرى لم تكن لهم خطيئة واما الان فقد راوا وابغضونى . لكن لكى تتم الكلمة المكتوبة فى

ناموسهم انهم ابغضونى بلا سبب . ومتى جاء المعزى الذى سأرسله انا اليكم من الاب روح الحق الذى من عند الرب ينبثق فهو يشهد لى . وتشهدون انتم ايضا لانكم معى من الابتداء . قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا

ووردت عبارة فى الانجيل المطبوع عند اليسوعيين فى بيروت فى آخر الفصل الخامس عشر من انجيل يوحنا هكذا بحروفها من يبغضنى فانه يبغض ابى ايضا . لو لم اعمل بينهم اعمالا لم يعملها اخر لما كانت لهم خطيئة اما الان فقد راوا وابغضونى انا وابى . لكن ذلك هو لكى تتم الكلمة المكتوبة فى ناموسهم انهم ابغضونى بلا سبب . ومتى جاء المعزى الذى ارسله اليكم من عند الاب روح الحق الذى من الاب ينبثق فهو يشهد لى . وانتم تشهدون لانكم معى منذ الابتداء . كلمتكم بهذا كى لا تشكوا

والتعبير بالابن والاب قد تقدم ما يقصد به وعلى كل حال فذكرهما فى هذه العبارة مبنى على اعتقاد الناقلين والمترجمين لها منهم فذكرناها كما هى حتى لا ينسبوا الينا التبديل والتغيير فيما ننقله عنهم مع اعتقاد التنزيه لله تعالى عن ذلك

قال ابن اسحق المنحمنا بالسريانيـة محمد وهو بالرومية البارقليط وقد ترجموه الى العربى بلفظ المعزى كما اشرنا الى ذلك فالمنحمنا والبارقليط والمعزى هو محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم . وقد نقل المتاخرون من المسيحيين عمن قبلهم انقالا تناسب ما ذهبوا اليه فى اعتقاداتهم ونسبوها الى الحواريين وهى واهية الاسناد ضعيفة المفاد يلوح عليها الافتراء والكذب كنقلهم عنهم انهم قالوا نحن مأمورون بالتثليث وهذا بهتان عظيم نسبوه الى قوم مؤمنين بالله موحدين اتقياء صالحين لا يفترون على الله الكذب وقوّلوهم ما لم يقولوا

التنبيه الثانى

قد طال الكلام فى هذا الباب فرأينا ان نقتصر على ما ذكرناه من البشارات التى نقلناها عن كتبهم المعتبرة عندهم فى زماننا واما البشارات التى توجد فى كتب اخرى وليست معتبرة عندهم فقد ضربنا عن نقلها صفحا سوى بشارة واحدة دعانا الحال الى ذكرها هنا فنقول نقل القسيس سيل فى مقدمة ترجمته للقرآن المجيد من انجيل برنابا بشارة محمدية نصها اعلم يا برنابا ان الذنب وان كان صغيرا يجزى الله عليه لان الله غير راض عن الذنب ولما احبتنى امى وتلاميذى لاجل الدنيا سخط الله لاجل هذا الامر واراد باقتضاء عدله ان يجزيهم فى هذا العالم على هذه العقيدة الغير اللائقة ليحصل لهم النجاة من عذاب جهنم ولا يكون لهم اذية هناك وانى وان كنت بريا لكن بعض الناس لما قالوا فى حقى انه الله وابن الله كره الله هذا القول واقتضت مشيئته بان لا تضحك الشياطين يوم القيمة علىّ ولا يستهزؤن بى فاستحسن بمقتضى لطفه ورحمته ان يكون الضحك والاستهزاء فى الدنيا بسبب موت يهوذا ويظن كل شخص انى صلبت لكن هذه الاهانة والاستهزاء يبقيان الى ان يجىء محمد رسول الله فاذا جاء فى الدنيا ينبه كل مؤمن على هذا الغلط وترتفع هذه الشبهة من قلوب الناس وهذا الانجيل من الاناجيل القديمة وكان مذكورا فى كتب القرن الثانى والثالث للتاريخ المسيحى فعلى هذا قد كتب هذا الانجيل قبل ظهور محمد صلى الله عليه وسلم بمئين من السنين ولا يقدر ان يخبر بمثل هذا على غير طريق الوحى ويظهر هذا الامر قبل وقوعه بمئين من السنين فلا بد ان يكون هذا القول صدر عن عيسى عليه السلام وان قال النصارى ان واحدا من المسلمين حرف هذا الانجيل بعد ظهور محمد صلى الله عليه وسلم قلنا هذا

وحسن اسلامه والعبرة بالعاقبة اللهم احسن عاقبتنا فى الامور كلها واجرنا من خزى الدنيا وعذاب الاخرة

﴿ فصل ﴾

فى ذكر رجوع كفار قريش الى ايذاء المستضعفين من المسلمين

ثم ان كفار قريش بعدان تغافلوا عن المسلمين مدة فلم يتعرضوا الاحدهم باذى عادوا لما كانوا عليه باغراء عدو الله ابى جهل فجعلوا يعذبونهم بانواع العذاب ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض الايام بعمار بن ياسر وابيه ياسر وامه سمية واخيه عبدالله وهم يعذبون فقال لهم صبرًا آل ياسر فان موعدكم الجنة فمات ياسر فى العذاب وأعطيت سمية لابى جهل لعنه الله فطعنها بحربة وهى عجوز فقتلها ورمى ولدها عبدالله بسهم فسقط وقد روى ابن سعد بسند صحيح عن مجاهد ان سمية اول شهيد فى الاسلام وروى الحافظ بن عبد البر عن ابن مسعود ان ابا جهل طعن بحربته فى فخذ سمية فماتت فقال عمار يارسول الله بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال صلى الله عليه وسلم صبرًا أبا اليقظان اللهم لاتعذب من آل ياسر احدا بالنار واما عمار فقد فرج الله عنه بعد طول تعذيبه وكان ابو بكر الصديق رضى الله عنه اذا مرّ باحد من العبيد يعذب اشتراه من سادته المعذبين له واعتقه ابتغاء وجه ربه الاعلى ومن العبيد الذين اشتراهم واعتقهم بلال بن رباح الحبشى اشتراه رضى الله عنه وهو مدفون بالحجارة فأخرجه من تحتها ومن العبيد الذين اشتراهم الصديق رضى الله عنه عامر بن فهيرة ومنهم ابو فكيهة ومنهم حمامةُ ام بلال ومنهم لبينة تصغير لبنى قال بعض السادة أول من اظهر الاسلام اظهارًا تاما

لاخفاء معه لايبالى بمن علم به سبعة وهم سيدنا (محمد) رسول الله صلى الله عليه وسلم (وابو بكر) رضى الله عنه وكانت له اليد الطولى فى الاسلام وعادى قومه بعد ما كان محبباً فيهم ودفع عن المصطفى قولا وفعلا ويدا ودعا الى الله وحسبه فضلا ان فضلاء الصحابة اسلموا على يده رضى الله عن جميعهم (وعمار بن ياسر) المملوء ايمانا الصابر على البلوى اولا واخرا المجاهد فى الله حق جهاده روى الطبرانى فى الكبير عنه انه قال قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الجن والانس ارسلنى الى بئر بدر فلقيت الشيطان بصورة الانس فصارعنى فصارعته فجعلت ادقه بحجر معى فقال صلى الله عليه وسلم لمن حضره من الصحابة وقتئذ عمار لقى الشيطان عند البئر فقاتله (وامه سميه) بنت سلمة (وصهيب بن سنان) الرومى مولى عبدالله بن جدعان أسلم هو وعمار فى يوم واحد (وبلال) (والمقداد) المعروف بابن الاسود فاما رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعه الله من اذية الكفار البالغة المتوالية بعمه ابى طالب واما ابو بكر فمنعه الله بقومه واما الباقون فاخذهم المشركون يعذبونهم فالبسوهم ادراع الحديد وطرحوهم فى الشمس واما بلال فقد هانت نفسه فى الله ولله عز وجل فلم يبال بتعذيبهم وصبر على اذاهم وهان على مواليه فأخذوه واعطوه للولدان فجعلوا يطوفون به فى شعاب مكة وهو يقول احد احد وجعلوا مرة فى عنقه حبلا ودفعوه الى الصبيان يلعبون به حتى أثر الحبل فى عنقه رضى الله عنه وذلك ليرجع الى الكفر والله يعيذه ويحميه منه وحسبه بهذا منقبة فانظر كيف فعل ببلال ما فعل من الاكراه على الكفر وهو يقول احد احد فمزج مرارة العذاب بحلاوة الايمان وهذا كما وقع له ايضا عند موته كانت امرأته تقول واحزناه وهو يقول واطرباه غدا القى الاحبه محمدا وحزبه

فزج مرارة الموت بحلاوة اللقاء ولله در الامام ابى محمد الشقراطسى حيث قال

لاقى بلال بلاء من امية قد ... احله الصبر فيه اكرم النزل
اذ اجهدوه بضنك الاسر وهو على ... شدائد الازل ثبت الأزر لم يزل
القوه بطحاً برمضاء البطاح وقد ... عالوا عليه صخورا جمة الثقل
فوحد الله اخلاصا وقد ظهرت ... بظهره كندوب الطل فى الطلل
ان قدّ ظهر ولى الله من دبر ... قد قدّ قلب عدو الله من قبل

يعنى ان كان ظهرُ ولى الله بلال قد ظهر فيه اثر التعذيب بقوة فقد جوزى امية عدو الله وقدّ قلبه ببدر لانه قتل يومئذ ووصل السيف الى قلبه فقده لعنه الله ومن خبره ان عبد الرحمن بن عوف آسره يوم بدر واراد استبقاءه لاخوة كانت بينهما فى الجاهلية فرآه بلال معه فصاح باعلى صوته يا انصار الله رأس الكفر امية بن خلف لا نجوت ان نجا فنهبوه وتناولوه بسيوفهم حتى قتلوه فظهر بهذا مصداق القول ان النصر مع الصبر فقد صبر بلال على تعذيب ذلك الخبيث له فكان قتله على يده فهناه الصديق رضى الله عنه بابيات منها

هنيأ زادك الرحمن فضلا ... فقد أدركت ثارك يابلال

واخرج البيهقى عن عروة ان ابا بكر اعتق مما كان يعذب فى الله سبعة منهم زنيرة بكسر الزاى والنون وتشديدها أمة عمر بن الخطاب اسلمت قبله فكان يعذبها فذهب بصرها وكانت ممن يعذب فى الله فتأبى الا الاسلام فقال المشركون ما اصاب بصرها الا اللات والعزى فقالت والله ما هو كذلك وما يدرى اللات والعزى من يعبدها ولكن هذا امر من السماء

وربي قادر على ان يرد على بصري فرد الله عليها بصرها صبيحة تلك الليلة فقالت قريش هذا من سحر محمد فاشتراها ابو بكر من عمر واعتقها ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب والقى السمع وهو شهيد

فصل

فى ذكر الهجرة الاولى الى الحبشة

لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم المشركين يؤذون اصحابه ولا يستطيع ان يكف ايديهم عنهم قال لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكاً لا يظلم عنده احد وهي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما انتم فيه فخرجوا اليها مخافة الفتنة وفروا الى الله بدينهم فكانت اول هجرة فى الاسلام وهذه الهجرة كانت فى رجب سنة خمس من النبوة فهاجر اليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر باهله ومنهم من هاجر بنفسه وكانوا احد عشر رجلا عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام وابو حذيفة بن عتبة هاربا من ابيه بدينه ومصعب وابو سلمة بن عبد الاسد وعثمان بن مظعون وعامر بن ربيعة وسهيل بن بيضاء وابو سبرة بن ابى رهم وحاطب بن عمرو العامريان وزاد بعضهم عبدالله بن مسعود واربع نسوة السيدة رقية مع زوجها عثمان بن عفان وام سلمه مع زوجها ابو سلمة بن عبد الاسد وسهلة بنت سهيل مع زوجها ابو حذيفة بن عتبة مراغمة لابيها وليلة العديه مع زوجها عامر بن ربيعة وكان عثمان بن مظعون اميراً عليهم وخرجوا سرا الى الشعيبة على البحر فاستأجروا سفينة بنصف دينار وخرجت قريش فى آثارهم حتى جاؤا البحر حيث ركبوا فلم يدركوا احدا منهم وكان اول من خرج من مكة من هؤلاء المهاجرين عثمان بن عفان مع امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما

وصلوا امنهم واقاموا فى الحبشة تكدر صفو الكفار واظلم جوّهم وذهبت
بهم الحيرة كل مذهب وفى شوال هذه السنة رجع نفر من هؤلاء المهاجرين
الى مكة وذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم قرأ سورة ﴿والنجم اذا هوى﴾ وفيها
قوله تعالى ﴿افرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الاخرى﴾ ثم لما ختم السورة
سجد فسجد معه المشركون لتوهمهم انه ذكر آلهتهم بخير وفشا ذلك واظهره
الشيطان حتى بلغ ارض الحبشة ومن بها من المسلمين وتحدثوا ان اهل مكة
قد اسلموا كلهم وصلوا مع النبى صلى الله عليه وسلم وقد أمن المسلمون بمكة
فقال المهاجرون عشائرنا احب الينا واقبلوا سراعا من الحبشة حتى اذا كانوا
قرب مكة بساعة لقوا ركباً من كنانة فسألوهم عن قريش فقالوا ذكر محمد
آلهتهم فتوهموا انه ذكرها بخير فتابعه الملاء ثم عاد لشتم الآلهة وعادوا له
بالشر فتركناهم على ذلك فأتمر القوم فى الرجوع الى الحبشة ثم قالوا قد بلغنا
مكة فندخل فننظر ما فيه قريش ثم نرجع فدخلوها ولم يدخل احد منهم الا
بجوار الا ابن مسعود فانه مكث يسيرا ثم رجع الى الحبشة

فصل

فى ذكر اسلام عمر بن الخطاب رضى الله عنه

وفى ذى الحجة سنة ست من النبوة اسلم عمر بن الخطاب رضى الله عنه
وكان المسلمون اذ ذاك بضعة واربعين رجلا واحدى عشرة امرأة فنزل
جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم ﴿فقال يا ايها النبى حسبك الله
ومن اتبعك من المؤمنين﴾ وكان سبب اسلامه فيما ذكره اسامة بن زيد عن ابيه
عن اسلم مولى عمر عن عمر أنه قال بلغنى اسلام اختى فاطمة بنت الخطاب
فدخلت عليها فقلت ياعدوة نفسها قد بلغنى انك صبأتِ اى خرجت عن

دينك ثم ضربتها فسال الدم فلما رأت الدم بكت وغضبت وقالت اتضربني
ياعدو الله على ان اوحد الله لقد اسلمنا على رغم انفك يا ابن الخطاب ما كنت
فاعلا فافعل فقد اسلمت قال فدخلت وانا مغضب فجلست على السرير
فنظرت واذا كتاب في ناحية البيت فقلت ما هذا الكتاب اعطنيه فقالت لا
أعطيكه لست من اهله انت لا تغتسل من الجنابة ولا تطهر وهذه لا يمسه
الا المطهرون قال فلم ازل بها حتى اعطتنيه فاذا فيه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾
فلما قرأتها ذعرت ورميت بالصحيفة من يدي ثم رجعت الى نفسي فاخذت
الصحيفة فاذا فيها بعد البسملة ﴿سبح لله ما في السماوات والارض وهو
العزيز الحكيم * له ملك السموات والارض يحيي ويميت وهو على كل شيء
قدير * هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم *
هو الذي خلق السماوات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يعلم
ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو
معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير * له ملك السماوات والارض والى
الله ترجع الامور * يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم
بذات الصدور * آمنوا بالله ورسوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
فالذين امنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير﴾ فقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا رسول الله وكان في البيت زوج اختي سعيد بن زيد وخباب ابن الارث
ورجل آخر فخرجوا يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه مني وحمدوا
الله ثم قالوا يا ابن الخطاب ابشر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فقال اللهم
اعز الاسلام بعمر او عمرو يعنون ابا جهل وانا نرجو ان تكون دعوته لك
قد استجيبت فابشر ثم انهم اطمأنوا وعرفوا مني الصدق ثم قلت لهم

اخبروني بمكانه صلى الله عليه وسلم قالوا هو فى اسفل الصفا فجئت الى رسول صلى الله عليه وسلم وهو فى دار الأرقم الصحابى كان صلى الله عليه وسلم مختفيا فيها بمن معه من المسلمين ولما دخلت عليه اخذ رجلان بعضدى حتى دنوت منه صلى الله عليه وسلم فقال ارسلوه {اطلقوه} فارسلونى فجلست بين يديه فاخذ بمجامع ثيابى فجذبنى اليه ثم قال اسلم يا ابن الخطاب اللهم اهد قلبه قلت اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله فكبر المسلمون تكبيرة واحدة سمعت بطريق مكة وكان الرجل اذا اسلم استخفى باسلامه ثم خرجت الى رجل لايكتم السر فقلت له سرا صبوت اى خرجت من دين الى دين قال فرفع صوته ونادى ألا ان ابن الخطاب قد صبأ فما زال الناس يضربونى واضربهم فقال الحارث بن هشام احد اخوالى من بنى مخزوم ما هذا قالوا ابن الخطاب فقال ألا أنى قد اجرت ابن اختى قال فانكشف الناس عنى فما زلت أضرب وأضرب حتى اعز الله الاسلام واول هذه القصة ما رواه ابو نعيم فى الدلائل عن طلحة وعائشة رضى الله عنهم قال ان ابا جهل جعل لمن يقتل محمدا مائة ناقة حمراء والفى اوقية من فضة فقلت له يا ابا الحكم الضمان صحيح قال نعم فخرجت متقلدا السيف متنكبا كنانتى اريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمررت على عجل وهم يريدون ذبحه قربانا للآلهة فقمت انظر اليه فاذا صائح يسمع صوته من جوف العجل يقول يا آل ذريح امر نجيح رجل يصيح بلسان فصيح يدعوا الى شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقلت فى نفسى ان هذا الامر ما يراد به الا انا ثم مررت بصنم فاذا هاتف من جهته اسمع صوته ولا ارى شخصه يقول

يا ايها الناس ذوو الاجسام   ما انتم وطائش الاحلام

ومسند الحكم. الى الاصنام — اصبحتم كراتع الانعام
اما ترون ما ارى امامى — من ساطع يجلو دجى الظلام
قد لاح للناظر من تهام — وقد بدا للناظر الشئام
محمد ذو البر والاكرام — اكرمه الرحمن من امام
قد جاء بعد الشرك بالاسلام — يأمر بالصلاة والصيام
والبر والصلات للارحام — ويزجر الناس عن الآثام
فبادروا سبقا الى الاسلام — بلا فتور وبلا احجام

قال عمر فقلت ما أراه الا ارادنى ثم مررت بالصنم المعروف بضمار فاذا هاتف يقول

اودى ضمار وكان يعبد مدة — قبل الكتاب وقبل بعث محمد
ان الذى ورث النبوة والهدى — بعد ابن مريم من قريش مهتد
سيقول من عبد الضمار ومثله — ليت الضمار ومثله لم يعبد
ابشر ابا حفص بدين صادق — تهدى اليه بالكتاب المرشد
واصبر ابا حفص فانك آمر — يأتيك عز غير عز بنى عدى
لا تعجلنّ فان ناصر دينه — حقاً يقينا باللسان وباليد

قال عمر فوالله لقد علمت انه ارادنى فلقينى نعيم وكان يخفى اسلامه فرَقا من قومه فقال اين تذهب قلت اريد هذا الذى فرق امر قريش فقال ياعمر أتظن ان بنى عبدمناف تاركوك تمشى على وجه الارض ثم قال الا ترجع الى اهل بيتك فتقيم امرهم فذكر عمرُ دخوله على اخته الى آخر القصة بطولها قال ابن عباس لما اسلم عمر قال جبريل للنبى صلى الله عليه وسلم يامحمد لقد استبشر اهل السماء بأسلام عمر رواه ابن ماجه ورواه الحاكم وصححه وانما

استبشر اهل السماء باسلام عمر لان الله اعز به الدين ونصر به المستضعفين
قال ابن مسعود رضى الله كان اسلام عمر عزّا وهجرته نصرا وامارته رحمة
والله ما استطعنا ان نصلى حول البيت الحرام ظاهرين حتى اسلم عمر رواه ابن
ابى شيبة والطبرانى وقال صهيب رضى الله عنه لما اسلم عمر قال المشركون
انتصف القوم منا رواه ابن ابى سعد وقال غيره لما اسلم عمر قال يا رسول
الله لا ينبغى ان يكتم هذا الامر اظهر دينك فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومعه المسلمون وعمر امامهم معه سيف ينادي لا آله الا الله محمد
رسول الله حتى دخل المسجد فقالت قريش لقد اتاكم عمر ما وراءك ياعمر
قال ورائى لا آله الا الله محمد رسول الله فان تحرك احد منكم لامكنن سيفى
منه ثم تقدم امام رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يطوف وهو يحميه
حتى فرغ من طوافه وابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون

فصل

فى ذكر دخول الشعب وخبر الصحيفة

ولما رأت قريش عزة النبى صلى الله عليه وسلم بمن معه من المسلمين
وباسلام عمر وبعزة اصحابه بالحبشة عند الملك اصحمة النجاشى وفشوّ الاسلام
فى القبائل اجمعوا على ان يقتلوا النبى صلى الله عليه وسلم وقالوا لقد افسد
ابناءنا ونساءنا وقالوا لقومه خذوا منادية مضاعفة ويقتله رجل من غير قريش
فتريحونا وتريحون انفسكم فبلغ ذلك ابا طالب فجمع بنى هاشم وبنى المطلب
فامرهم فدخلوا شعبهم وادخلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم ومنعوه
ممن اراد قتله واجاب كل واحد منهم ابا طالب لذلك مؤمنهم وكافرهم الا
ابا لهب وانما فعلوا ذلك حمية على عادة العرب فى المناصرة والتخزل عنهم

بنو عمهم عبد شمس ونوفل وفى ذلك يقول ابو طالب فى قصيدته

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا　　عقوبة شر عاجلا غير آجل

وقال فى اخرى

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا　　وتيماً ومخزوما عقوقا ومأثما

ولما رأت قريش ذلك اجتمعوا وتشاوروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب ان لا يزوجوهم ولا يتزوجوا منهم وان لا يبيعوا منهم شيئاً ولا يبتاعوا ولا يقبلوا منهم صلحاً ابدا ولا تأخذهم بهم رأفة حتى يسلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتل أو يخلوا بينهم وبينه وكتبوا ذلك كله فى صحيفة بخط منصور بن عكرمة لعنه الله فشلت يده وهلك كافرا وقيل بخط بغيض بن عامر بن هاشم ابن عبد مناف فشلت يده وهو بغيض كاسمه ثم هلك على كفره وعلقوا الصحيفة فى الكعبة هلال المحرم سنة ستة من النبوة وكان اجتماعهم وتحالفهم ومكاتبتهم فى خيف بنى كنانة وهو المحصب فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى ابى طالب ودخلوا معه الشعب كما تقدم الا أبا لهب فكان مع قريش فاقاموا على ذلك سنتين وجزم به موسى بن عقبة الامام فى المغازى حتى جهدوا لقطعهم عنهم الميرة والمادّة وكانوا لا يصل اليهم شىء الا سرا ويخرجون من شعبهم من الموسم الى الموسم لاجل الحج فلا يمنعونهم من ذلك وفى الصحيح انهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق الشجر وفى كلام السهيلى كانوا اذا قدمت العير مكة يأتى احدهم السوق ليشترى شيئاً من الطعام من اهل العير فيقوم ابو لهب فيزيد عليه فى قيمة السلعة اضعافا مضاعفة ليمنعه من شراء ما هو محتاج اليه حتى يرجع الرجل الى اطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس عنده شىء

يعللهم به ثم يغدو التجار على ابى لهب بما كسد فى ايديهم من بضائعهم فيربحهم
ويضاعف لهم الثمن وكان هشام بن عمر العامرى يصل اهل الشعب وكان
اشد الناس قياما فى نقض الصحيفة وابطال عهد قريش فيها وكانت صلته
لقرابته بما يقدر عليه من الطعام لا ينقطع ومن خبره انه ادخل عليهم فى ليلة
ثلاثة احمال فعلمت قريش بذلك فمشوا اليه حين اصبح فكلموه فقال انى غير
عائد الى شىء خالفتكم فيه فانصرفوا عنه ثم عاد الثانية فادخل عليهم حملا فاغلظ
له قريش فى القول وهموا بقتله فقال لهم ابو سفيان بن حرب دعوه فانه رجل
واصل اهله ورحمه اما انى احلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل لكان احسن بنا
وكان حكيم بن حزام ممن يصلهم بالطعام ايضاً فلقيه ابو جهل مرة ومع حكيم
غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ورضى الله
عنها وهى معه فى الشعب فقال ابو جهل لحكيم تذهب بالطعام لبنى هاشم
والله لا تذهب انت وطعامك حتى افضحك بمكة فحضرهما ابو البخترى
فقال لابى جهل مالك وماله فقال كيف يحمل الطعام لبنى هاشم فقال ابو
البخترى هذا طعام كان لعمته عنده افتمنعه ان يأتيها به خلّ سبيل الرجل
فابى ابو جهل لعنه الله حتى نال احدهما من الاخر فاخذ ابو البخترى لحى
بعير فضرب به ابا جهل وشجه ووطئه وطئاً شديدا وابو البخترى هذا بالخاء
المهملة قتل فيمن قتل من قريش كافرا يوم بدر وكان ابو طالب مدة اقامتهم
بالشعب يأمر النبى صلى الله عليه وسلم ان يأتى فراشه كل ليلة حتى يراه من
اراد به شرا فاذا نام الناس امر احد بنيه او اخوانه او بنى عمه ان يضطجع
على فراش المصطفى صلى الله عليه وسلم ويأمره هو بالنوم على بعض فرشهم
وهذا ما جرت به العادة من الاحتراس فى الامور العادية والا فهو صلى الله

عليه وسلم محفوظ معصوم من القتل ثم ان الله تعالى اوحى الى النبي صلى الله عليه
وسلم ان الارضة اكلت جميع مافى الصحيفة من القطيعة والظلم فلم تدع سوى
اسم الله تعالى وكانوا يكتبون باسمك اللهم فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم
عمه ابا طالب بذلك فقال يا ابن اخى أرَبّك اخبرك بهذا قال نعم قال وحق
الثوابت ما كذبتنى قط اى ما كذبت علىّ ثم انطلق ابو طالب فى عصابة من
بنى هاشم وبنى المطلب حتى اتوا المسجد فانكر قريش ذلك وظنوا انهم
خرجوا من شدة البلاء. فقال ابو طالب يامعشر قريش قد جرت بيننا وبينكم
امور لم تذكر فى صحيفتكم فاتوا بها لعل ان يكون بيننا وبينكم صلح وانما
قال ذلك خشية ان ينظروا فيها قبل ان يأتوا بها فأتوا بها وهم لا يشكون
ان اباطالب يدفع لهم النبي صلى الله عليه فوضعوها بينهم وقبل ان تفتح قالوا
لابى طالب قد آن لكم ان ترجعوا عما احدثم علينا وعلى انفسكم فقال انما
اتيتكم فى امر هو نصفة اى انصاف اى عدل بيننا وبينكم ان ابن اخى اخبرنى
ولم يكذب علىّ قط ان الله قد بعث على صحيفتكم الأرضة فاكلت غدركم
وتظاهركم علينا بالظلم وتركت كل اسم لله تعالى فان كان كما يقول فافيقوا
واقلعوا عما انتم عليه لانسلمه حتى نموت من عند آخرنا وان كان باطلا دفعناه
اليكم فقتلتم او استحييتم فقالوا رضينا ففتحوها فوجدوها كما قال صلى الله عليه
وسلم فقالوا هذا سحر ابن اخيك وزادهم بغياً وعدوانا ليقضى الله امرا كان
مفعولا ثم قال لهم ابو طالب وحيث وجد الامر كما أخبر به ابن اخى فعلام
نحصر ونحبس وقد بان الامر وتبين انكم أولى من وصف بالظلم والقطيعة
ودخل هو ومن معه تحت استار الكعبة وقال اللهم انصرنا على من ظلمنا
وقطع ارحامنا واستحلّ ما يحرم عليه منا ثم انصرف بمن معه الى الشعب

وعند ذلك مشت طائفة من قريش فى نقض تلك الصحيفة فمشى هشام بن
عمرو بن الحارث العامرى الى زهير ابن ابى اميه فقال يازهير ارضيت ان
تا كل الطعام وتلبس الثياب واخوالك كما قد علمت فقال ويحك ياهشام فماذا
اصنع فانما انا رجل واحد والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها فقال
انا معك فقال ابغنا ثالثا ومشينا جميعا الى المطعم بن عدى فقالا له ارضيت ان
يهلك بطنان من بنى عبد مناف وانت فى الحياة فقال انما انا واحد فقالا انا
معك فقال اطلبوا رابعا فذهبوا الى ابى البحترى فقال اطلبوا خامسا فذهبوا
الى زمعة بن الاسود فوافقهم على ذلك فقعدوا ليلاً بأعلى مكة وتعاقدوا على
نقض الصحيفة واخراج بنى هاشم من الشعب وقال لهم زهير انا ابدؤكم
واكون اول من يتكلم فلما اصبحوا غدوا الى انديتهم وغدا زهير وعليه حلة
فطاف بالبيت ثم اقبل على الناس فقال يا اهل مكة نأ كل الطعام ونلبس
الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبتاعون ولا يبتاع منهم والله لااقعد حتى
تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة فقال له ابو جهل لعنه الله كذبتَ لاتشق
فقال زمعة بن الاسود انت والله اكذب مارضينا كتابتها حين كتبت
فقال ابو البحترى صدق زمعةُ فقال مطعم بن عدى صدقتما وكذب من قال
غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها فقال هشام بن عمرو مثل ذلك
فقال ابو جهل هذا امر قضى بليل واضطرب الامر بينهم وكثر القيل والقال
فقام المطعم بن عدى الى الصحيفة فشقها ثم قام هؤلاء الخمسة فلبسوا السلاح
ثم خرجوا الى بنى هاشم والمطلب وامروهم بالرجوع الى مساكنهم فاجابوهم
الى ذلك وقد كان هذا فى السنة التاسعة من النبوة بناء على ان مكثهم فى
الشعب كان سنتين او فى السنة العاشرة بناء على انه كان ثلاث سنين وفى

الخمسة الذين سعوا فى نقض الصحيفة اشار صاحب الهمزية بقوله

فديت خمسة الصحيفة بالخمـ ... سة ان كان للكرام فداء
فتية بيتوا على فعل خير ... حمد الصبح أمرهم والمساء
وزهير والمطعم بن عدىٌّ ... وابو البحترى من حيث شاءُوا
نقضوا مبرم الصحيفة اذ شدَّ ... تْ عليهم من العدا الانداء
اذكرتنا باكلها اكل منسا ... ة سليمان الارضة الخرساء
وبها اخبر النبي وكم اخر ... ج خبأله الغيوب خباء
لا تخل جانب النبي مضاماً ... حين مسته منهم الاسواء
كل امرٍ ناب النبيين فالشد ... دة فيه محمودة والرخاء

فالمراد بالخمسة الذين يكونون فداء المستهزؤن وهم الاسود بن المطلب والاسود بن عبد يغوث والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والحارث وقد تقدم ذكرهم وهلاكهم وخمسة الصحيفة الذين نقضوا الصحيفة وكانوا سببا فى رجوع بنى هاشم وبنى المطلب الى منازلهم من الشعب اسلم منهم هشام ابن عمرو وزهير بن ابى امية واما الباقون وهم المطعم بن عدى وابو البحترى وزمعة بن الاسود فقد ماتوا كفارا

﴿ فصل ﴾

﴿ فى ذكر الهجرة الثانية الى الحبشة ﴾

ثم بعد وقوع ماذكر اذن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين فى الهجرة الى ارض الحبشة فخرج منهم ثلاثة وثمانين رجلا وثمانى عشرة امرأة وكان من الرجال جعفر بن ابى طالب ومعه زوجته اسماء بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبدالله بن مسعود قال جعفر بن ابى طالب رضى الله عنه لما نزلنا

ارض الحبشة جاورنا خير جار وامنا على ديننا وعبدنا الله تعالى فلا نؤذى
ولا نسمع شيئاً نكرهه فلما بلغ خبرنا قريشا ائتمروا ان يبعثوا رجلين جلدين الى
النجاشى وان يهدوا له هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان اعجب ما يأتيه
منها الادم فجمعوا له ادماً كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا هيئوا له
هدية ثم بعثوا هذه الهدايا مع عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد ولاول
وصولهما فرقا الهدايا على اصحابها ودخلا على الملك فقالا له ايها الملك انه
قد صبا الى بلدك غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك
وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا انت جاءهم به رجل خرج فينا يزعم
انه رسول الله ولم يتبعه منا الا السفهاء وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من
ابائهم واعمامهم وعشائرهم لتردهم اليهم فهم اعلم بما عابوا عليهم فقال
بطارقته وكانوا حاضرين لقد صدقا ايها الملك فقومهم اعلم بهم فاسلمهم
لهما ليرداهم الى بلادهم وقومهم فغضب النجاشى وقال لاها الله اى لا والله
لا اسلمهم وكيف وهم جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى
كلا لا أفعل الا بعد ان ادعوهم واسألهم عما يقول هذان من امرهم فان كان
الامر كما يقولان سلمتهم اليهما والا منعتهم عنهما واحسنت جوارهم ما
جاورونى واقاموا فى بلادى قال جعفر ثم ارسل النجاشى لنا ودعانا فلما دخلنا قال
من حضره من حاشيته وبطارقته مالكم لا تسجدون للملك قلنا لا نسجد
الا لله عز وجل فقال النجاشى متجاهلا ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم
ولم تدخلوا فى ديننا ولا فى ملة من الملل فقلنا ايها الملك كنا قوماً اهل جاهلية
نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الارحام ونسىء الجوار
ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله لنا رسولا كما

بعث الرسل الى من قبلنا وهذا الرسول منا نعرف نسبه وصدقه وامانته
وعفافه فدعانا الى الله تعالى لنوحده ونعبده ونخلع ونترك ماكان يعبد اباؤنا
من دونه من الحجارة والأوثان وامرنا بالصلاة ركعتين بالغداة وركعتين
بالعشى وبالصدقة وصيام ثلاثة ايام من كل شهر { وهى الأيام البيض }
وامرنا بصدق الحديث واداء الامانة وصلة الارحام وحسن الجوار والكف
عن المحارم والدماء وعن سائر الفواحش وعن قول الزور واكل مال اليتيم
وقذف المحصنات فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به فعدا علينا قومنا
ليردونا الى عبادة الاصنام واستحلال الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا
وحاولوا ان يحولوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك
ورجاؤنا ان لانظلم عندك ايها الملك فقال النجاشى لجعفر هل عندك مما جاء
به شىء قال قلت نعم قال فاقرأه فقرأت عليه {بسم الله الرحمن الرحيم} كهيعص
ذكر رحمة ربك عبده ذكريا ٭ اذ نادى ربه نداء خفياً ٭ قال رب انى وهن
العظم منى واشتعل الرأس شيبا ولم اكن بدعائك رب شقيا ٭ وانى خفت
الموالى من ورآئى وكانت امرأتى عاقرا فهب لى من لدنك وليا ٭ يرثنى ويرث
من آل يعقوب واجعله رب رضيا ٭ يازكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم
نجعل له من قبل سميا ٭ قال رب أنى يكون لى غلام وكانت امرأتى عاقرا وقد
بلغت من الكبر عتيا ٭ قال كذلك قال ربك هو على هين وقد خلقتك من
قبل ولم تك شيئاً ٭ قال رب اجعل لى آية قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلاث
ليال سويا ٭ فخرج على قومه من المحراب فاوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا}
قال جعفر فبكى والله النجاشى وبكى الاساقفة وعند الامام البغوى ان جعفر
قرأ ايضاً على النجاشى ثلاث عشرة آية من سورة العنكبوت من اولها فقرأ

{بسم الله الرحمن الرحيم * آلم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا امنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين * ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء ما يحكمون * من كان يرجو لقاء الله فان اجل الله لآت وهو السميع العليم * ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ان الله لغنى عن العالمين * والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيآتهم ولنجزينهم احسن الذى كانوا يعملون * ووصينا الانسان بوالديه حسنا وان جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما الىَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون * والذين آمنو وعملوا الصالحات لندخلنهم فى الصالحين * ومن الناس من يقول امنا بالله فاذا أوذى فى الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم او ليس الله باعلم بما فى صدور العالمين * وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين * وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وماهم بحاملين من خطاياهم من شىء انهم لكاذبون * وليحملن اثقالهم وليسئلن يوم القيمة عما كانوا يفترون } قال ثم اتبع هذه الآيات صدرا من سورة الروم فقرأ عليه {بسم الله الرحمن الرحيم * آلم غلبت الروم فى ادنى الارض وهم من بعد غلبهم سيغلبون * فى بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن اكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون * او لم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون * او لم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض

وعمروها اكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم
ولكن كانوا انفسهم يظلمون * ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوء ان كذبوا بايات
الله وكانوا بها يستهزؤن * الله يبدوء الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون * ويوم تقوم
الساعة يبلس المجرمون * ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم
كافرين ﴾ قال ففاضت عيناه وعيون اصحابه بالدموع وقالوا زدنا ياجعفر من
هذا فقرأ لهم السورة الى اخرها فقال لهم النجاشي هذا والله الذى جاء به
عيسى ثم قال جعفر للنجاشي سلهما يعنى رسولى قريش هل اهرقنا دماءً بغير
حق فيقتص منا هل اخذنا من اموال الناس شيئاً بغير حق فعلينا قضاؤه فقال
عمرو بن العاص احد الرسولين لا فقال النجاشي لعمرو وصاحبه هل لكما
عليهم دين قالا لا قال انطلق فوالله لاسلمهم اليكما ابدا ولو اعطيتمونى جبلا
من ذهب فرجع عمرو وصاحبه خائبين وفى مناسبة هذه القصة على ماذكره
البيضاوى وغيره من المفسرين نزل قوله تعالى ﴿ لتجدن ﴾ يا محمد ﴿ اشد الناس
عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ﴾ لتضاعف كفرهم وجهلهم
وانهماكهم فى اتباع الهوى وقربهم الى التقليد وبعدهم عن التحقيق وتمرنهم
على تكذيب الانبياء ومعاداتهم ﴿ ولتجدن اقربهم مودة للذين امنوا الذين قالوا
انا نصارى ﴾ وذلك للين جانبهم ورقة قلوبهم وقلة حرصهم على الدنيا وكثرة
اهتمامهم بالعلم والعمل واليه اشار بقوله ﴿ ذلك بان منهم قسيسين ورهبان
وانهم لايستكبرون ﴾ اى عن قبول الحق اذا فهموه او يتواضعون ولايتكبرون
كاليهود ﴿ واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع ﴾
عطف على لايستكبرون وهو بيان لرقة قلوبهم وشدة خشيتهم ومسارعتهم
الى قبول الحق وعدم تأبيهم عنه ﴿ مما عرفوا من الحق ﴾ من الاولى للابتداء

والثانية لتبيين ما عرفوا أو للتبعيض فانه بعض الحق والمعنى انهم عرفوا بعض الحق فابكاهم فكيف اذا عرفوا كله ﴿ يقولون ربنا امنا ﴾ اى بذلك او بمحمد ﴿ فاكتبنا مع الشاهدين ﴾ اى من الذين شهدوا بانه حق او بنبوته او من امته الذين هم شهداء على الامم يوم القيامة ثم قالوا فى جواب من انكر عليهم من اليهود ﴿ وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فاثابهم الله بما قالوا ﴾ اى عن اعتقاد وخلوص نية ﴿ جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين ﴾ اى الذين احسنوا النظر والعمل قال البيضاوى وهذه الايات الاربع روى انها نزلت فى النجاشى واصحابه بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه فقرأه ثم دعا جعفر بن ابى طالب والمهاجرين معاً واحضر الرهبان والقسيسين فامر جعفرا ان يقرأ عليهم القرآن فقرا سورة مريم فبكوا وآمنوا وقيل نزلت فى ثلاثين او سبعين رجلا من قوم النجاشى وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة فقرأ عليهم سورة يس فبكوا وامنوا ومن يهد الله فلا مضل له

فصل

﴿ فى هجرة ابى بكر رضى الله عنه ورجوعه ﴾

وبعد ان هاجر جعفر بن ابى طالب ومن معه من المسلمين واشتد امر الكفار خرج ابو بكر رضى عنه من مكة لاحقاً بهم وسار حتى بلغ برك الغماد وهو موضع على خمس ليال من مكة الى جهة اليمن فلقيه ابن الدغنة وهو سيد القارة حلفاء قريش فقال اين تريد يا ابا بكر فقال اخرجنى قومى فاريد ان اسيح فى الارض واعبد ربى فقال ابن الدغنة فان مثلك يا ابا بكر لا

يخرج لانك تكسب المعدوم وتصل الرحم فانا لك جار أرجع واعبد ربك
ببلدك فرجع وارتحل معه ابن الدغنة فطاف عشية فى اطراف قريش فقال
ان ابا بكر لايخرج مثله ولا يخرج اتخرجون رجلا يصل الرحم ويحمل الكل
ويقرى الضيف فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة وقالوا له مر ابا بكر
فليعبد ربه فى داره فليصل فيها وليقرأ ما شاء ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن
به فانا نخشى ان يفتن نسائنا وابناءنا فقال ذلك ابن الدغنة لابى بكر فلبث يعبد
ربه فى داره ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم بداله فابتنى مسجدا
بفناء داره فكان يصلى فيه ويقرأ القرآن فيتقصف ويزدحم عليه نساء المشركين
وابناؤهم ويعجبون منه وكان ابو بكر رجلا بكاءً لايملك عينيه اذا قرأ
القرآن فافزع ذلك اشراف قريش من المشركين لما يعلمونه من رقة قلوب
النساء والشباب وخافوا ان يميلوا الى الاسلام فارسلوا الى ابن الدغنة فقدم
عليهم فقالوا انا كنا اجرنا ابا بكر بجوارك على ان يعبد ربه فى داره والآن قد
جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره واعلن بالصلاة والقرآءة فيه وانا قد خشينا
ان يفتن نساءنا وابناءنا فانهه فان احب ان يقتصر على ان يعبد ربه فى داره
فعل وان ابى الا ان يعلن فاسأله ان يرد اليك ذمتك واماتك له فانا قد
كرهنا ان نخفرك ونغدرك ولسنا مقرين اياه على الاستعلان فاتى ابن الدغنة
الى ابى بكر وقال قد علمتَ الذى عقدت لك عليه فاما ان تقصر على ذلك
واما ان ترجع الىّ ذمتى فانى لاحب ان تسمع العرب انى اخفرت فى رجل
عقدت له جواراً فقال له ابو بكر انى اردلك جوارك وارضى بجوار الله
قال الحافظ ابن حجر وفى هذا الحديث من فضائل الصديق اشياء كثيرة قد
امتاز بها عن سواه وهى ظاهرة لمن تأملها

فصل

فى ذكر قوم من نجران قدموا مكة واجتمعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض عليهم الاسلام

ثم قدم قوم من نصارى نجران الى مكة والنبى صلى الله عليه وسلم فيها قبل الهجرة الى المدينة ونجران بلدة بين مكة واليمن على نحو من سبع مراحل من مكة وكانوا نحوا من عشرين رجلا وكان حضورهم حين بلغهم خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن هاجر من المسلمين الى الحبشة ولاول وصولهم الى مكة وجدوا النبى صلى الله عليه وسلم فى المسجد فجلسوا اليه وسألوه وكلموه ورجال من قريش فى انديتهم حول الكعبة ينظرون اليهم فلما فرغوا من سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ارادوا دعاهم صلى الله عليه وسلم الى توحيد الله تعالى وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا حصل لهم من الرقة والخشوع ما اثر فيهم والآن قلوبهم ثم استجابوا الى ما دعاهم اليه صلى الله عليه وسلم وآمنوا ثم تكلموا معه فى امور عرفوا منها وتوصلوا بها الى ما هو موصوف به صلى الله عليه وسلم فى التوراة والانجيل فلما قاموا عنه اعترضهم ابو جهل لعنه الله فى نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من اهل دينكم ترتادون الاخبار لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم يطمئن مجلسكم عنده حتى فارقتم دينكم فصدقتموه فيما قال لانعلم ركبا احمق منكم فقالوا لهم لانجاهلكم فلنا ما نحن عليه ولكم ما انتم عليه وخرجوا من مكة راجعين الى بلدتهم ولم يطلعوا احدا من اهلها على اسلامهم واقاموا على ذلك الى ان ظهر الاسلام ودخل الناس فيه افواجا فكانوا من السابقين الاولين رضى الله عنهم واما وفد نجران الذى رئيسه العاقب فانهم قدموا

على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة المنورة وسيأتى خبرهم مفصلا فى الجزء الثالث فى باب الوفود

فصل

﴿ فى خبر ضماد الازدى ﴾

روى ابن عباس رضى الله عنه فى وفود ضماد الازدى ان ضمادا جاء مكة وهو من ازد شنوأة وكان يرقى من ريح الجن فسمع بعض السفهاء من اهل مكة يقولون ان محمدا به ريح فقال لو انى رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدى قال فأتيته فقلت يا محمد انى ارقى من الريح فان الله يشفى على يدى من شاء فهل لك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهدى الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادى له واشهد ان لا آله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله فقال له ضماد أعد على كلماتك هؤلاء فاعادهن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ثلاث مرات فقال ضماد سمعت قول الكهنة وقول السحرة وقول الشعراء فما سمعت مثل كلماتك هات يدك ابايعك على الاسلام فبايعه وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بايعت عن نفسك وعن قومك قال عن نفسى وعن قومى

فصل

﴿ فى ذكر وفاة ابى طالب ﴾

ولما اتت عليه صلى الله عليه وسلم تسع واربعون سنة وثمانية اشهر وعشرون يوماً مات عمه ابو طالب وذلك بعد خروجهم من الشعب فى ثانى رمضان سنة عشر من النبوة قال الامام القرافى ان ابا طالب آمن فى ظاهره

وباطنه وكفر بعدم الاذعان للفروع وكان يقول انى لا اعلم ان ما يقوله ابن اخى لحق ولولا انى اخاف ان تعيرنى نساء قريش لاتبعته وقال فى قصيدته المشهورة

لقد علموا ان ابنا لا مكذّب لدينا ولا يعنى بقول الاباطل

وفى شعره من مثل هذا كثير قال فهذا تصريح باللسان واعتقاد بالقلب غير انه لم يذعن وعن هشام بن السائب ابي المنذر الكوفى انه قال ان اباطالب لأول مرضه جمع اليه وجوه قريش فاوصاهم فقال يامعشر قريش انتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا احرزتموه ولا شرفا الا ادركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حرب وعلى حربكم ألب وأنى أوصيكم بتعظيم هذه البنية يعنى الكعبة فان فيها مرضات للرب وقياماً للمعاش وثبات للوطأة صلوا ارحامكم فان فى صلة الرحم منسأة اى فسحة فى الاجل وزيادة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيها هلكت القرون قبلكم واجيبوا الداعى واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات وعليكم بصدق الحديث واداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وانى اوصيكم بمحمد خيرا فانه الأمين فى قريش والصديق اى الكثير الصدق فى العرب وهو الجامع لكل ما اوصيتكم به وقدجاءنا بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله كأنى انظر الى صعاليك العرب وفقرآئها واهل الاطراف والمستضعفين من الناس قد اجابوا دعوته وصدقوا كلمته وأعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت وصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا واتباعا

سفلة وصارت دورها خرابا وضعفاؤها ملوكاً اعظمهم عليه احوجهم اليه
وابعدهم منه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واصفت له فؤادها
واعطته قيادها يا قريش دونكم ابن ابيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله
لايسلك احد سبيله الا رشد ولا يأخذ احد بهديه الا سعد ولو كان لنفسى
مدة ولأجلى تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهى قال الزرقانى
فانظروا واعتبروا كيف وقع جميع ما قاله من باب الفراسة الصادقة وكيف
هذه المعرفة التامة بالحق ان فى لذلك لعبرة لاولى الابصار وروى ابن اسحق لما
اشتكى ابو طالب وبلغ قريش ثقل مرضه قال بعضهم لبعض ان حمزة وعمر بن
الخطاب قد اسلما وفشا امر محمد فانطلقوا بنا الى ابى طالب يأخذ لنا على ابن اخيه
عهداً فمشى اليه عتبة وشيبة وابو جهل وامية بن خلف وابوسفيان بن حرب فى
رجال من اشرافهم فاخبروه بما جاؤا اليه فبعث ابو طالب اليه صلى الله عليه
وسلم فجاءه فاخبروه بمرادهم فقال عليه الصلاة والسلام نعم كلمة واحدة
تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال ابو جهل نعم وابيك
وعشر كلمات فعرض عليهم الاسلام فصفقوا واعجبوا ثم قالوا فيما بينهم ما
هو بمعطيكم شيئاً

وبعد موت ابى طالب اشتد اذى قريش للنبى صلى الله عليه وسلم بالقول
والفعل ولما رأى ابو لهب ذلك حركته الحمية وقام بنصرة النبى صلى الله عليه
وسلم اياما وقال يا محمد امض لما اردت وما كنت صانعا اذ كان ابو طالب
حياً فاصنعه لا واللات والعزى لا يصل اليك اذى حتى اموت واتفق ان
ابن الغيطلة وهو احد المستهزئين اذى النبى صلى الله عليه وسلم فاقبل عليه ابو
لهب ونال منه فولى وهو يصيح يا معشر قريش قد صبأ ابو عتبة يعنى ابو لهب

فاقبلت قريش عليه وقالوا له فارقت دين آبائك فقال ما فارقته ولكن امنع
ابن اخى ان يضام حتى يمضى لما يريد قالوا قد احسنت واجملت فمكث رسول
الله صلى الله عليه وسلم على ذلك اياما لايتعرض له احد من قريش وهابوا
ابا لهب الى ان جاء ابو جهل لعنه الله ومعه عقبة بن ابى معيط الى ابى لهب
فقالا له هل اخبرك ابن اخيك اين مدخل آبائك فانه يزعم انهم فى النار ولا
زالوا به حتى رجع عن حماية النبى صلى الله عليه وسلم وقال له لا برحت لك عدوا
واشتد عليه فى الاذى كسائر قريش

فصل

﴿فى ذكر وفاة خديجة ام المؤمنين﴾
رضى الله عنها

وبعد موت ابى طالب ماتت الصديقة الطاهرة السيدة خديجة رضى
الله عنها عن خمس وستين سنة فى رمضان سنة عشر على الصحيح ودفنها
صلى الله عليه وسلم بالحجون وكان عليه الصلاة والسلام يسمى ذلك العام
الذى مات فيه ابو طالب وخديجة رضى الله عنها عام الحزن وقالت له خولة
بنت حكيم يا رسول الله انى اراك قد تألمت كثيرا لفقد خديجة قال اجل
كانت ام العيال وصاحبة البيت وقال عبيد بن عمير وجد صلى الله عليه وسلم
عليها حتى خشى عليه وكانت مدة اقامتها معه خمسا وعشرين سنة وجميع
اولاده صلى الله عليه وسلم منها ماعدا ابراهيم فانه من مارية القبطية
وسنأتى على ذكر اولاده صلى الله عليه وسلم وباقى ازواجه فى آخر الكتاب
اقتداء باهل السير ثم بعد موت خديجة الواقع فى رمضان تزوج عليه الصلاة
والسلام بسودة بنت زمعة رضى الله عنها

وصل فى معجزة انشقاق القمر

واستمرت احوال النبي صلى الله عليه وسلم مع قومه بعد وفاة ابى طالب وخديجة على ما كانت عليه فيما هو بصدده يدعوهم ويدعو غيرهم من الناس الى الله تعالى ويبلغهم ما ارسل به اليهم واستمرت قريش وأعيانهم خصوصا ابو جهل وابولهب على ما كانوا عليه من تكذيبه صلى الله عليه وسلم وايذاء المسلمين اتباعه ثم اجتمعوا اليه فى ليلة مقمرة وقالوا له حسب عادتهم معه فى التعجيز ان كنت صادقا فيما تقول فشق هذا القمر نصفين ونحن ننظر اليه فاشار صلى الله عليه وسلم بيده الكريمة اليه فانشق نصفين حتى رأوا جبل حِراء بين الشقين فلقة وراءه وفلقة دونه وكان وقتئذ طلع عليهم معتليا على الجبل فلما رأوه منشقا تولهت عقولهم وذهب رشدهم واخذهم الفزع كل مأخذ وتحيروا فى امرهم معه صلى الله عليه وسلم ثم لما رأوا عموم اهل مكة فزعوا لهذا الامر وخافوا ان يقودهم ذلك الفزع الى الايمان برسالة سيد الوجود صلى الله علية وسلم قام بعضهم وقال هذا سحر مبين فقام آخرون فقالوا ياقوم ليهداء روعكم فان محمدا ان سحرا عيننا هنا فلا يقدر ان يسحر اعين اهل الآفاق فالأولى بكم ان تجلسوا على السبل وتتعرضوا للمسافرين المدلجين من الجهات اى الذين يسيرون ليلاً واسألوهم هل رأوا ما رأيتم ام لا فجلسوا اياما يسألون من يمر عليهم من اهل السرى فيخبرونهم بانهم رأوا ذلك ليلة كذا عن الليلة التى انشق فيها ويظهرون لهم التعجب من ذلك ويقولون ما سمعنا بمثل ما رأينا ولا نقل عن اهل الاحقاب الدائرة انه وقع مثله فى زمانهم فلما سمعت قريش ذلك من المسافرين قال اعيانهم كأبى جهل لعنه الله هذا سحر مستمر اى عام الى غير ذلك

مما سنذكره فى فصل انشقاق القمر فى باب المعجزات ان شاء الله تعالى

فصل

﴿ فى ذكر خروج النبى صلى الله عليه وسلم الى الطائف ﴾ واجتماع الجن به وهو راجع منها

لما مات ابو طالب ونالت قريش من النبى صلى الله عليه وسلم ما لم تكن نالته منه فى حياته وتألبوا عليه عامتهم وخاصتهم وقصدوا تعجيزه فطلبوا منه ان يشق لهم القمر بمرأى منهم فأراهم اياه منشقا فنسبوه الى السحر كما تقدم خرج صلى الله عليه وسلم الى الطائف وهو مكروب مشوش الفكر مما لقى من قريش وقرابته خصوصا من ابى لهب وامرأته حمالة الحطب من الهجر فى القول والتشغيب على رؤس الاشهاد وعن على بن ابى طالب رضى الله عنه انه قال بعد موت ابيه ابى طالب لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اخذته قريش تتجاذبه وهم يقولون له صلى الله عليه وسلم انت الذى جعلت الآلهة الها واحدا قال فوالله ما دنا منا احد الا ابو بكر فصار يضرب هذا ويدفع هذا وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ففعل هؤلاء الكفرة برسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعله كفار الامم السابقة برسل الله اليهم من انواع الاذى فاستوجبوا بذلك مقت الله وغضبه وعقابه دنيا واخرى وكان خروجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف فى شوال ومعه مولاه زيد بن حارثة فاقام بالطائف شهرا يدعو اشراف ثقيف الى الله ويدور عليهم واحدا واحدا رجاء ان يجيبوه فلم يجيبوه لا الى الاسلام ولا الى النصرة والمعاونة بل اغروا به سفهاءهم وعبيدهم يؤذونه ويرمونه بالحجارة وزيد بن

حارثة يقيه بنفسه حتى لقد شج رأسه شجات وفى صحيح البخارى ومسلم من
حديث عائشة انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم اشد
من يوم احد فقال لقد لقيت من قومك يعنى قريشا ما لقيت وكان اشد ما
لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسى على عبد ياليل فلم يجبنى الى ما اردت
فانطلقت وانا مهموم على وجهى اى هائما لا ادرى اين اتوجه من شدة
الكدر فلم استفق مما انا فيه من الغم الا وانا بقرن الثعالب {اسم موضع}
فرفعت رأسى واذا انا بسحابة قد اظلتنى فنظرت اليها فاذا فيها جبريل فنادانى
فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا به عليك وهذا ملك الجبال
قد بعثه اليك لتأمره بما شئت فنادانى ملك الجبال فسلم علىّ ثم قال يا محمد ان
الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وانا ملك الجبال الذى سخرت
له وبيدى امرها وقد بعثنى اليك ربك لتأمرنى فى امرك بما شئت ان شئت
ان اطبق عليهم الاخشبين فعلتُ قال النبي صلى الله عليه وسلم لا أشاء ذلك
بل ارجو ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده فقال ملك الجبال
انت كما سماك ربك رؤف رحيم وقرن الثعالب هو ميقات اهل نجد تلقاء
مكة على يوم وليلة منها ويقال له قرن المنازل ولما انصرف عليه الصلاة
والسلام عن اهل الطائف ولم يجيبوه مرّ فى طريقه بعتبة وشيبة ابنى ربيعة
وهما فى بستان لهما فى ارض الطائف فلما رأيا ما لقى صلى الله عليه وسلم من
ثقيف تحركت له رحمهما لانهما من بنى عبد مناف فبعثا له مع عدّاس النصرانى
غلامهما بقطف عنب فلما وضع صلى الله عليه وسلم يده على القطف قال بسم
الله ثم اكل فنظر عداس الى وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله اهل
هذه البلدة فقال له صلى الله عليه وسلم من اى البلاد انت وما دينك قال نصرانى

من اهل نينوى فقال له صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس
بن متى فقال عداس وما يدريك به قال ذاك أخى وهو نبىٌّ مثلى فاكب
عداس على يديه صلى الله عليه وسلم يقبلهما تارة ويقبلُ رأسه ورجليه تارة
اخرى واسلم رضى الله عنه وهو معدود فى الصحابة وذكر التيمى انه قال
اشهد انك عبد الله ورسوله وعند ابن اسحق ونظر اليه ابنا ربيعة فقال
احدهما للآخر اما غلامك فقدافسده عليك فلما جاءهما قالا له ويلك مالك
تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال ياسيدى {بتشديد الياء مثنى سيد}
ما فى الارض شىء خير من هذا الرجل لقد اعلمنى بامر لايعلمه الا نبىٌّ فقالا
له ويحك ياعداس لا يصرفك عن دينك فاعرض عنهما {ومن يهد فلا
مضل له} ولما نزل صلى الله عليه وسلم فى منصرفه من الطائف نخلة وهو موضع
على ليلة من مكة صرف الله اليه سبعة من جن نصيبين وهى بلدة بين الجزيرة
والشام وكان عليه الصلاة والسلام قام فى آخر الليل يصلى فاستمعوا له وهو
يقرأ سورة الجن وفى الصحيح ان الذى أذنه صلى الله عليه وسلم واعلمه بالجن
فى نخلة شجر من شجر الطلع وانهم سألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله
عليه هو زادكم يقع فى يد احدكم أوفر ما كان لحما وكل بعر فهو علف دوابكم
وفى هذا دليل على ان الجن يأكلون ويشربون وينكحون قال ابن العربى من
نفى عن الجن الاكل والشرب فقد وقع فى حبالة الالحاد وعدم الرشاد بل
الشيطان وجميع الجان يأكلون ويشربون وينكحون ويولد لهم ويموتون وذلك
جائز عقلاً وورد به الشرع وتظافرت به الاخبار ومن زعم ان اكلهم شم
فما شم رائحة العلم وذكر اسماعيل بن زياد فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله
عنهما ان الجن الذين استمعوا للنبى صلى الله عليه وسلم وهو فى نخلة تسعة لا سبعة

وهم سليط وشاصر وماضر وحسا ونسا وبجم والارقم والايس وخاضر وقال بعضهم هم اربعة عشر وزاد منشي وناشي والاحقب وعمر وجابر وسرق بفتح الراء المشددة فهؤلاء اربعة عشر صحابيا من الجن

فصل

﴿ فى ذكر رجوعه صلى الله عليه وسلم الى مكة وخبر الطفيل بن عمرو الدوسى واسلامه ﴾

روى الطبرانى عن عبدالله بن جعفر بن ابى طالب ان النبى صلى الله عليه وسلم لما رجع من الطائف جلس الى كرمة فصلى ركعتين ثم قال ﴿ اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلى وهوانى على الناس ياارحم الراحمين وانت رب المستضعفين الى من تكلنى الى عدو بعيد يتجهمنى ام الى صديق قريب ملكته امرى ان لم تكن غضبانا علىّ فلا ابالى بما تصنع بى اعدائى واقاربى من الاذاء طلباً لمرضاتك ووثوقاً بما عندك غير ان عافيتك اوسع لى اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة ان ينزل بى غضبك او يحلّ بى سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولاحول ولاقوة الا بك ﴾ ومما جاء من الآيات فى حقه عليه الصلاة والسلام فى هذه الاحوال التى يقاسيها من قومه وغيرهم من المشركين وورد مورد الشفقة والمبرة قوله تعالى ﴿ لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ﴾ اى قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظاً او جزعا ومنه قوله تعالى ﴿ لعلك باخع نفسك ان لا يكونوا مؤمنين ﴾ ثم قال ﴿ ان نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ﴾ ومثل هذا قوله تعالى ﴿ وان يكذبوك فقد كُذّبت رسلٌ من قبلك ﴾ وقوله ﴿ كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الاقالوا ساحر

او مجنون ﴾ سلاه الله بما اخبر عن الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم
بهم ليتسلى بذلك عن محنته بمثله من كفار مكة والطائف وانه ليس اول من
لقى ذلك ثم طيب نفسه وابان عذره بقوله ﴿ فتول عنهم ﴾ اى اعرض عنهم ﴿ فما
انت بملوم ﴾ فى اداء ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى ﴿ فاصبر لحكم
ربك فانك باعيننا ﴾ اى اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك وبعد ان
قام صلى الله عليه وسلم فى نخلة اياما سار الى مكة فقال له مولاه زيد بن حارثة
كيف تدخل يارسول الله على قومك وهم اخرجوك فقال يازيد ان الله
جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وان الله مظهر دينه وناصر نبيه ولو كره
الكافرون ولما انتهى صلى الله عليه وسلم الى حراء بعث الى المطعم بن عدى
انه يريد ان يدخل مكة بجواره وذلك تقوية لمن يدفع عنه صلى الله عليه وسلم
من المسلمين كحمزة وعمر فاجابه المطعم الى ذلك ودخل صلى الله عليه وسلم
مكة ليلا وبات عند المطعم ولما اصبح المطعم لبس سلاحه هو وبنوه وهم
ستة وقالوا للنبى صلى الله عليه وسلم طف آمناً واحتبسوا بحمائل سيوفهم فى
المطاف فجاء ابو سفيان بن حرب الى المطعم وقال له أمجير ام تابع قال بل مجير
قال اذن لا تخفر فقضى صلى الله عليه وسلم طوافه وانصرفوا معه الى منزله
وحفظ صلى الله عليه وسلم للمطعم قيامه هذا بامره ولذلك قال فى اسارى بدر
لو كان المطعم بن عدى حياً ثم كلمنى فى هؤلاء الانجاس لتركتهم له وهذا
من شيمه صلى الله عليه وسلم الكريمة التى طبع اليها فانه تذكر فى وقت
النصر والظفر للمطعم جميله ومات المطعم قبل وقعة بدر ورثاه حسان بن
ثابت رضى الله عنه ولا ضير فى ذلك لان الرثاء تعدد المحاسن بعد الموت ولا
ريب ان فعله مع المصطفى صلى الله عليه وسلم من اجلها واكملها فلا مانع

منه ومن ذكر نحو اهله وشرفه وبعد مدة قدم الطفيل بن عمرو الدوسى الى
مكة وهو سيد قومه فمشى اليه رجال من اعيان قريش فقالوا له انك قدمت
بلادنا وهذا الرجل بين اظهرنا قد اعضل امره واشتد بنا داؤه وفرق جماعتنا
وشتت كلمتنا وقوله يؤثر كالسحر يفرق بين المرء وأخيه والمرء وزوجه وانا
نخشى عليك وعلى قومك ما دخل علينا من جهته فلا تكلمه ولا تسمع منه
قال الطفيل والله مازالوابى حتى أجمعت وعزمت على ان لااسمع منه شيئاً
ولا اكلمه وحشوت اذنى حين غدوت الى المسجد قطنا حتى لا اسمع شيئاً
من قوله ولما دخلت المسجد رأيته قايما يصلى عند الكعبة فابى الله الا ان يسمعنى
بعض قوله فقمت قريبا منه وفتحت اذنى فسمعت منه كلاما حسنا فقلت فى
نفسى لا يخفى علىَّ الحسن من القبيح فما الذى يمنعنى من ان اجتمع به واتحدث
معه فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته والا تركته فمكثت حتى انصرف من
صلاته الى بيته فاتبعته وقلت يامحمد ان قومك قالوا فيك ما حملنى على ان
سددت أذنى بكرسف اى قطن حتى لااسمع قولك فاعرض علىَّ امرك
فعرض عليه صلى الله عليه وسلم الاسلام وقراء عليه سورة الاخلاص
والمعوذتين وهما مما تكرر نزوله من القرآن فقال الطفيل والله ما سمعت
قط قولا أحسن ولا امرًا اعدل منه فاسلمت وقلت يا رسول الله انى امرؤ
مطاع فى قومى وانا ارجع اليهم فادعوهم الى الاسلام فادع الله ان يكون
لى عونا عليهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل له آية فخرجت
من مكة حتى انتهيت الى ثنية أشرف منها على حاضر قومى اى منازلهم عند
المساء وكان ذلك فى ليلة مظلمة فلاح نور بين عينى مثل المصباح فقلت اللهم
فى غير وجهى فانى اخشى ان يظنوا انه مثلة فتحول النور فى رأس سوطى

الى عصاي فجعل القوم يتراؤن النور كالقنديل مقبلا عليهم ومن ثم عرف الطفيل بذى النور وقد اشار الامام السبكي فى تائيته الى هذا بقوله

وفى جبهة الدوسىّ ثم بسوطه　　جعلت ضياء مثل شمس منيرة

قال فاتانى ابى فقلت له اليك عنى يا ابت فلست منى ولست منك فقال لم يا بنى قلت قد اسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم فقال اى بنى دينى دينك فاسلم بعد ان قلت له اغتسل وطهر ثيابك ففعل ثم جاء فعرضت عليه الاسلام ثم اتتنى زوجتى فذكرت لها مثل ذلك فقالت دينى دينك فاسلمت ثم دعوت قومى دوسا الى الاسلام فابطاؤا علىّ ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله قد غلبنى على دوسٍ حب الزنا فادع الله عليهم فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اهدِ دوسا قال الطفيل فرجعت فلم ازل بارض قومى ادعوهم الى الاسلام حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر والخندق واحد فقدمت بمن اسلم من قومى عليه صلى الله عليه وسلم وهم سبعون بيتا منهم ابو هريرة رضى الله عنه فوجدناه صلى الله عليه وسلم بخيبر ففرح بنا واسهم لنا مع المسلمين وفى هذا منقبة عظيمة للطفيل وقومه

فصل

﴿ فى ذكر الاسراء والمعراج وما انطوت عليه كرامتهما ﴾
من درجات الرفعة وعظيم
المنزلة

لاخلاف بين المسلمين كافة فى صحة الاسراء به صلى الله عليه وسلم اذ هو نص القرآن قال تعالى ﴿سبحان الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله﴾ اى ببركات الدين والدنيا لانه

مهبط الوحي ومتعبد الانبياء من لدن موسى عليه السلام ﴿ لنريه من آياتنا ﴾
كذهابه وايابه فى برهة من الليل ومشاهدته بيت المقدس وتمثل الانبياء له
ووقوفه على مقاماتهم وعروجه الى سدرة المنتهى ثم الى حيث ظهر بمستوى
سمع فيه صريف الاقلام ﴿ انه هو السميع ﴾ لاقوال محمد صلى الله عليه وسلم
﴿ البصير ﴾ بافعاله فيكرمه ويقربه على حسب ذلك وقال تعالى ﴿ والنجم اذا هوى ﴾
اى وحق نور الحق الذى فى النجم وهو نور الاهتداء به فى ظلمات البر
والبحر اذا هوى اى مال عن وسط السماء لانه اذا كان فى وسط السماء
لا يهتدى به احد لانه حينئذ يكون واقفا غير مائل الى جهة فلا يتأتى به
الاستدلال ﴿ ماضل صاحبكم ﴾ اى ما عدل محمد صلى الله عليه وسلم عن الطريق
المستقيم ﴿ وما غوى ﴾ وما اعتقد باطلا والخطاب لقريش والمراد نفى ما
ينسبون اليه ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ اى وما يصدر نطقه بالقرآن عن الهوى
﴿ ان هو الا وحى يوحى ﴾ اى يوحيه الله تعالى اليه ﴿ علمه شديد القوى * ذو مرة
فاستوى * وهو بالافق الاعلى * ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى * فاوحى
الى عبده ما اوحى ﴾ فالضمائر كلها لله تعالى وهو المعنى بشديد القوى كما فى قوله
﴿ هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ ودنوه منه برفع مكانته وتدليه جذبه بشراشره
الى الجناب الاقدس ﴿ ما كذب الفؤاد ما رأى ﴾ اى ما كذب بصره
بما حكاه له فان الامور القدسية تدرك اولا بالقلب ثم تنتقل منه الى البصر
فانه صلى الله عليه وسلم عرف الله بقلبه ثم رآه ببصره اى صار كله بصرا
فرآه بكليته على الوجه الذى يليق به تعالى وفى كتاب الشفا للامام عياض
بن موسى بن عياض اليحصبي ما كذب الفؤاد ما رأى معناه لم يوهم القلب
العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها وقيل معناه ما انكر قلبه ما رأت عينه

﴿أفتمارونه على ما يرى﴾ اى أفتجادلونه او افتجحدونه ﴿ولقد رآه نزلة اخرى﴾ اى مرة اخرى فيه اشعار بأن الرؤية فى هذه المرة كانت ايضا بنزول ودنو والمراد نفى الريبة والشك عن المرة الاخيرة ﴿عند سدرة المنتهى﴾ اى التى ينتهى اليها علم الخلائق واعمالهم او ما ينزل من فوقها ويصعد من تحتها شبهت بالسدرة وهى شجرة النبق لانهم يجتمعون فى ظلها روى فى حديث مرفوع الى النبى صلى الله عليه وسلم انها فى السماء السابعة ﴿عندها جنة المأوى﴾ اى الجنة التى يأوى اليها المتقون ﴿اذ يغشى السدرة ما يغشى﴾ هذا تعظيم وتكثير لما يغشاها بحيث لا يكتنهها أى لا يدرك كنهها وحقيقتها نعت ولا يحصيها عدّ وفى الحديث انه غشيها الوان لا ادرى ماهى ولا يستطيع احد ان يصفها مما غشيها من امر الله ﴿مازاغ البصر﴾ اى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه ﴿وما طغى﴾ اى ما تجاوزه بل أثبته اثباتا صحيحا مستيقنا أو ما عدل عن رؤية العجائب التى امر برؤيتها وما جاوزها ﴿لقد رأى من ايات ربه الكبرى﴾ اى والله لقد رأى الكبرى من آياته وعجائبه الملكية والملكوتية ليلة المعراج واسراؤه صلى الله عليه وسلم كان بروحه وجسده يقظة لا مناما مرة واحدة فى ليلة واحدة عند معظم السلف والمسلمين وجمهور المحدثين والفقهاء والمتكلمين قال عياض الحق والصحيح انه اسراء بالجسد والروح معاً فى القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح البخارى والاعتبار اى العقل والنقل ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس فى الاسراء بجسده صلى الله عليه وسلم وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال سبحان الذى اسرى بروح عبده ولم يقل بعبده اذ العبد عبارة عن الجسد والروح معاً ولو كان مناماً ايضا لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما

استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل
هذا من المنامات لا ينكر بل لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره صلى الله
عليه وسلم كان عن جسمه وحال يقظته الى ما ذكر فى الاحاديث الصحيحة
من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس ومجىء جبريل عليه السلام له بالبراق
الذى كانت تركبه الانبياء ملجماً مسرجاً وخبر المعراج واستفتاح السماء
فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبياء فيها وخبرهم معه وترحيبهم به
وشأنه فى فرض الصلاة ومراجعته مع موسى فى ذلك

﴿فايدة﴾ البراق خلق فى صورة دابة فوق الحمار ودون البغل يضع
حافره عند منتهى طرفه يسمى براقا لشدة سرعته كما يقال مر كالبرق
الخاطف او لشدة تلألأه وبريقه وجهه كوجه الانسان وذنبه كذنب
الغزال وقوائمه كقوائم الثور وجسده كجسد الفرس وهو ملك فى الجنة
خلق على هذه الصورة لحمل الانبياء وقال بعضهم هو دابة مخلوقة فى الجنة
خصصت لركوب الانبياء وعروجهم الى السماء

وقد جاءت بتفصيل اسرائه صلى الله عليه وسلم ومعراجه وشرح عجائبهما
احاديث كثيرة منتشرة شهيرة منها حديث الامام مسلم بن الحجاج الذى
رواه فى صحيحه فقال حدثنا سفيان ابن فروخ حدثنا حماد ابن سلمة حدثنا ثابت
البنانى عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق
وهو دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التى يربط فيها الانبياء وهى
بباب المسجد ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءنى جبريل
باناء من خمر واناء من لبن ﴿حليب﴾ فاخذت اللبن فقال اخترت الفطرة

اى الاسلام والاستقامة ثم عرج بنا الى السماء الدنيا فاستفتح جبريل
اى باب الحفظة فى السماء الدنيا فقيل من انت فقال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بادم صلى الله عليه
وسلم فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل
من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث
اليه ففتح لنا فاذا انا بابنى الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن ذكريا عليهما السلام
فرحبا بى ودعوا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا
فاذا انا بيوسف عليه السلام واذا هو قد اعطى شطر الحسن فرحب بى ودعا لى
بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس عليه السلام
فرحب بى ودعا لى بخير قال الله تعالى ﴿ ورفعناهُ مكانا عليا ﴾ ثم عرج بنا الى
السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهارون عليه السلام فرحب بى ودعا لى بخير
ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى صلى الله عليه وسلم
فرحب بى ودعا لى بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا انا بابراهيم
صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم
سبعون الف ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بى الى سدرة المنتهى فاذا ورقها
كآذان الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشيها تغيرت
عن حالها الاولى فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله
الىّ ما أوحى ففرض علىّ خمسين صلاة فى كل يوم وليلة فنزلت الى موسى
فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلاة قال ارجع الى ربك فسله
التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فانى قد بلوت بنى اسرائيل وخبرتهم قال
فرجعت الى ربى اى الى المحل الذى وقفت فيه اولاً فقلت يا ربى خفف

عن امتى فحط عنى خمساً فرجعت الى موسى فقلت حط عنى خمساً فقال
ان امتك لايطيقون ذلك فارجع الى ربك فاسأله التخفيف قال صلى الله عليه
وسلم فلم ازل ارجع بين يدى ربى تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال
يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فتلك خمسون
صلاة ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشرا
ومن همّ بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً وان عملها كتبت سيئة واحدة قال
فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فاسأله التخفيف
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربى حتى استحييت
منه ثم نزل صلى الله عليه وسلم راجعا الى بيت المقدس فركب البراق منها
الى مكة كما سيأتى وفى استئذان جبريل عليه السلام للنبى صلى الله عليه وسلم
وسؤال الملائكة هل بعث اليه من التنويه والتعظيم واشادة الذكر مالا يدركه
الا من فتح الله بصيرته وانار بعلم الغيب سريرته وقد شار الامام السبكى الى
ماذكر فى هذا الحديث فى تأيته بقوله

وقد كان رب العالمين مطالباً ... بخمسين فرضاً كل يوم وليلة
فابقيت اجر الكل ما اختل ذرةً ... وخففت الخمسون عنا بخمسة

وقد كان الاسراء لخمس قبل الهجرة على ما ذكره القاضى عياض
ورجحه وكذلك رجحه الامام القرطبى والنووى فى شرح مسلم وذلك ليلة
السابع والعشرين من رجب ذكره الحافظ ابو عمر يوسف بن عبد البر وابن
قتيبة وبه جزم النووى فى الروضة تبعاً للرافعى واختاره الحافظ عبد الغنى
المقدسى قال وعليه عمل الناس والاقوى ان اليوم الذى يسفر عن تلك الليلة
هو يوم الاثنين قال الحافظ بن دحية ليوافق المولد والمبعث والهجرة والوفاة

فان هذه اطوار الانتقالات وجودا ونبوة وهجرة ووفاة ثم قال وبذلك
يكون يوم الاثنين فى حقه صلى الله عليه وسلم كالجمعة لآدم عليه السلام فى
اطواره وقد وقعت فى احاديث الاسراء زيادات معتبرة مفيدة نذكر منها
هنا ما ظهر معناه وقوى مبناه وثبت معزاه فمن ذلك فى حديث ابن شهاب
قول كل نبى له صلى الله عليه وسلم مرحبا بالنبى الصالح والاخ الصالح الا آدم
وابراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس ثم عرج بى حتى
ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام ومنه فى حديث ابى هريرة رضى
الله عنه أتى بيت المقدس فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلاة قالوا ياجبريل
من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا وقد ارسل اليه
قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الأخ ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح
الانبياء فأثنوا على ربهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى
وعيسى وداود وسليمان عليهم السلام ثم ذكر كلام النبى صلى الله عليه وسلم
فقال وأن محمدا صلى الله عليه وسلم اثنى على ربه وقال الحمد لله الذى ارسلنى
رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا ونذيرا وانزل على القرآن فيه تبيان كل شىء
وجعل امتى خير امة وجعل امتى وسطا اى عدولا وجعل امتى الاولون اى
فى القيام من القبور ودخول الجنة وفصل القضاء الآخرون باعتبار الوجود
وشرح لى صدرى ورفع ذكرى وجعلنى فاتحاً وخاتما فقال ابراهيم اذ ذاك
يخاطب الحاضرين من الانبياء بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به الى
سماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم ومنه فى حديث ابن مسعود
وانتهى الى سدرة المنتهى اصلها فى السماء السادسة واعلاها فى السابعة ينتهى
اليها مايعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى مايهبط من فوقها

فيقبض منها ومنه فى حديث ابى هريرة من طريق الربيع بن انس فقيل لى
هذه سدرة المنتهى ينتهى اليها كل احد من امتك خلا اى مضى على سبيلك
ثم قال تبارك وتعالى سل يا محمد فقال يارب اتخذت ابراهيم خليلا وكلمت
موسى تكليما واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد واعطيت سليمان ملكا
عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين والريح واعطيته ملكا لا ينبغى
لاحد من بعده وعلمت عيسى التوراة وانزلت عليه الانجيل وجعلته يبرىء
الاكمه والابرص وأعذته وامه من الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل
فقال له ربه تعالى قد اتخذتك حبيبا والمحبة اعظم من الخلة فهو مكتوب فى
التوراة محمد حبيب الرحمن وارسلتك للناس كافة وجعلت امتك هم الاولون
الآخرون وجعلت امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدى
ورسولى وجعلتك اول النبيين خلقا اى فى عالم الارواح وآخرهم بعثاً
واعطيتك سبعا من المثانى ولم اعطها نبياً قبلك اى لم اعطه مثل ثوابها احداً
من الانبياء قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وقال ابو هريرة فى الرواية الاخرى
فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً اعطى الصلواة الخمس واعطى
خواتم سورة البقرة وغفر لمن لا يشرك بالله شيئاً من امته المقحمات
(اى الكبائر) والمراد بخواتم سورة البقرة قوله تعالى (آمن الرسول
بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته * وكتبه * ورسله *
لا نفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير *
لا يكلف الله نفسا الا وسعها * لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * ربنا لا
تؤاخذنا ان نسينا * او اخطأنا * ربنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من
قبلنا * ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به * واعف عنا * واغفر لنا * وارحمنا * انت مولانا

فانصرنا على القوم الكافرين﴾ واما ما ورد فى حديث الاسراء وظاهر الاية
من الدنو والقرب من قوله تعالى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فمعنى
دنا قرب وتدلى زاد فى القرب وقال مكى والما وردى عن ابن عباس هو
الرب دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه امره وحكمه وروى النقاش
عن الحسن البصرى قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب
منه فأراه ما شاء ان يريه من عجائب قدرته وعظمته وعن ابن عباس تدلى
الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه
قال صلى الله عليه وسلم فارقنى جبريل وانقطعت عنى الاصوات وسمعت
كلام ربى وقال جعفر بن محمد هو غاية الدنو ألا ترى كيف حجب جبريل عن
دنوه ودنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى
ما ادناه وزال عن قلبه الشك والارتياب قال عياض ما وقع من اضافة الدنو
والقرب من الله والى الله فليس بدنو مكان ولا قرب مدى بل كما قال جعفر
الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبى من ربه وقربه منه معناه ابانة عظيم
منزلته وتشريف رتبته واشراق انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته
ومن الله تعالى له مبرة وتأنيس وبسط واكرام قال الواسطى من توهم انه
بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنى بنفسه من الحق تدلى بعدا يعنى عن
درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله ﴿ فكان قاب قوسين او ادنى ﴾
المقصود به تمثيل ملكة الاتصال وتحقيق استماعه لما اوحى اليه بنفى البعد
الملبس قال بعضهم هو عبارة عن نهاية القرب ولطف المحل واتضاح المعرفة
والاشراف على الحقيقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبارة عن اجابة
الرغبة وقضاء المطالب واظهار التحفى وانافة المنزلة من الله تعالى له صلى الله

عليه وسلم ولتوالى الاسرار عليه صلى الله عليه وسلم كانت تسطع من جميع
مسام ذاته الشريفه اشعة الانوار فتغلب عليه روحانيته ويكون الحكم للروح
والجسد تابع لها وبذلك تبدلت بشريته ملكية وعبوديته سيادة وعقله حسا
وغيبه شهادة وباطنه ظاهرا وطويت له المسافات واستوى فى القرب عنده
ما فوق سبع سموات وما تحت الارضين ورأى من عجائب الله ما لا
يخطر على قلب بشر فضلا على ان تدركه الفكر قال عياض ولم يرجع صلى
الله عليه وسلم الى حال بشريته الا وهو بمكة وذلك لما غمره من عجائب ما
طالع من ملكوت السموات والارض وخامر باطنه من مشاهدة الملاء
الاعلى وما رأى من ايات ربه الكبرى التى لم يطلع عليها سواه صلى الله
عليه وسلم ولم يكن مسراه صلى الله عليه وسلم طول ليله وانما كان فى بعضه
ذهابا وايابا كما يشير اليه تنكير ليلا من قوله تعالى ﴿سبحان الذى اسرى بعبده
ليلا﴾ وروى ابن اسحق عن وهب بن منبه انه كان اربع ساعات وقال آخرون
انه كان لحظة وفى تائية الامام السبكى

وعدت وكل الامر كان مقدار لحظة

قال بعض العلماء ولا بعد فى هذا فان الله تعالى قد يطيل الزمن القصير
كما يطوى الطويل لمن يشاء من عباده الاصفياء . وقد فسح الله فى الزمن
القصير لبعض اوليائه من امة محمد صلى الله عليه وسلم ما يستغرق الازمنة
الكثيرة وفى ذلك حكايات كثيرة ليس هذا محل ذكرها

وعروجه صلى الله عليه وسلم كان على المعراج الذى تعرج منه الملائكة
والانبياء وارواح السعداء اذا قبضت عن يمينه ملائكة وعن يساره ملائكة
فصعد صلى الله عليه وسلم هو وجبريل عليهما الصلاة والسلام قال الحافظ ابن

كثير ولم يكن صعوده على البراق كما توهمه بعض العلماء منهم صاحب الهمزية
يعني الامام الأبوصبري اخذا بما روى عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه
انه قال { والله مازلا عن ظهر البراق حتى رجعا } وانتهى صلى الله عليه وسلم
وجبريل فى عروجهما الى باب من ابواب سماء الدنيا يقال له باب الحفظة
عليه ملك يقال له اسماعيل وهو يسكن الهواء لم يصعد الى السماء قط ولم يهبط
الى الارض قط الا مع ملك الموت لما نزل لقبض روحه صلى الله عليه وسلم
الشريفة ويؤيد القول بانه صلى الله عليه وسلم لم يعرج على البراق قوله بعد ان
تكلم على بيت المقدس ثم اخذ جبريل بيدى فعرج بى الى السماء الدنيا ومن سماء
الى سماء ثم عرج بى حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام ولم يذكر
انه عرج على البراق وعن انس بن مالك رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه
وسلم اوتى بالبراق فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام أبمحمد تفعل
هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا وانما سمى براقا
لسرعته كالبرق ثم نزل صلى الله عليه وسلم الى بيت المقدس وركب البراق
ورجع الى مكة ولما اخبر قومه بمسراه ومعراجه استبعدوا ذلك واستعظموه
وذهبت الافكار كل مذهب وسعى رجال منهم الى ابى بكر رضى الله عنه
فقالوا هل لك الى صاحبك يزعم انه اسرى به الليلة الى بيت المقدس قال
أوقد قال ذلك قالوا نعم قال لئن قال ذلك لقد صدق قالوا تصدقه انه ذهب
الى بيت المقدس وجاء قبل ان يصبح قال نعم انى لاصدقه فيما هو ابعد من
ذلك اصدقه فى خبر السماء فى غدوة اوروحة اي انه ليخبرنى ان الخبر يأتيه من
السماء الى الارض فى ساعة واحدة من ليل ونهار فاصدقه ثم جاء ابو بكر الى
مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد اعيان المشركين محدقين به

وهو يخبر بما رآه فى مسراه ومعراجه وهم يكذبون ذلك واشدهم فى
الانكار والتكذيب المطعم بن عدى وكان فيما قاله ان أمرك قبل اليوم كان أمما اى
يسيراً غير قولك اليوم نحن نضرب اكباد الابل الى البيت المقدس مصعدا
شهراً ومنحدرا شهرا تزعم انك اتيته فى ليلة واحدة واللات والعزى
لا اصدقك وما كان هذا الذى تقول فقال له ابو بكر رضى الله عنه يامطعم
بئس ماقلتَ لابن اخيك جبهته اى استقبلته بالمكروه وكذبته أنا أشهد انه
صادق ثم استنعته طائفة منهم بيت المقدس كانو قد سافروا اليها فثل له وطفق
ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب ثم قالوا له هل رأيت فى
طريقك مانستدل به على صدقك لأن وصفك لبيت المقدس يحتمل ان
تكون حفظته ممن ذهب اليه فاخبرنا عن عيرنا فقال أتيت على عير بنى فلان
بالروحاء قد ضلوا ناقة لهم فانطلقوا فى طلبها فانتهيت الى رحالهم وليس بها
احد واذا قدح ماء فشربت منه فاسألوهم عن ذلك ان شئتم فقالوا واللات
والعزى انها لايه اى علامة ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم انتهيت الى عير
بنى فلان فيها جمل احمر عليه غرارة سوداء وغرارة بيضاء فلما حاذيت العير
نفرت يعنى من البراق وصرع منها ذلك البعير وانكسر ثم انتهيت الى عير
بنى فلان فى التنعيم يقدمها جمل أورق عليه مسح اسود وغرارتان سوداوان
قالوا فتى تجىء قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم خرجوا يشتدون
{يركضون} الى الثنية فصادفوا العير كما اخبر صلى الله عليه وسلم ثم انهم
سألوا اهل كل عير عما اخبر به صلى الله عليه وسلم عنهم فقالوا فى جميعه مثل
ما قال ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين واستبعاد قريش لامر الاسراء
والمعراج لابعد فى وقوعه منهم ولا غرابة وتعجبهم منه ليس به عجب لانهم

امة أمية ولكن العجب ممن ينتحل العلم من غيرهم من الأمم الذين
استحالوه مع اطلاعهم على علوم الاقدمين ومعارفهم واخبار الانبياء عليهم
الصلاة والسلام وما وقع لهم من المعجزات الباهرة للعقول والاغرب من
ذلك ان النصارى يعتقدون عروج ايلياء والمسيح الى السماء كما هو مذكور
فى كتبهم ويصورون ايلياء على صفحات العهد القديم صاعدا فى مركبة نارية
تجرها خيول نارية ومع اعتقادهم هذا يعترضون على الاسراء به صلى الله عليه
وسلم مع علمهم وعلم كل ذى عقل ان ماجاز على المثل يجوز على مماثله وان الاجسام
متساوية فى قبول الأعراض وحيث ان هؤلاء المكابرين لم يجدوا شيئاً
ينكتون به على الديانة الاسلامية جعلوا قصه المعراج ذريعة للطعن وصار
رهبانهم ولاسيما اليسوعين منهم فانهم يلقون على اولاد النصارى فى صغرهم
ما يؤدى الى الاستهزاء باعتقاد الاسلام فى امر المعراج ويدخلون فى عقولهم
مالا وجود له عند الاسلام اصلا لاجل ان تشرب قلوبهم بغض الاسلام
وبغض النبى صلى الله عليه وسلم من الصغر ومع ذلك عندما يشب هؤلاء
الصغار فالعقلاء منهم يعرفون مقام النبى صلى الله عليه وسلم بين الانبياء عليهم
الصلاة والسلام ويعظمون قدره رغما على دسايس هؤلاء الرهبان الذين
يلبسون الحق بالباطل وعلى كل حال فاستحالتهم مدفوعة بما ثبت فى الهندسة
عند الاقدمين المشهورين بها والذين هم الأئمة المقتدى بهم فيها ان ما بين
طرفى قرص الشمس ضعف مابين كرة الارض بمائة ونيف وستين مرة
او اكثر ثم ان طرفها الاسفل يصل موضع طرفها الاعلى فى اقل من
ثانية وقال اهل الهيئة ان الفلك الاعظم فى مقدار ما يتلفظ الانسان بلفظة
واحدة يقطع الفاً واثنين وثلاثين فرسخاً وقد برهن فى علم الكلام ان

الاجسام متساوية فى قبول الاعراض وان الله تعالى قادر على كل الممكنات فيقدر سبحانه ان يخلق هذه الحركة السريعة فى بدن النبى صلى الله عليه وسلم او فيما يحمله والتعجب من لوازم المعجزات وعليه فلا غرابة فى انكار من لم يصل عقله لقصوره الى ادراك اسرارها والى اسرآئه صلى الله عليه وسلم من المسجد الاقصى واخباره قريشا بذلك اشار الامام الابوصيرى فى الهمزية بقوله

حظى المسجد الحرام بممشا ... ه ولم ينس حظه ايلياء
ثم وافى يحدث الناس شكرا ... ان أتته من ربه النعماء

يعنى ان المسجد الحرام حصل له الحظ الاوفر بممشاه صلى الله عليه وسلم فيه ففضل سائر البقاع ولم ينس حظه من ممشاه صلى الله عليه وسلم بيت المقدس بل شرفه الله تعالى بمشيه فيه ايضا ففضل على ما عدا المسجدين مسجد مكة ومسجد المدينة المنورة ثم وافى صلى الله عليه وسلم مكة يحدث الناس لاجل قيامه بالشكر لله تعالى على ما آتاه من النعماء فى تلك الليلة والى عروجه صلى الله عليه وسلم ورجوعه اشار ايضاً فى الهمزية بقوله

وطوى الارض سائرا والسموا ... ت العلا فوقها له اسراء
فصف الليلة التى كان للمختار ... فيها على البراق استواء
وترقى به الى قاب قوسـ ... ـين وتلك السيادة القعساء
رتب تسقط الأمانى حسرى ... دونها ما وراءهن وراء
وتلقى من ربه كلمات ... كل علم فى شمسهن هباء
زاخرات البحار يغرق فى قطـ ... ـرتها العالمون والحكماء

اشار فى هذه الابيات الى ان العروج كان على البراق وقد تقدم ان

الحافظ بن كثير قال غير ذلك وكيفما كانت الحال فقد أكمل الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم بالأسراء والمعراج الشرف على اهل السموات والارض واختصه فيهما بكمالات انحسرت الأفهام عن تفصيلها وتاهت الاحلام فى تعينها واظهر فيهما ما يدل على شريف منزلته على الانبياء وحظوة مرتبته على الكل صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم

فصل

﴿فى ذكر عرض المصطفى صلى الله عليه وسلم﴾
نفسه بالرسالة على القبائل
ووفود الانصار رضى الله عنهم

قال الواقدى مكث النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين مختفيا ثم اعلن امره فى الرابعة فدعا الناس عشر سنين فكان يوافى المواسم كل عام يتبع الحجاج فى منازلهم بعكاظ ومجنة وذى المجاز يدعوهم الى الله والى ان يمنعوه ممن يتعرض له بالاذى حتى يبلغ رسالات ربه فلا يجد احدا ينصره ويأخذ بيده بل لم يجد أحداً يسمع منه ذلك حتى انه كان يسأل عن القبائل ومنازلها فيقصدهم قبيلة قبيلة فلا يجيبونه الى ما اراده منهم وقال موسى بن عتبة عن الزهري كان صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة يعرض نفسه على القبائل ويكلم كل شريف قوم ولا يسألهم فى امره الاّ أن يؤووه ويمنعوه من اذى قومه وغيرهم ويقول لا اكره احدا منكم على شىء بل اريد ان تمنعوا من يؤذينى حتى ابلغ رسالات ربى فلا يقبله احد وروى احمد بن حنبل واصحاب السنن وصححه الحاكم عن جابر بن عبدالله رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول هل من رجل يحملنى الى

قومه فان قريشا قد منعونى ان ابلغ كلام ربى فأتاه رجل من همدان فاجابه ثم
خشى ان لايتبعه قومه فجاء اليه فقال آتى قومى فأخبرهم ثم آتيك من العام
المقبل وعن ابى طارق رضى الله عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسوق ذى المجاز يعرض نفسه على قبائل العرب يقول ياايها الناس قولوا
لااله الاالله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان اى ذؤابتان يقول ياايها الناس
لاتسمعوا منه فسألت عنه اى عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لى من بنى
عبد المطلب فقلت ومن الرجل الذى وراءه يكذبه فقيل هو عمه يعنى ابا لهب
وروى ابن هشام عن بعض الصحابة رضى الله عنهم قال انى لغلام شاب مع
ابى بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف فى منازل القبائل من العرب
فيقول يابنى فلان انى رسول الله اليكم يأمركم ان تعبدوه ولا تشركوا به
شيئاً وان تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وان تؤمنوا بى
وتصدقونى وتمنعونى حتى أبين عن الله عز وجل ما بعثنى به قال وخلفه
رجل احول وضىء له ضفيرتان (غديرتان) عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قوله قال ذلك الرجل الاحول يابنى فلان ان هذا
الرجل يدعوكم الى ان تسلخوا عبادة اللات والعزى من اعناقكم الى ما جاء به
من البدعة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه فقلت لابى من هذا الرجل الذى
يتبعه يرد عليه ما يقول قال هذا عمه ابو لهب بن عبد المطلب وذكر ابن اسحق
انه صلى الله عليه وسلم عرض نفسه على بطن من كندة يقال لهم بنو عبد الله
فقال لهم ان الله قد حسن اسم ابيكم ثم عرض عليهم الاسلام فلم يقبلوا منه
وعرض نفسه على بنى حنيفة وبنى عامر بن صعصعة فقال له رجل منهم ارأيت
ان نحن بايعناك على امرك ثم اظفرك الله على من خالفك ايكون لنا الامر من

بعدك فقال الامر الى الله يضعه حيث شاء قال فقال له اتقاتل العرب دونك
فاذا اظهرك الله ونصرك كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بامرك وابوا عليه فلما
رجع بنو عامر الى منازلهم وكان فيهم شيخ ادركه السن حتى لا يقدر ان
يوافي معهم الموسم فلما قدموا عليه سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا جاءنا
فتىً من قريش احد بنى عبد المطلب يزعم انه نبيٌّ يدعونا الى ان نمنعه ونقوم
معه ونخرج به الى بلادنا فوضع الشيخ يده على رأسه ثم قال يا بنى عامر هل
لها من تلافٍ اى تدارك والذى نفسى بيده ما يقولها اى ما يدّعى النبوة
كاذبا أحدٌ من بنى اسماعيل ابدا وانها لحق وان رأيكم غاب عنكم وذكر
الواقدى انه صلى الله عليه وسلم اتى بنى عبس وبنى محارب وبنى فزارة ومرة وبنى
النضر وبنى عذرة والحضارمة فردوا عليه صلى الله عليه وسلم اقبح الرد وقالوا
له اسرتك وعشيرتك اعلم بك حيث لم يتبعوك ولم يكن احد من العرب اقبح
عليه من بنى حنيفة وهم اهل اليمامة قوم مسيلمة الكذاب ومن ثقيف ولذلك
جاء فى الحديث الشريف شر قبائل العرب بنو حنيفة وثقيف وأتى صلى الله
عليه وسلم هو وأبو بكر رضى الله عنه مجلسا من مجالس العرب فتقدم ابو بكر
فسلم وقال ممن القوم قالوا من ربيعة وكان ابو بكر رضى الله عنه نسابا أى ذا معرفة
بالانساب فقال لهم من اى ربيعة من هامتها او من لهازمها قالوا من هامتها
العظمى قال من ايها قالوا من ذهل الاكبر قال امنكم حامى الذمار ومانع الجار
فلان قالوا لا قال امنكم قاتل الملوك وسالبها فلان قالوا لا قال امنكم صاحب
العمامة الفردة فلان قالوا لا قال لستم من ذهل الاكبر أنتم من ذهل الاصغر فقام
اليه شاب حين أبقل وجهه اى طلع شعر وجهه فقال ان لنا على سائلنا ان نسأله
ياهذا انك سألتنا فأخبرناك فمن انت فقال ابو بكر رضى الله عنه انا من قريش

فقال الفتى بخ بخ اهل الشرف والرياسة ثم قال فمن أى قريش انت قال من
ولد تيم بن مرة فقال الفتى أمكنت الرامى من صفاق الثغرة أمنكم قصى الذى
كان يدعى مجمعا قال لا قال فمنكم هاشم الذى هشم الثريد لقومه قال لا قال فمنكم
شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذى كان وجهه يضىء كالقمر فى الليلة
المظلمة قال لا واجتذب ابو بكر رضى الله عنه زمام ناقته ورجع الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم واخبره فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
علىّ بن ابى طالب كرم الله وجهه حاضرا فقال لابى بكر رضى الله عنه لقد
وقعت يا ابا بكر من الأعرابى على باقعة أى داهية اى ذى دهاء قال أجل
يا على ما من طامة الا فوقها طامة والبلاء موكل بالمنطق وكأن الاعرابى
لما ذكر له قصياً وهاشما وعبد المطلب يقول أن قبيلتك لم تشمل على هؤلاء
الأشراف كما ان قبيلتنا لم تشتمل على اولئك الاشراف فواحدة بواحدة
والجزاء من جنس العمل وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه صلى الله عليه
وسلم لقى جماعة من بنى شيبان بن ثعلبة وكان معه ابو بكر وعلىّ بن ابى طالب
كرم الله وجهه وان ابا بكر رضى الله عنه سألهم وقال لهم ممن القوم فقالوا
من شيبان بن ثعلبة فالتفت ابو بكر رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال بابى انت وامى هولاء غرر اى سادات فى قومهم وفيهم
مفروق بن عمرو وهانى بن قبيصة ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان
مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وكان ادنى القوم واقربهم مجلساً من
ابى بكر رضى الله عنه فقال له ابو بكر رضى الله عنه كيف العدد فيكم قال
مطروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الألفُ من قلة فقال له ابو بكر
رضى الله عنه كيف المنعة فيكم قال علينا الجهد اى الطاقة ولكل قوم جد

اى حظ وسعادة بمعنى علينا ان نجهد وليس علينا ان يكون لنا الظفر لانه من عند الله يؤتيه من يشاء فقال له أبو بكر رضى الله عنه فكيف الحرب بينكم وبين عدوكم قال انا لاشد ما يكون غضباً حين نلقى وانا لاشد ما يكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد من الخيل على الاولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا اخرى لعلك انت اخو قريش فقال ابو بكر رضى الله عنه أو قد بلغكم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فها هو ذا فقال مفروق بلغنا انه يذكر ذلك فالام يدعو فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أدعو الى شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وأني رسول الله وادعو الى ان تأوونى تنصرونى فان قريشا قد تظاهرت وتعاونت على امر الله و كذبت رسول الله واستغنت بالباطل عن الحق والله هو الغنى الحميد قال مفروق وألام تدعونا ايضا يا اخا قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ان لا تشركوا به شيئاً وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا اولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ قال مفروق ما هذا من كلام اهل الارض ولو كان من كلام اهل الارض عرفناه ثم قال وألام تدعونا ايضا يا اخا قريش فتلا رسول الله صلى الله وسلم قوله تعالى ﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ فقال مفروق دعوت والله الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ولقد أفك قوم حرفوا عن الحق وكذبوك وظاهروا عليك وكأن مفروقاً اراد ان يشاركه فى الكلام هانىء بن قبيصة فقال هذا هانىء شيخنا وصاحب حربنا فقال هانىء للنبى صلى الله عليه

وسلم قد سمعنا مقالتك يا أخا قريش وانى أرى ان تركنا ديننا واتبعناك على
دينك بمجلس واحد جلسته الينا ليس له اول ولا آخر لزلة فى الرأى وقلة نظر
فى العواقب والزلة انما تكون مع العجلة وان وراءنا قوما نكره ان نعقد عليهم
عقدا فيما ليس لهم به علم ولكن نرجع وننظر وكأنّ هانىء أحبّ ان
يشركه المثنى بن حارثة فى الكلام فقال وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب
حربنا فقال المثنى قد سمعنا مقالتك يا اخا قريش والجواب هو جواب هانىء بن
قبيصة وان احببت ان نأويك وننصرك مما سائر العرب دون انهار كسرى
فعلنا انا نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى لانحدث حدثا ولا نأوى محدثا
وانى أرى ان هذا الامر الذى تدعونا اليه هو مما تكرهه الملوك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما اسأتم فى الرد اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله
عز وجل لن ينصره الا من احاط به من جميع جوانبه ارأيتم ان لم تلبثوا الا
قليلا حتى يورثكم الله ارضهم وديارهم ويفرشكم نساءهم تسبحوا الله
وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا ثم نهض رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولما قدمت قبائل بكر بن وائل مكة للحج قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لابى بكر رضى الله عنه أئتهم فاعرض امرى عليهم فأتاهم فعرض عليهم فقال
لهم كيف العدد فيكم قالوا كثير قال فكيف المنعة قالوا لامنعة جاورنا فارس
فنحن لانمتنع ولا نجير عليهم قال فتجعلون لله عليكم ان هو ابقاكم حتى تنزلوا
منازلهم ان تسبحوا الله وتقدسونه قالوا من انت قال انا رسول الله ثم مر بهم
ابو لهب فقال لهم لاترفعوا لقوله رأسا فانه يهذى من ام راسه قالوا لقد
رأينا ذلك حيث ذكر من امر فارس ما ذكر وفى رواية انه لما عرض عليهم
امره قالوا له حتى يجىء شيخنا حارثة فلما جاء قال ان بيننا وبينك من الفرس

حربا فاذا فرغنا مما بيننا وبينهم عدنا فنظرنا فيما تقول فلما التقوا مع الفرس
قال لهم شيخهم اجعلوا اسم محمد شعاركم فى كركم وهجومكم على عدوكم
ففعلوا فنصروا على الفرس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع
بنصرتهم بى نُصروا اى نصروا بذكرهم اسمى وبعد ان اسلموا اخبروا
بقصتهم وبما قاله لهم شيخهم وباجابتهم الى ذلك

فصل

﴿فى ذكر من اسلم من الانصار قبل الهجرة والبيعة وابتداء امر الهجرة النبوية﴾

قال ابن اسحق ثم لما اراد الله تعالى اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز
موعده له خرج صلى الله عليه وسلم كعادته فى الموسم ليدعو الخلق الى الله
تعالى فبينما هو عند العقبة الأولى بمنى اذ لقيه رهط من الخزرج قال افلا
تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله تعالى وعرض عليهم
الاسلام وتلا عليهم القرآن وكان من صنع الله أن اليهود كانوا معهم فى
بلادهم وكانوا اهل كتاب وعلم وكان الخزرج والاوس اكثر منهم
فكانوا اذا حدث بينهم شىء من خصومة وحرب قالوا ان نبيا سيبعث الآن
قد اظل وقرب زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد فلما كلمهم النبى صلى الله
عليه وسلم عرفوا النعت الذى كانوا يسمعونه قبل من اليهود فقال بعضهم لبعض
بادروا لاتباعه لا تسبقنا اليهود اليه وقال بعضهم فلما سمعوا قوله يقنوا به
واطمأنت قلوبهم الى ماسمعوا منه وعرفوا ما كانوا يسمعون من صفته فقال
بعضهم لبعض ياقوم والله انه النبى الذى توعدكم به اليهود فلا يسبقونكم اليه
فاجابوه صلى الله عليه وسلم الى ما دعاهم اليه وصدقوه وقبلوا منه ما عرض
عليهم من الاسلام وكانوا من اسباب الخير الذى سبب اليه صلى الله عليه وسلم

فاسلم منهم ستة نفر وقيل ثمانية وكلهم من الخزرج فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تمنعون ظهرى حتى ابلغ رسالات ربى فقالوا يارسول الله انما كانت حرب بعاث عام اول فان تقدم علينا ونحن كذلك لايكون عليك اجتماع فدعناحتى نرجع الى عشائرنا لعل الله ان يصلح ذات بيننا وندعوهم الى ما دعوتنا اليه فعسى الله ان يجمعهم عليك فان اجتمعت كلمتهم عليك واتبعوك فلا احد اعز منك وموعدك موسم العام المقبل وانصرفوا الى المدينة ولم تبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لتحدثهم بما علموا فظهر وانتشر فلما كان العام لقيه اثنا عشر رجلا فاسلموا وبايعوا كما رواه ابن اسحق عن عبادة بن الصامت قال كنت فيمن حضر العقبة المرة الثانية وكنا اثنى عشر رجلا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لانشرك بالله شيئاً ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل اولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين ايدينا وارجلنا ولا نعصيه فى معروف ونعطيه السمع والطاعة فى العسر واليسر والمنشط والمكره وان لاننازع الامر اهله وان نقول بالحق حيث كنا لانخاف فى الله لومة لائم ثم قال عليه الصلاة والسلام فان وفيتم فلكم الجنة ومن غش وفعل من ذلك شيئاً كان امره مفوضاً الى الله ان شاء عذبه وان شاء عفا عنه ولم يفرض يومئذ القتال ثم انصرفوا الى المدينة فاظهر الله الاسلام وكان اسعد بن زرارة يصلى الجمعة بالمدينة بمن اسلم وكتب الاوس والخزرج الى النبي صلى الله عليه وسلم ابعث الينا من يقرئنا القرآن فبعث اليهم مصعب بن عمير رضى الله عنه وامره ان يقرئهم القرآن ويعلمهم امور الاسلام ويفقههم فى الدين فاسلم على يد مصعب بن عمير خلق كثير من الانصار فيهم سعد بن معاذ واسيد بن حضير واسلم باسلامهما جميع بنى

عبد الاشهل فى يوم واحد الرجال والنساء ولم يبق منهم احد الا اسلم وذلك
ان سعد بن معاذ لما ذهب الى مصعب واسلم اقبل الى نادى قومه ومعه اسيد
ابن حضير فقال يابنى عبد الاشهل كيف تعلمون امرى فيكم قالوا سيدنا
وافضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم حرام على حتى
تؤمنوا بالله ورسوله قال فوالله ما امسى فيهم رجل ولا امرأة الا مسلما او
مسلمة حاشا الاصيرم وهو عمرو بن ثابت بن وقش فانه تاخر اسلامه الى يوم
احد فاسلم واستشهد باحد ولم يسجد لله سجدة واحدة واخبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بأنه من اهل الجنة وكان ابو هريرة يقول اخبرونى عن
رجل دخل الجنة ولم يصل صلاة قط فاذا لم يعرفه الناس قال هو اصيرم
وذلك لانه اسلم وتشهد شهادة الحق وتقدم للقتال فاستشهد قبل ان يتمكن من
الصلاة ولم يكن فى بنى عبد الاشهل منافق ولا منافقة بل كانوا كلهم حنفاء
مخلصين رضى الله عنهم وهذه منقبة عظيمة ثم قدم على النبى صلى الله عليه وسلم
فى العقبة الثالثة فى العام المقبل فى ذى الحجة اوسط ايام التشريق من الانصار
سبعون رجلا وقال ابن اسحق ثلاث وسبعون رجلا وامرأتان فكان اول
من بايع منهم البراء بن معرور ويقال اسعد بن زرارة وهو اصغرهم فبايعوه
جميعا على انهم يمنعونه مما يمنعون منه ابناءهم ونساءهم وعلى حرب الاحمر
والاسود اى العرب والعجم وذكر فى الاكليل ان اول آية نزلت فى الاذن
بالقتال قوله تعالى ﴿ ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم
الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل
والقرآن ومن اوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك
هو الفوز العظيم ﴾ ونقب صلى الله عليه وسلم اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج

وثلاثة من الاوس وفى حديث جابر بن عبدالله عن الامام احمد بن حنبل
باسناد حسن وصححه الحاكم وابن حبان مكث صلى الله عليه وسلم عشر سنين
يتبع الناس فى منازلهم بمنى وغيرها يقول من يأوينى من ينصرنى حتى أبلغ
رسالة ربى وله الجنة ان اسلم حتى بعثنا الله له من يثرب فصدقناه فرحل منا
اليه سبعون رجلا فواعدناه شعب العقبة فقلنا على ما نبايعك فقال على السمع
والطاعة فى النشاط والكسل وعلى النفقة اى الصدقة فى اليسر والعسر وعلى
الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وفيه اى عقد البيعة وعلى ان تنصرونى
اذا قدمت عليكم يثرب فتمنعونى مما تمنعون منه انفسكم وازواجكم وابناءكم
ولكم الجنة وحضر العباس بن عبد المطلب العقبة تلك الليلة متوثقا لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ومؤكدا على اهل يثرب وكان يومئذ على دين قومه
الا انه احب ان يحضر امر ابن اخيه فلما جلس كان هو اول متكلم فقال ان
محمدا منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه
فهو فى عز من قومه ومنعة فى بلده وانه قد ابى الا الانحياز اليكم واللحوق
بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه
فانتم وما تحملتم وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج فمن
الان فدعوه اتركوه فانه فى عز ومنعة من قومه وبلده فقالوا قد سمعنا ما قلت
فتكلم يارسول الله فخذ لربك ولك ما احببت وفى رواية وخذ لنفسك ماشئت
واشترط لربك ماشئت فقال صلى الله عليه وسلم اشترط لربى عز وجل ان تعبدوه
ولا تشركوا به شيئا ولنفسى ان تمنعونى مما تمنعون منه انفسكم وابناءكم ونساءكم
فقال ابن رواحة فاذا فعلنا فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لانقيل ولا نستقيل
ثم قال ابو الهيثم بن التيهان يارسول الله ان بيننا وبين اليهود عهودا وانا قاطعوها

فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم اظهرك الله ونصرك ان ترجع الى قومك وتدعنا
فتبسم صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم وفى رواية اللدم اللدم الهدم الهدم
اى دمى دمكم بمعنى انكم تطلبون بدمى وأطلب بدمكم وهدمى هدمكم
اى اذا هدرتم دماً اهدرته وذمتى ذمتكم وعهدالله مع عهدكم وهذا الشهر
الحرام والبلد الحرام يدالله فوق ايديكم قال العباس رضى الله عنه عليكم بما
ذكرتم ذمة الله مع ذمتكم وعهد الله مع عهدكم لتجهدن فى نصرته ولتشدن
من ازره قالوا جميعا نعم نعم فقال العباس اللهم انك سامع شاهد وان ابن اخى
قد استرعاهم ذمته واستحفظهم نفسه اللهم كن لابن اخى عليهم شهيدا
وحدث عاصم بن عمر بن قتادة ان القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن فضلة بن مالك بن العجلان الانصارى اخو
بنى سالم بن عوف يامعشر الخزرج هل تدرون على ما تبايعون هذا الرجل قالوا
نعم قال انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس فان كنتم ترون
انكم اذا نهكت اموالكم مصيبة واشرافكم قتلاً اسلمتموه فمن الان فهو والله
ان فعلتم خزى الدنيا والاخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه
على تهلكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والاخرة
قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يارسول الله
ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه وبنو النجار
يزعمون ان اول من بايع وضرب على يده ابا امامة اسعد بن زرارة
وبنو عبد الاشهل يقولون بل ابو الهيثم بن التيهان وعن كعب بن مالك قال
اول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ثم
بايع بعد القوم وقد وفى الانصار رضى الله عنهم مع رسول الله صلى الله عليه

وسلم عهدهم وبذلوا فى نصرته جهدهم وأنفقوا عليه وعلى من هاجر اليهم
من المسلمين ما عندهم فأحرزوا بذلك ثناء جميلاً واجراً جزيلاً وفخراً
لا يدانيه فخر وذكراً لا ينسى مدى الدهر فرضى الله عنهم وارضاهم

قال ابن اسحق ولما تمت بيعة هؤلاء السادة لرسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة العقبة وكانت سرا عن كفار قومهم وعن كفار قريش قال الحاكم
وكان كفار قومهم خمسماية غدت عليهم جلة قريش حتى جاؤهم فى منازلهم
فقالوا يامعشر الخزرج انه قد بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه
من بين اظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله ما من حى من العرب ابغض
الينا ان تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال فانبعث من هناك من مشركى
قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شىء وما علمناه قال وقد صدقوا لم يعلموه
وبعضنا ينظر الى بعض وبعد رجوع الانصار امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم المسلمين بالهجرة وفى حديث عائشة ام المؤمنين رضى الله عنها
لما صدر السبعون من عنده صلى الله عليه وسلم طابت نفسه وقد جعل
الله له منعة اهل حرب ونجدة وجعل البلاء يشتد على المسلمين من المشركين
لما اعلنوه من الخروج والهجرة فضيقوا عليهم وآذوهم ونالوا منهم ما لم
يكونوا ينالون من الشتم والاذى فشكوا ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم
فأمرهم بالهجرة الى المدينة فكان اول من هاجر اليها بعد البيعة المذكورة
آنفا عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت ابى حثمة بالحاء المهملة واما ابو سلمة
بن عبد الاسد بن هلال بن عبدالله بن عمر بن مخزوم فانه هاجر الى المدينة
قبل بيعة اصحاب العقبة بسنة وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم
مكة من ارض الحبشة فلما أذته قريش وبلغه اسلام من اسلم من الانصار

خرج الى المدينة مهاجرا وبعد هجرة عامر بن ربيعة خرج عبدالله بن جحش
باهله واخيه ثمانة ثم خرج المسلمون ارسالا منهم عمار بن ياسر وبلال
وسعدبن ابى وقاص ثم عمر بن الخطاب رضى الله عنه اخرج ابن عساكر
وابن السمان فى الموافقة عن على بن ابى طالب كرم الله وجهه قال ما علمت ان احدا
من المهاجرين هاجر الا مختفيا الا عمر بن الخطاب فانه لما هم بالهجرة تقلد سيفه
وتنكب قوسه واخرج اسهما من كنانته وجعلها فى يده واختصر عنزته (عصاه)
اى حملها مضمومة الى خاصرته ومضى نحو الكعبة والملاء من قريش بفنائها
فطاف بالبيت سبعا ثم اتى المقام فصلى ركعتين ثم وقف على الحلق واحدة واحدة
فقال لهم شاهت الوجوه لا يرغم الله الا هذه المعاطس من اراد ان تثكله امه
او يؤتم ولده او ترمل زوجته فليلقنى وراء هذا الوادى فما تبعه احد منهم وكان
قوم من المسلمين المستضعفين ارادوا الهجرة معه فتبعهم نظرا لضعف حالهم
وعلمهم ما ارشدهم الى الصبر وانتظار الفرج ثم مضى فى سبيله ومعه اخوه
زيدبن الخطاب وهو اسن منه واسلم قبله وشهد بدرا والمشاهد كلها واستشهد
باليمامة وراية المسلمين بيده سنة ثنتى عشرة للهجرة وحزن عليه عمر كثيرا
وقال سبقنى الى الحسنيين اسلم قبلى واستشهد قبلى وخرج معهما عياش بن ابى
ربيعة فى عشرين راكبا فقدموا المدينة فنزلوا فى العوالى ثم خرج عثمان بن عفان
وتتابع الناس بعده افواجا افواجا حتى لم يبق معه صلى الله عليه وسلم بمكة الا على
ابن ابى طالب وابو بكر رضى الله عنهما وكان الصديق كثيرا ما يستأذن رسول
الله فى الهجرة فيقول لا تعجل لعل الله ان يجعل لك صاحبا فيطمع ابو بكر ان
يكون هو معه صلى الله عليه وسلم وفى صحيح البخارى فقال له صلى الله عليه وسلم
على رسلك فانى ارجوان يؤذن لى فقال ابو بكر وهل ترجو ذلك بابى انت وامى

قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه وعلف
راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر وهى المدة التى كانت
بين ابتداء هجرة الصحابة بعد العقبة الاولى والثانية وبين هجرة النبي صلى
الله عليه وسلم ثم اجتمع قريش فى دار الندوة واذا بابليس فى الباب فى صورة
شيخ نجدى عليه طيلسان من خز فقالوا من الشيخ قال من نجد سمع بالذى
اتعدتم له فحضر ليسمع ما تقولون وعسى ان لا يعدمكم رأيا ونصحا قالوا
ادخل فدخل وكانت قريش لا تقضى امرا الا فى دار الندوة وكانوا لا يدخلون
فيها غير القرشى الا بعد ان بلغ سنه اربعين سنة بخلاف القرشى وقد ادخلوا
ابا جهل ولم تكامل لحيته وبعد ان اجتمعوا اخذوا يتشاورون فيما يصنعون فى
امره عليه الصلاة والسلام فقال ابو البخترى احبسوه فى الحديد واغلقوا
عليه الباب ثم تربصوا به ما أصاب اشباهه من الشعراء قبله فقال الخبيث
النجدى ما هذا برأى والله لو حبستموه ليخرجن امره من وراء الباب
الذي اغلقتم دونه الى اصحابه ولأوشكوا ان يثبوا عليكم فينتزعوه من ايديكم
ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على امركم ما هذا برأى فانظروا فى غيره فقال ابو
الاسود ربيعة بن عمرو نخرجه من بين اظهرنا فننفيه من بلادنا فلا نبالى
اين ذهب فقال النجدى لعنه الله ادبروا فيه رأيا غير هذا فقال الملعون ابو جهل
ان لى فيه رأيا ما اراكم وقعتم عليه ارى ان تأخذوا من كل قبيلة فتى شابا
جلدا نسيبا وسيطا ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه
ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ويتفرق دمه فى القبائل فلا تقدر
بنو عبدمناف على حرب قومهم جميعا فنعقله لهم فقال النجدى لعنه الله القول
ما قال هذا لا أرى غيره فأجمع رأيهم على القتل وتفرقوا على ذلك فأتى

جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه فلما كان الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه حتى ينام فيثبوا عليه فامر عليه السلام علياً رضى الله عنه فنام مكانه وتغطى ببرد له صلى الله عليه وسلم بامره فكان عليٌ اول من باع نفسه فى الله ووقى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى ذلك يقول

وقيت بنفسى خير من وطىء الثرى ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر
رسول الاله خاف ان يمكروا به فنجاه ذو الطول الاله من المكر
وبات رسول الله فى الغار آمنا موقى وفى حفظ الاله وفى ستر
وبتُّ اراعيهم وما يتهموننى وقد وطنت نفسى على القتل والاسر

ثم خرج صلى الله عليه وسلم من الباب عليهم وقد اخذ الله على ابصارهم فلم يره احد منهم ونثر على رؤسهم كلهم ترابا كان فى يده وهو يتلو قوله تعالى ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ الى قوله تعالى ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ وبينما هم كذلك اذ اتاهم آتٍ وليس هو الا ذلك النجدى الخبيث فقال ما تنظرون ههنا قالوا محمدا قال خيبكم الله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجل الا وضع على رأسه ترابا وحكمة وضع التراب دون غيره الاشارة لهم بأنهم الارذلون الأصغرون الذين ارغموه وألصقوه بالرغام وهو التراب او انه سيلصقهم بالتراب بعد هذا ثم قال لهم قد انطلق محمد لحاجته انظروا ما بكم فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يطلعون من شقوق الباب فيرون علياً على الفراش ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائم عليه ببرده الاخضر فلم يزالوا كذلك

حتى اصبحوا فقام عليّ عن الفراش فقالوا لقد صدقنا الذى كان حدثنا

﴿وفى هذا نزل قوله تعالى ﴿واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او﴾

﴿يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله﴾ اى بهم بتدبيره﴾

﴿امرك بان اوحى اليك ما دبروه وأمرك بالخروج﴾

﴿والله خير الماكرين﴾ اى اعلمهم بالمكر قال ابن﴾

﴿اسحق ونزل فى ذلك قوله تعالى ﴿ام يقولون﴾

﴿شاعرٌ نتربص به ريب المنون﴾

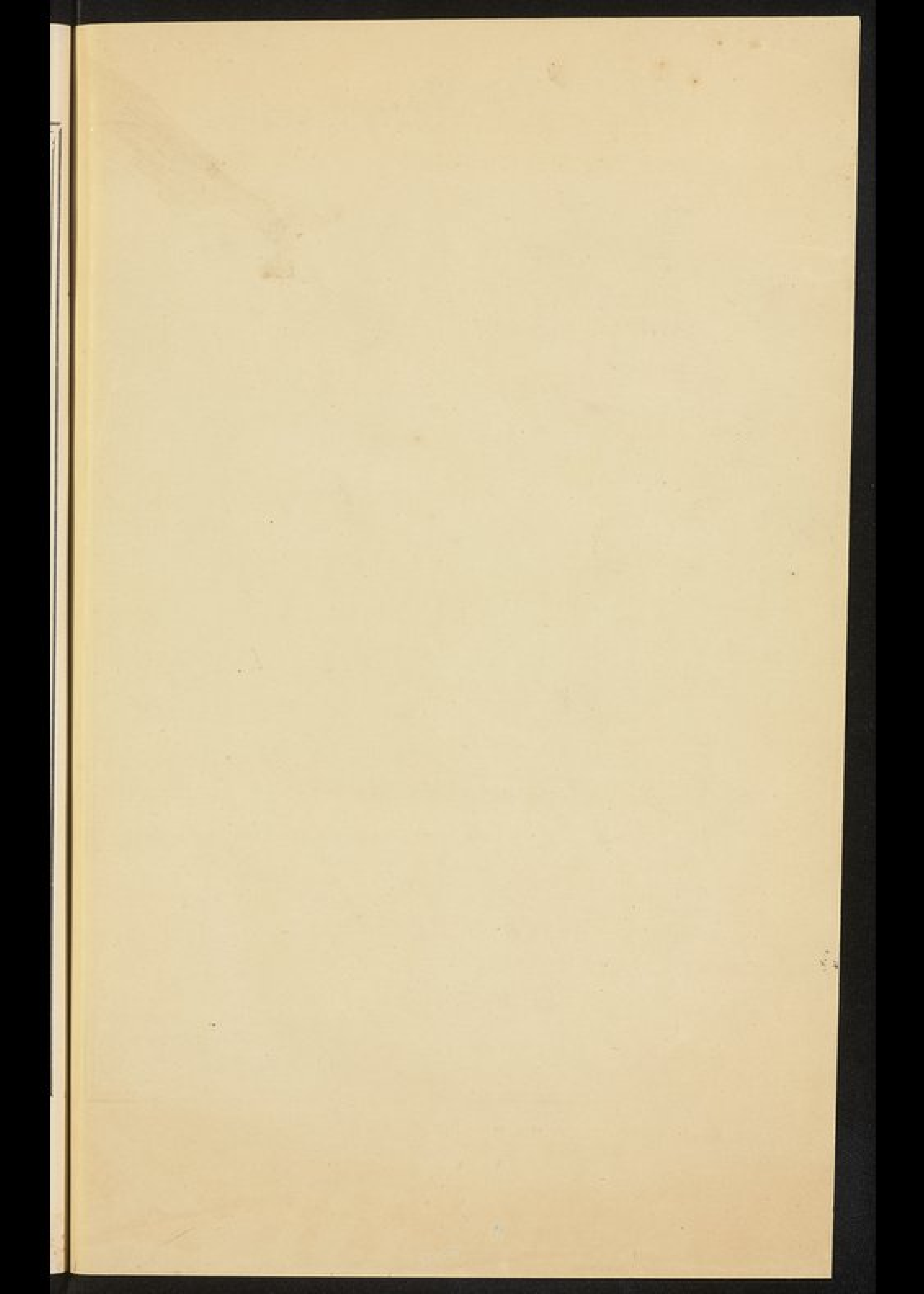
﴿قل تربصوا فانى﴾

﴿معكم من﴾

﴿المتربصين﴾



﴿تم الجزؤ الاول ويليه الجزؤ الثانى اوله ذكر الهجرة﴾



فهرست الجزء الاول من كتاب تحفة العالم
في اخبار سيد ولد آدم

تابع الفهرس

نومرو

تابع الفهرس

نومرو

تابع الفهرس

نومرو

تابع الفهرس

نوورو

تابع الفهرس

نومرو

تابع الفهرس

نومرو

تابع الفهرس

نومرو

